حزب البعث العربي الاشتراكي
القيادة القومية
مكتب الثقافة والاعلام

أمة عربية واحدة
ذات رسالة خالدة

نضال البعث

المؤتمرات القومية

من الاول ١٩٤٧ حتى الثاني عشر ١٩٩٢

المجلد الرابع

التقرير السياسي
للمؤتمر القومي
(العاشر)
لحزب البعث العربي الاشتراكي

العلاقة بين
الايديولوجية والاستراتيجية والتكتيك

ان الاستراتيجية السياسية للحزب هي الصيغة العلمية والعملية لتطوير الواقع العربي في اتجاه اهداف الامة العربية في المرحلة التاريخية الراهنة. فهي عملية استيعاب للجدل الخاص بحركة الواقع العربي، كما هي في الوقت نفسه عملية سيطرة على هذه الحركة وتوجيه لها وتسريع لخطواتها وترسيخ لمكتسباتها وحماية لسلامة خطها واغنائها بالخبرة الخاصة والعالمية.

ان التفسير العلمي لحركة الواقع الاجتماعي هو الشرط الاولي لامكانية السيطرة على هذه الحركة ومن هنا كان لا بد لأية استراتيجية سياسية علمية وثورية ان تستند الى اطار نظري علمي وثوري يستوعب الحركة الكلية الشاملة للمجتمع خلال مرحلة تاريخية محددة.

ان استراتيجية حزب البعث العربي الاشتراكي الدائمة هي بناء المجتمع العربي الاشتراكي الديمقراطي الموحد. أي تحقيق اهداف الوحدة والحرية والاشتراكية. هذا على مدى المرحلة التاريخية بكاملها. اما على مستوى الاهداف المرحلية فان المهام تتضح من خلال تحديد المسائل القومية المصيرية والتي تنتظر الحل السريع كقضية فلسطين ومواجهة الغزو الاستيطاني في الخليج العربي والغاء القواعد العسكرية الموجودة في بعض الاقطار العربية وخلق اشكال جديدة من العمل الوحدوي، وفي المستوى الاجتماعي التخلص من بقايا الاقطاع ومظاهر التخلف، لذلك فأن الرؤية الجدلية لعلاقة القومي والاجتماعي وللاشكال الراهنة للصراع هي التي تحدد الاستراتيجية المرحلية.

ان ارتباط الاستراتيجية السياسية باطار ايديولوجي محدد هو شرط رئيسي لارتفاع الاستراتيجية السياسية من مستوى الاطار التجريبي والاختباري ذي الطابع الارتجالي العشوائي الى مستوى العمل الثوري العلمي الواعي لحركة التاريخ ولقوانين التطور الاجتماعي. كما ان هذا الارتباط يعتبر ضمانة اساسية للاستراتيجية ولعدم هبوطها الى مستوى التكتيك اليومي او المبالغة في أهمية التكتيك على حساب ضياع الاستراتيجية أو فصل التكتيك عن الاستراتيجية.

ان ايديولوجية الثورة العربية كما يجسدها الحزب هي الاطار النظري لتفسيره العلمي لحركة التاريخ في المجتمع العربي والعوامل الاساسية التي تحدد اتجاه هذه الحركة واستراتيجية الحزب السياسية لا يمكن ان تكون الا تطبيقا لهذه الايديولوجية ضمن ظروف زمانية ومكانية موضوعية محددة تأخذ بعين الاعتبار الاشكال الراهنة للصراع الخارجي والداخلي والاوزان والحجوم الحقيقية للقوى السياسية والاجتماعية الفعالة، فكما ان النظرية هي اكتشاف للسياق التاريخي الخاص لتطور المجتمع العربي في اطار تطور البشرية كلها. فان الاستراتيجية السياسية هي اكتشاف وتحليل للتناقضات الرئيسية التي تحكم اتجاه الحركة الجماهيرية في مرحلة ما من مراحل هذا السياق وعلاقتها بالتناقضات الثانوية. فالعلاقة بينهما جدلية، فكما ان النظرية بدون استراتيجية هي فكر لا يملك فعالية منظمة ومؤثرة في الواقع.

كذلك فان الاستراتيجية السياسية بدون أساس ايديولوجي هي عمل يفتقر الى المستوى التاريخي العلمي. وهي بالتالي عمل يتحول الى مجرد عمل تكتيكي اختباري غير واضح الابعاد والمصير.

صحيح ان التكتيك بالاضافة الى كونه مخطط عمل وقتي ينسجم مع ظروف موضوعية وذاتية لها وضوحها الاستراتيجي هو في الوقت نفسه عملية تلاؤم مع ظروف لم تستوعبها الاستراتيجية. ولكنه في غياب الترابط بين النظرية والاستراتيجية يتحول نفسه الى استراتيجية فعلية كنوع من المرض المستوطن أهم أعراضه الخضوع المطلق للضرورات العملية بعيدا عن استشراف المرحلة والخط التاريخي لتطور المجتمع وعندئذ تندثر الاخلاق النضالية وتفقد مقاييسها الثورية وتتحول الى ممارسة دائمة لاساليب المناورة والمغامرة والحلول الجزئية فعند غياب النظرية تنعدم الاستراتيجية ويتحول العمل السياسي الى تكتيك دائم.

وبالمقابل فان الترابط بين الاستراتيجية السياسية وبين الايديولوجية الثورية يزود الحركة العربية بالقدرة على توقع اللحظات التي تتحول فيها التناقضات ويرتفع فيها التناقض الثانوي الى تناقض رئيسي، وبالتالي بالقدرة على استباق الاحداث وأعادة النظر في التحالفات المرحلية في الوقت المناسب فلا تبقى الحركة الثورية على هامش الاحداث ولا تتعثر في مسيرتها ولا تنكفئ أو تتراجع عن مركزها القيادي ولا تسلم نفسها الى صيغ تمتص ثوريتها لحساب تجميد الصراعات تجميدا تجاوزته المرحلة واصبح يخدم مصالح قيادات سياسية لا تتفق مصالحها مع المرحلة الجديدة التي دخل فيها العمل الثوري. وكما ان الاستراتيجية السياسية تستمد من الاطار

الايديولوجي القدرة على الاحاطة بالظواهر الجزئية وعدم الاستغراق او الضياع في تفاصيلها كذلك فان النظرية تغتني بدورها من جراء الممارسة السياسية والتماس المباشر مع حركة الواقع.

ان الايديولوجية ترسم الاستراتيجية نظريا وعند الممارسة تغتني الايديولوجية وتمتحن الاستراتيجية خلال العمل الثوري. وهو الذي يجعل من الاستراتيجية عملية اغناء مستمرة للنظرية وعملية اعادة اكتشاف دائمة للفكرة الثورية وتطويرها من خلال الوقائع الملموسة. كما يجعل من الايديولوجية عملية اكتشاف دائمة للتطور التاريخي العام للأمة وللعصر. ان الايديولوجية ترسم الاستراتيجية نظريا وعند الممارسة تغتني الايديولوجية وتزداد وضوحا كما تمتحن الاستراتيجية من خلال الممارسة الفعالة وتصبح اكثر قدرة على تحقيق الالتحام بين الفكر الثوري والعمل الثوري.

ان مردود هذا التفاعل والترابط بين الاستراتيجية السياسية وبين النظرية أمر يتوقف على توفر شرط حيوي ثالث هو وجود المنظمة الثورية التي تجمع الى اصالة الفكرة ورصانة الاستراتيجية قوة التنظيم.

فعندما يتوفر هذا العنصر يصبح الحزب في مستوى تحقيق فكرته وفي مستوى القدرة على تغيير مجرى الاحداث وقيادتها. ويغدو قادرا على ان يعلم الجماهير ويتعلم منها وعلى ان ينمو فيها وتنمو فيه.

وهكذا فان حيوية الترابط بين الاستراتيجية السياسية وبين الاطار الايديولوجي وديناميكية هذه العلاقة وفعلها الخصب رهن بوجود نظرية للتنظيم تستلهم في هيكلها ومضمونها الاساسي ايديولوجية الحزب، وفي تفاصيلها الاستراتيجية السياسية، وعلى هذا الاساس فأن عملية تحديد استراتيجية مرحلية للحزب هي عمل ذو جوانب ايديولوجية وسياسية وتنظيمية مترابطة.

فالاستراتيجية القومية هي تحليل لمجمل الظواهر السياسية والاجتماعية في مرحلة معينة من مراحل تطور المجتمع العربي انطلاقا من نظرية ثورية تدخل ساحة التطبيق (توجيها ورقابة) تحت قيادة مركزية واحدة.

اما الاستراتيجيات القطرية فهي تحليل لظروف الاقطار العربية يستهدف اكتشاف الاشكال المحددة للقوانين العامة التي تحكم تطور المجتمع العربي في تلك الاقطار.

والعلاقة بين الاستراتيجية القومية والاستراتيجيات المحلية هي بدورها علاقة ترابط وتساند، فالاستراتيجيات القطرية تغني الاستراتيجية القومية عن طريق تمثلها للتعقيدات الخاصة التي

ترسبت عن واقع التجزئة كما ان الاستراتيجية القومية تعطي للاستراتيجيات القطرية الافق الثوري الذي يجعلها فعالة في واقع التجزئة غير منفعلة به وتشدها الى الاطار الايديولوجي والتنظيمي الذي يميز وجود الحزب.

ان حزب البعث العربي الاشتراكي حزب قومي اشتراكي يستوعب حقيقة الأمة وينطلق من استراتيجية ومن تنظيم قوميين. واخطر ما يهدد وجود هذا الحزب ورسالته ان يأخذ المعنى القومي فيه طابع تجميع للتجزئة.

فالذي يميز حزبنا هو كونه قد وضع حقيقة الأمة ووحدتها في البدء ورفض واقع التجزئة لانه واقع ثوري ومضاد للثورة. فالاستراتيجية القومية هي الاصل وليست تجميعا شكليا لاستراتيجيات محلية تأخذ شكل استسلام للظروف العملية المحلية، فهي تأخذ بنظر الاعتبار الظروف المحلية المميزة ودرجة تطور هذا القطر بالقياس الى درجة تطور القطر الآخر وتسعى الى خلق الظروف المناسبة للتطور المتجانس وتلك هي المهمة المركزية للاستراتيجية الوحدوية التي تميز حزبنا عن باقي قوى الثورة العربية.

اذن الاستراتيجية القطرية هي تفرع من الاصل القومي وليست قاعدة انطلاق للوصول الى الاستراتيجية القومية.

ولا يمكن تحقيق هذه المعادلة الهامة التي يتوقف عليها معنى وجود حزبنا الا اذا تحققت الشروط الكفيلة بتصفية العقلية الحزبية من رواسب الضغوط والميول الاقليمية الاصلاحية التي تعبر عن نفسها وفي الممارسات السياسية المحلية والمتعارضة مع الاستراتيجية القومية، وهذه شروط تتلخص في تحقيق التلازم بين موضوع الاستراتيجية السياسية من جهة وبين قطبيها المكملين لها وهما الاطار الايديولوجي والاطار التنظيمي. أي وحدة الفكر ووحدة القيادة وعندئذ يصبح التناقض مع الاستراتيجية السياسية والقومية خروجا على وحدة الحزب الايديولوجية والتنظيمية.

ان التشديد على المعنى القومي ليس مجرد تذكير بالبديهيات الاساسية التي انطلق منها حزب البعث العربي الاشتراكي منذ تأسيسه فحسب وليس مجرد تنبيه وتحذير من الاخطاء والانحرافات التي داخلت المرحلة السابقة من تاريخ الحزب بل هو اشارة الى مستوى جديد يجب ان يرتفع اليه الحزب والنضال العربي في المرحلة الراهنة كتعبير عن ضرورة أو موضوعة حتمية.

ان الانطلاق من الوحدة كان يغلب عليه الطابع الفلسفي في المرحلة السابقة. فقد كانت مهمة الحزب هي تثبيت استراتيجيته الفكرية حتى اصبحت الايديولوجية العربية الثورية هي المنطلق الفكري للفكر العربي الثوري المعاصر.

اما في المرحلة الراهنة ــ مرحلة النكبة ــ فقد اصبح الانطلاق من الوحدة بالمعنى الاستراتيجي حاجة موضوعية يتطلبها الحد الادنى من ضرورات الصراع العربي مع التحالف الصهيوني الامبريالي الرجعي.

ففي هذه المرحلة الجديدة التي تتطلب عمليا وليس نظريا فقط وضع الوحدة كبداية في هذه المرحلة التي لا يستطيع فيها قطر واحد مهما توفرت له من الامكانيات ان يستوعب النكبة وان يعد للمعركة اعدادا متكافئا مع التحدي الذي تواجهه الأمة العربية لا بد ان تكون الاستراتيجية القومية هي المنطلق وهي الاساس.

ان ارتباط الاستراتيجية السياسية بالاطار الايديولوجي يشتد ويقوى كلما كانت الظروف الموضوعية مهيأة لعمل ثوري كبير. وفي المرحلة الراهنة من حياة الأمة العربية مرحلة النكبة لا مجال لعمل سياسي بدون افق ثوري. ولا مبرر لوجود نظام او قوة سياسية اذا لم يحققا الشروط المطلوبة لمواجهة النكبة.

ان هذه المرحلة التي هي اشد المراحل ثورية في حياة العرب المعاصرة تتطلب كحد ادنى وبالبداهة توحيدا كاملا بين الاستراتيجية السياسية والاطار الايديولوجي.

ان هذه المرحلة هي مرحلة العمل الاستراتيجي العقائدي ومرحلة الادوات الثورية العقائدية القادرة على استيعاب الهزيمة والتخطيط النظري للمعركة واعداد الوسائل اللازمة لها وتحقيق النصر.

ان حزبنا، حزب البعث العربي الاشتراكي مؤهل لان يجعل من مؤتمره العاشر كما جعل من مؤتمره التاسع دليل عمل للثورة العربية المعاصرة وذلك بتحديد استراتيجية قومية تلبي الحاجات الموضوعية الراهنة القاهرة للعمل الثوري العربي.

ان تحديد هذه الاستراتيجية لا بد ان يأتي نتيجة لتحليل الواقع السياسي للأمة العربية في المرحلة الراهنة ولتحديد طبيعة المرحلة وتعيين المهمات الرئيسية التي تتطلبها على مستوى العمل الحزبي والعمل السياسي والعمل الفدائي.

الواقع السياسي الراهن في الوطن العربي
على الصعيدين الرسمي والشعبي

ان الواقع السياسي الراهن في الوطن العربي هو محصلة للعوامل البعيدة التاريخية وللعوامل القريبة المعاصرة التي ساهمت في تكوينه.

ان هذا الواقع السياسي في وجهيه الرسمي والشعبي يحمل في بنيته كل اثار التفاعل الحضاري للأمة العربية في القديم والحديث وكل ما عرفته من تقدم وازدهار وتخلف وانحطاط. كما يشكل جزءا من التفاعل العالمي والتيارات التي تعتمل فيه، وخاصة في المرحلة المعاصرة التي يعيشها المجتمع العربي بعد الحرب العالمية الثانية. فقد تميزت هذه المرحلة الاخيرة بظهور تيارات عامة في العالم اجمع ساهمت في تغيير خارطة العالم الحديث، وأهمها تيار تصفية الاستعمار القديم وتيار الاستقلال السياسي للشعوب المستعمرة وتيار الوحدة القومية وتيار الاشتراكية وتعدد مراكزها وتيار الثورات القومية التحررية وتيار حروب التحرير الشعبية.. هذه التيارات التي شهدت ظهور تيارات معاكسة كظهور الاستعمار الجديد والتآمر على الاستقلال السياسي عن طريق السيطرة الاقتصادية والسيطرة العسكرية وشبكات التجسس والعملاء ومحاربة الوحدات القومية أو الجغرافية ذات الطابع التحرري وقيام التحالف الصهيوني ـ الامبريالي والهجمة الاستعمارية الرجعية على مواقع الثورة في العالم ....وهكذا فان تحليل الواقع السياسي الراهن للوطن العربي يجب ان يأخذ بعين الاعتبار كونه يشكل جزءاً من الواقع الدولي. وان هذا الواقع السياسي هو محصلة للصراع القومي التحرري وللصراع الاجتماعي الطبقي اللذين عرفهما المجتمع العربي في الماضي والحاضر.

ان المجتمع العربي يتميز عن العديد من المجتمعات المتخلفة الاخرى في العالم الثالث بان له ماضيا سياسيا وحضاريا تشده إليه مجموعة من العوامل التاريخية والدينية والثقافية لا يمكن تجاهلها عند تحليل واقعه السياسي الراهن.

اذ ان مجموعة العناصر الايجابية والسلبية التي ينطوي عليها هذا الواقع السياسي انما تدين بقسم منها الى هذا الماضي.

فارادة الصمود والتماسك امام النكبات والمحن والتطلع التاريخي الى الثورة والى تبديل الواقع العربي تبديلا جذريا يعيد اليه الصلة الحية بين حاضره وماضيه الحضاري ليتمكن من المشاركة في بناء مستقبل التقدم البشري والفضائل المتعددة التي تميز النضال العربي المعاصر لا يمكن ان تكون معزولة ومقطوعة الصلة بالماضي الحضاري.

وكذلك ما نشاهده من انغلاق وتحجر وسطحية وتمسك بالاشكال وضعف أخلاقي واستغلال للعقيدة الدينية لا يمكن ان يفسر بالعوامل الطبقية الراهنة وحدها، بل هي بدورها نتيجة لانسحاب مراحل الانحطاط التي مر بها المجتمع العربي على حاضر هذا المجتمع. ليس هذا فحسب بل ان ما يداخل تركيب المجتمع العربي الراهن من تكوينات طائفية ومن تكوينات قومية ومن اتجاهات فكرية رجعية انما هي جزء من انعكاسات وترسبات الماضي الذي ما يزال يشكل جانبا من شخصية الواقع العربي الراهن وينعكس تأثيره على الواقع السياسي نفسه ونحن نلاحظ على الصعيدين الرسمي والشعبي تأثير هذا الماضي في تكوين المؤسسات والحركات السياسية الراهنة. فنحن لا نستطيع ان نتجاهل ما لهذه الترسبات المنحدرة من الماضي في تكوين النظام الحالي في القطر السوري بعد ردة ٢٣ شباط وفي النظام القائم في لبنان وفي اوضاع بعض الاقطار العربية الاخرى كاليمن والسودان والعراق حيث التأثيرات الطائفية والقبلية والعشائرية والقومية تلعب ادوارا تتسع وتضيق في الحياة السياسية سواء بشكل مباشر او غير مباشر. كما اننا لا نستطيع ان نهمل جانبا هاما من المنطلقات التي قامت عليها التيارات السياسية في الوطن العربي والتي تتعلق بأساس موقفها من هذا الماضي. فالمنظمات السياسية وخاصة العقائدية منها قد جعلت من موقفها من الماضي العربي احد الركائز الايديولوجية لعملها. فالحركات الرجعية والمحافظة واليمينية قد قامت على تبني هذا الماضي تبنيا سلبيا منفعلا وعلى إستغلال ترسباته. والاحزاب الشيوعية وقفت وخاصة في المراحل الاولى من نشأتها موقف رد الفعل على هذا الماضي. أي موقف الرفض وهو موقف ذاتي غير موضوعي وغير علمي لا يقل ذاتية ولا موضوعية عن موقف الاحزاب والحركات الرجعية.

اما حزبنا فقد كان موقفه متميزا بالعلمية والموضوعية والنضج عندما تبنى هذا الماضي تبنيا ايجابيا فاعلا ولم يستسلم له كما فعل الرجعيون والمحافظون واليمينيّون، وبهذا لم يرفض حقيقة موضوعية لا يعني تجاهلها سوى الابتعاد عن الواقع العيني المشخص للحياة العربية السياسية المعاصرة الذي يداخل تاثيرها حياة الافراد والمؤسسات والاوضاع العربية ويشكل التفاعل

والصراع معها احدى الظواهر المميزة للنضال العربي فاذا كان الماضي بكل ما فيه من ترسبات ايجابية وسلبية يشغل جانبا من جوانب الواقع السياسي الراهن للوطن العربي فان النضال المعاصر للأمة العربية هو الذي يشغل الجانب الاكبر من هذا الواقع.

ان النضال العربي خلال هذا القرن ينطوي على جانبين رئيسيين:

الجانب القومي التحرري والجانب الاجتماعي الطبقي.

وقد بدأ الجانب الاول متميزا وواضحا عبر النهضة القومية التي تميزت بها حركة التحرر العربية في أواخر العهد العثماني. الا ان تقسيم الوطن العربي الى دول ودويلات وتفتيت وحدته وسيطرة الاستعمار الغربي قد جعل النضال القومي التحرري المعبر عن يقظة الأمة العربية في مطلع القرن العشرين يأخذ تحت تأثير التجزئة اشكالا ممزقة متناثرة وأخذ شعار الاستقلال السياسي يأخذ شكل تعبير عن واقع التجزئة ويدفع بالنضال الوطني الى مواقع قطرية منكمشة عن الخط القومي ومن هنا دخلت التأثيرات الاستعمارية لتحويل الحركات الاستقلالية الى حركات شكلية فاقدة للمحتوى النضالي ولتحويل ابطال الاستقلال الى ابطال الاستغلال للنضال الوطني وابطال الانفصال عن الحركة العربية الثورية وأدوات تعويق لمسيرتها. ولولا الدور التاريخي الذي لعبته حركة البعث العربي الاشتراكي خلال ثلث القرن الاخير لخنقت الاطر الاقليمية الفكرة العربية الثورية. ولبقيت الثورة العربية المعاصرة حلم أجيال لم تولد بعد.

اما الجانب الاجتماعي الطبقي لنضال الأمة العربية المعاصرة فقد رافق النضال القومي التحرري وكان يشكل معه مظهرين لحقيقة واحدة، هي الثورة العربية المعاصرة.

ان السياق التاريخي لهذه الثورة قد ابرز الوجه الأول للنضال. الا ان ذلك لم يكن على حساب غياب الوجه الآخر.

فالطابع الفلاحي يغلب على الانتفاضات الوطنية في مصر(دنشواي ١٩٠٥ ثم ثورة ١٩١٩) والعراق (١٩٢٠) ولبنان(العاميات اللبنانية خلال الحكم العثماني) وسورية (ثورة ١٩٢٥) والمغرب (معركة الاستقلال ١٩٤٧) وفلسطين (ثورة الثلاثينيات) والجزائر (ثورة ١٩٥٤) والسودان (ثورة ود حبوبة ١٩٠٧ التي تعتبر امتدادا للثورة المهدية) وبقدر ما كانت هذه الانتفاضات ذات ملامح وطنية وقومية تحررية تضع الصراع مع الاستعمار في المركز الاول من اهتمامها كانت أيضا تنطوي على بذور تحرك طبقي يضع الصراع مع الاقطاعيين في مرتبة مماثلة كلما اشتد الظلم الطبقي والاستغلال وانكشف تحالف الاقطاع مع الاستعمار ضد الجماهير وضد

الوطن. وقد أتخذ الصراع الطبقي بين الفلاحين والاقطاعيين اشكالا عنيفة في معظم الاقطار العربية.

يضاف الى ذلك الدور المتعاظم للنقابات العمالية وللكفاح العمالي سواء على الصعيد الاجتماعي أو على الصعيد الوطني والقومي وخاصة في تونس والمغرب ومصر ولبنان وسورية والعراق وليبيا...وعلى هذا الاساس تتميز الحركة الاستقلالية في الوطن العربي والنضال الوطني بوجه عام بالمحتوى القومي الذي يعكس الجدل الخاص بالتجربة العربية المعاصرة. فالحركة الاستقلالية بدأت حركة تحررية عربية ضد الحكم العثماني وحركة تمرد فلاحية ضد الطبقات المستغلة. وعندما أمعن الاستعمار الغربي في تقسيم الوطن العربي وفي تعميق التجزئة أخذت الحركة الاستقلالية شكل كفاح من أجل تثبيت المضمون القومي للحركة الوطنية وشكل رفض لتزييف المفهوم الوطني والهبوط به الى مستوى الرديف للاقليمية وللقطرية. كما أخذت شكل كفاح يرفض عزل الاستقلال السياسي عن الاستقلال الوطني ويرفض وصاية الطبقة البرجوازية على الاستقلال وتشويهها للحركة الوطنية التحررية.

وعندما حاولت التقدمية القطرية ان تفصل ما بين المحتوى القومي والمحتوى الاجتماعي للحركة الوطنية في الوطن العربي كان على الحركة العربية الثورية ان توضح وان تكشف الانحراف الذي يتخذ من النضال الاجتماعي ومن الاشتراكية طريقا منفصلا ومعزولا عن النضال القومي.

كما كان على الحركة العربية الثورية ان تكشف انحرافات من نوع آخر ... انحرافات البروقراطية والفردية والتسلط البورجوازي الصغير على الحركة العربية الثورية ذاتها وعلى الجماهير. فكانت مرحلة الخمسينيات والستينيات مرحلة صراع داخل الاطار الجديد للحركة الوطنية بعد الاستقلال بين التيار الشعبي الثوري الوحدوي وبين محاولات الانقضاض والتزييف والعداء التي انصبت عليه من جهات متعددة مختلفة المنطق ساهمت فيها الحركات الرجعية المعادية للاتجاه القومي وللخط التقدمي للنضال العربي بالاضافة الى الحركات الشيوعية المحلية التي وقفت موقفا سلبيا من الوحدة العربية فكرا ونضالا والحركات الاقليمية التي تولت مهمة فلسفة التجزئة والحركات القومية التي أقامت نوعا من التناقض بين المفهوم القومي وبين الاشتراكية والانظمة التي عزلت شعارات الوحدة العربية الثورية عن تيارها الشعبي وحولتها الى ادوات في يد السلطة وافقدت الحركة العربية الثورية سر قوتها وفعاليتها التاريخية. فقد ركزت الاحزاب الشيوعية والاحزاب

الاقليمية في البدء التقدمي منها والرجعي على الجانب القطري واهملت الاطـار القومـي العـام والشامل للنضال العربي كما قرنت تركيزها على الحدود التي رسمتها التجزئة المصطنعة بتركـيز على الناحية الاممية بمفهومها الستاليني أي في شكلها الرسمي التبعي لا فـي شـكلها الشـعبي الانساني.

وكانت في كلا الحالتين تقفز من فوق الحقيقة القومية وتتجاهلها لا بل تحاربها أيضا وتطـرح الجانب الاجتماعي كبديل للجانب القومي ثم ما لبثت ان بدأت بعد تجربة طويلـة مـن المحاولـة والخطأ بالتحرر تدريجيا من آثار المرحلة الستالينية وما لبثت ان عادت الى حيث كـان يجـب ان تبدأ أي الى التنبه الى أهمية الناحية القومية. ولكن بدون ان تقوم بأي نقد ذاتي وبدون ان تعترف بان الصيغة العلمية للنضال العربي الراهن هي صيغة الربط الجدلي بين القومي والاجتماعي وبأن حركة في الوطن العربي هي حركة البعث العربي الاشتراكي، وحدها قد اكتشفت منذ ثلث قرن هـذه الحقيقة التي تجاهلها الآخرون تجاهلا غير موضوعي ولا علمي وناضلت من اجل تثبيتها.

ولا بد ان نشير الى المدلول الطبقي لهذا الموقف الايديولوجي الـذي اتخـذت منـه الاحـزاب الشيوعية منطلقا لها خلال حقبة طويلة من تاريخ العرب المعاصر. فقـد كـان اهمـال الاحـزاب الشيوعية للعنصر الفلاحي في النضال وتركيزها على الطبقة العاملة التي لم تكـن تشـغل حجمـا مؤثرا في العمل النضالي العربي وتجاهلها لخاصة التخلف في المجتمع العربي في هذه المرحلة... كل ذلك كان يجعل الشعارات التي طرحتها الاحزاب الشيوعية في تلك الفترة غطاء لا وعـاء لـه استخدمته البرجوازية الصغيرة في اواخر الخمسينيات وخلال السـتينيات لمحاربـة ايديولوجيـة الوحدة العربية الاشتراكية التي تعبر تعبيرا علميا عن مصلحة الطبقة الكادحة في الوطن العربـي عندما جعلت من الاشتراكية بديلا للوحدة وعندما أقامت بين المفهوم القومي والمفهوم الاشـتراكي نوعا من التضارب والتنابذ. وقد استغلت بقايا الطبقة البرجوازية والاقطاع الفرصة لتضـرب اول تجربة للوحدة عام ١٩٥٨ ولتجعل من الانفصال القاسم المشترك لمصلحة البرجوازية الصغيرة في شقيها اليساري واليميني ونقطة التلاقي التي جمعت الاحزاب الشيوعية والاحزاب الرجعية علـى صعيد واحد من العمل لتحويل المد الوحدوي الى انحسار قطري. وقد كان التطلـع الـى السـلطة وجعلها في مرتبة متقدمة من حيث الاهتمام على العمل الشعبي الثوري المنظم المدخل الذي دخلت منه عقلية البرجوازية الصغيرة الى داخل التيار الوحدوي فعلى الرغم من الفـوارق التـي تمـيز الحركة الناصرية عن التيار القطري المرتد داخل حزبنا فان عقلية التفرد والتسلط قد تجلـت فـي

كليهما بالاضافة الى اتخاذ مهارة الاجهزة البيروقراطية والقمعية بديلا للطاقات الجماهيرية ووضع مصلحة القطر فوق مصلحة الأمة واستغلال الشعارات في اتجاه معاكس لمضمونها، ان ذلك كله كان بمثابة المقدمات الكبرى لنكسة الانفصال ولردات ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ و٢٣ شباط ١٩٦٦ واخيراً لنكبة العرب في الخامس من حزيران.

ان تبني الانظمة لشعارات وأهداف الحركة الثورية العربية وقيام وحدة ١٩٥٨ والحماس الشعبي الذي رافق ذلك كله قد جعل كفة التفاؤل والامل والثقة ترجح على كفة الحذر والنظرة النقدية لتلك الانظمة.

فالناصرية استفادت من الاهمية الخاصة لمصر ومن شخصية عبد الناصر لتغطي حقيقتها القطرية ولتجعل من مظهرها الوحدوي البريق الذي يصرف الانظار عن واقعها.

فهي كحركة ولدت في ظل السلطة وانبثقت من مفهوم الزعامة ولم يكن لها اساس فكري أو شعبي كان لا بد ان تكون مظهرا من مظاهر واقع التجزئة مهما تكلمت عن الوحدة ومهما انطلقت من نوايا واستعدادات طيبة لان تكوينها يفرض عليها طابعها القطري لذلك فان وحدويتها لم تكن اكثر من عملية استمرار في ممارسة تقاليد السياسة المصرية التقليدية في المجال العربي ضمن صيغ واشكال جديدة جعلت التنافس والتوازن والتوسع القطري بديلا عن العمل الوحدوي تحت شعار التسمية الوحدوية. وقطرية ٢٣ شباط استفادت من اسم البعث العربي الاشتراكي ومن سمعته التاريخية لتغطي حقيقتها الطائفية العشائرية. لان الطائفية مرض ملازم للقطرية وأخيرا فان الواقع السياسي للوطن العربي هو جزء من الواقع الدولي يتبادل التأثير والتفاعل معه وتتبلور منه خلال هذه العلاقة تيارات وملامح خاصة به.

ان الوطن العربي يعتبر في رأي الخبراء العالميين اكثر المناطق استراتيجية في العالم فهو يمتد على اربعة آلاف ميل ويسيطر على حركة التجارة من الشرق الاقصى الى اوربا ويشغل شرق البحر الابيض المتوسط وجنوبه هذا بالاضافة الى ثرواته والى الامكانيات المادية والبشرية التي تؤهله لان يلعب دوراً كبيراً في حياة العالم المعاصر اذا ما اتيح له ان يتحرر وان يتوحد وان يقوم فيه نظام تقدمي حديث.

وعلى الرغم من ان فكرة الوحدة القومية التي تميز النضال العربي في هذه المرحلة التاريخية ليست غريبة على عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية الذي اشتدت فيه دعوات الوحدة في كل من اوربا وافريقيا وامريكا اللاتينية فان فكرة الوحدة العربية كانت موضوع مقاومة ومحاربة مشتركة

من جميع القوى الدولية المعاصرة بنسب مختلفة وتحت تأثير عوامل متباينة. ففي المرحلة التي امتدت عبر الاربعينيات حتى نهاية الخمسينيات حيث كانت استراتيجية النضال العربي تتحدد بتثبيت منطق الوحدة وحيث كان الطابع الايديولوجي لهذا النضال هو الاساس والمنطلق الغالب على العمل العربي الثوري، كان التآمر على فكرة الوحدة هو الاستراتيجية الاستعمارية المعادية. كما كان تثبيت التجزئة احد المنطلقات التي كانت تحرك عمل الاحزاب الشيوعية في الوطن العربي. وقد كان انشاء اسرائيل نقطة التقاء بين المخطط الامبريالي لمنع الوحدة باعتبارها تمثل الخطر الاكبر على مستقبل المصالح الامبريالية في الوطن العربي وبين مخطط الصهيونية العالمية كما كان عدم الانتباه الى هذه الحقيقة هو احد العوامل التي سادت في ابتعاد المعسكر الاشتراكي عن مواجهة التآمر على الوحدة بموقف متعاطف ومساند للعمل الثوري العربي.

لقد نشأت أحزاب كثيرة في الثلاثينيات والاربعينيات لم يكن همها سوى محاربة فكرة الوحدة ومقاومة استراتيجية تثبيت فكرة الوحدة، وقد كان للصراع الايديولوجي الذي رافق هذه المراحل اثره في انضاج المرحلة الجديدة أي مرحلة الدخول في تطبيق فكرة الوحدة وبدء استراتيجية تحقيق وحدة عربية على اسس تقدمية واشتراكية وعندئذ لا بد للاستراتيجية الامبريالية ان تضاعف جهودها في ضرب هذا الخطر المتنامي على مصالحها. فقد ادرك التحالف الصهيوني ـ الاستعماري النتائج الخطيرة التي أدى اليها النضال الوحدوي الذي كان يغلب عليه الطابع الايديولوجي في المرحلة السابقة لنشوء وحدة ١٩٥٨. وان الوحدة العضوية للنضال العربي في تلك المرحلة هي التي كان لها الدور في فضح الاشكال المزيفة والمنحرفة للاستقلال السياسي الشكلي يضع امكانيات القطر العربي المستقل في طريق الوحدة ولا يضعها في خدمة القضية الفلسطينية التي تشكل ركيزة الثقل الاساسية في النضال العربي ولا يعطي لهذا الاستقلال مضمونه الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والذي يكتفي من الاستقلال بنقل السلطة الظاهرية من ايدي الاجنبي الى أيدي الطبقات البرجوازية والاقطاعية المتحكمة. كما ادرك التحالف الصهيوني ـ الاستعماري ان نضال الوحدة قد كان له الدور الاساسي في اسقاط الاحلاف الاستعمارية في الخمسينيات وفي نجاح ثورة الجزائر وفي القضاء على العزلة المصطنعة التي كانت تبعد مصر عن النضال العربي وعن المساهمة في قيادته. وهو الذي الهب مشاعل الثورة في اكثر البقاع العربية بعداً عن مراكز النضال العربي المعاصر وبالتالي في قيام وحدة ١٩٥٨ بين سورية ومصر

وفي قيام ثورة ١٤ تموز في العراق. وقد رافق دخول الأمة العربية في مرحلة تحقيق الوحدة بظهور تطورات جديدة في الافق الدولي وخاصة فيما يتعلق بعناصر الصراع في المنطقة العربية.

كانت الولايات المتحدة الامريكية قد بدأت منذ الاربعينيات تدخل بصورة مباشرة الى حلبة الصراع في المنطقة وقد برز هذا الدور بعد العدوان الثلاثي (الامبريالي ــ الصهيوني) عام ١٩٥٦. وقد طرحت نظرية الفراغ ومبدأ ايزنهاور بعد انحسار النفوذ البريطاني ــ الفرنسي كمقدمة لتثبت الولايات المتحدة الامريكية اقدامها حيث تراجعت حليفتها وحيث بدأ النضال العربي يكسب مواقع جديدة بدأ النفوذ الامريكي ينفذ الى المنطقة تحت شعار محاربة الشيوعية والخطر الشيوعي. وفي الوقت الذي كانت فيه ابسط مسلمات المعركة مع هذا الخطر الجديد على القضية العربية الذي نشأ بدخول الولايات المتحدة دخولا مباشرا في المنطقة تتطلب مزيدا من التآزر والدعم من قبل المعسكر الاشتراكي للتيار التحرري العربي ومزيدا من الوحدة بين القوى التقدمية في الوطن العربي كان النضال العربي يواجه الى جانب تآمر العدو النتائج السلبية لعوامل كثيرة وفي مقدمتها سوء الفهم المتبادل بين حركة التحرر الوحدوي وبين القوى التقدمية والاشتراكية على الصعيدين الداخلي والدولي. وقد كان سوء الفهم المتبادل هذا واحداً من العوامل التي ساهمت في اضعاف الموقف العربي الثوري وفي افساح المجال امام العناصر الرجعية للاستغلال وامام المزيد من التشويه لاهداف النضال الوحدوي التحرري وامام محاولات التزييف والانحرافات التي ظهرت بعد فشل تجربة الوحدة. هذا بالاضافة الى التناقضات وانواع التمزق والانحراف التي ظلت تفعل فعلها في كل من ثورات ٢٣ يوليو في مصر و١٤ تموز و١٤ رمضان في العراق وثورة الجزائر وثورة ٨ آذار في سورية الى ان تكشفت بشكل واضح في حرب حزيران.

ان قاسما مشتركا من التناقض كان يقوم بين حركة التحرر العربي من جهة وبين الاستراتيجية العدوانية الامبريالية ــ الصهيونية والاستراتيجية السوفياتية من جهة اخرى وقد بقي التناقض الاول مكشوفا رغم كل محاولات السياسة الامريكية لتمويه تحالفها مع الصهيونية ولاستغلال موقفها من عدوان ١٩٥٦ على صعيد العمل السياسي الرسمي في الوطن العربي. اما التناقض الثاني: أي التناقض مع استراتيجية الاتحاد السوفياتي فقد بقي محاطا بالكثير من معالم التغطية والتمويه على الصعيد الرسمي، فمواقف الاتحاد السوفياتي الصديق من قضايا التسلح والقروض والدعم المعنوي خلال الازمات الحادة مع الامبريالية قد غطى على المستوى الرسمي التناقض القائم بين الاستراتيجية السوفياتية وبين حركة الثورة العربية وخاصة في النقاط الرئيسية التالية :

١ــ موضوع الوحدة والتيار الوحدوي.

٢ــ موضوع قضية فلسطين والموقف من الوجود الصهيوني فيها.

٣ــ تبني الانظمة القطرية ذات الطابع العسكري والطابع الثوري اللفظي الخانقة للاتجاه الوحدوي ولفعالية الجماهير .

ومن جراء ذلك كله كان النضال الجماهيري العربي الثوري الوحدوي الاشتراكي يحارب على اكثر من جبهة:

أ ــ جبهة التحالف الصهيوني الاستعماري الرجعي.

ب ــ جبهة التخلي الاشتراكي.

ج ــ جبهة الانظمة القطرية ذات الطابع العسكري.

د ــ جبهة القوى التقدمية الداعمة للانظمة القطرية.

وقد ساعد هذا التعدد في الجبهات وضعف الوسائل على ابقاء هذا النضال في حالة اختناق الى ان وقعت نكبة الخامس من حزيران كنتيجة طبيعية لهذه الازمة الدائمة التي كان يعيشها النضال العربي خلال مرحلة الستينيات . لقد جاءت نكبة حزيران مع سلسلة من النكسات والنكبات والهزائم التي اصيبت بها الحركة الثورية في العالم من جراء الهجمة الاستعمارية والتحالف الصهيوني ــ الامبريالي ــ الرجعي والتمزق داخل المعسكر الاشتراكي . الا ان نكبة حزيران كانت دون أي شك اوجع الضربات في هذه السلسلة من المؤامرات الدولية لانها كانت بالنسبة للفكر العربي الثوري متوقعة وغير مفاجئة . فقد جاءت ثمرة للتمزق الذي مارسته جهات متعددة داخلية وخارجية وطنية واجنبية تقدمية ورجعية خلال مرحلة الستينيات من النضال العربي .

فهي لم تكن نتيجة لعدوان خارجي قضى على ما قدمه النضال العربي الثوري خلال ربع قرن من مكاسب للقضية العربية فحسب بل هي ايضا نتيجة لعملية تخريب داخلية لهذا النضال استغلها العدوان واستغل نتائجها اشنع استغلال . وعلى هذا الاساس فان نكبة حزيران تصلح ان تكون ضوءاً كاشفا على المرحلة السابقة وعلى حقيقة الواقع السياسي قبل النكبة وبعدها . فقد ترك لنا الاستعمار قبل ان يجلو عن الارض العربية كما ترك في كل بقعة جلا عنها في ارجاء العالم تناقضات تسهل له عملية الحضور الدائم في المنطقة . فهو باستغلاله لمشكلة الاقليات القومية والطائفية وغيرها من المجالات الاقتصادية والثقافية والمصالح والطبقات قد ابقى الاستقلال القطري في معظم الأقطار العربية مجرد ستار شفاف لا يكاد يحجب وجوده ونفوذه المؤثرين في

المنطقة العربية. لذلك لم يكن عسيرا على التحالف الصهيوني ـ الاستعماري ـ الرجعي ان يمكن للوجود الصهيوني في فلسطين وان يلحق اول محنة في حياة العرب المعاصرة عام ١٩٤٨ فهو بالاضافة الى استغلاله لكل مظاهر التخلف والتجزئة قد استطاع ان يوجد لغة مشتركة قائمة على مصلحة مشتركة بينه وبين العدد الكبير من الانظمة العربية يعتمد عليها في فرض مخططاته وتحقيق استراتيجيته دون عناء كبير فقد سهل الانتماء الطبقي للحكومات العربية المهمة التي انتدب التحالف الصهيوني الامبريالي الرجعي واستعان بها على كبت التحرك الجماهيري الذي انطلق بقوة وزخم كرد فعل على النكبة الاولى . وعندما عجزت تلك الحكومات عن مقاومة ذلك المد الشعبي الذي بدأ يعكس ملامح الثورة الحقيقية بسبب التحامه المتزايد مع الايديولوجية العربية الثورية حاول ان يستغل الانقلابات العسكرية التي جاءت كرد فعل على عجز تلك الحكومات عن مواكبة المرحلة التي جاءت بعد النكبة والتي سقطت تباعا بعد عام ١٩٤٨ . وقد كان نجاح الاستعمار القديم في هذه المهمة محدودا لان تلك الانقلابات اعتمدت على الحد الادنى من التعاطف مع اندفاعة الجماهيربعد النكبة وكانت قمة الفشل بالنسبة الى الاستعمار البريطاني ـ الفرنسي فشل العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ونجاح ثورة الجزائر ، وقد ادى هذا الفشل الى تبديل بعض المسلمات والركائز التي كان يقوم عليها الواقع السياسي في المنطقة العربية . فعلى الصعيد الشعبي كانت الحركة العربية الثورية قد كسبت مواقع جديدة هامة بعد ان اصبح شعار وحدة النضال العربي حقيقة راسخة تحرك الجماهير العربية من المحيط الى الخليج . وبعد ان سقطت الانقلابات العسكرية التي نجح الاستعمار القديم في السيطرة على مقدراتها (انقلاب حسني الزعيم والحناوي واديب الشيشكلي) وانتقلت الحركة العربية الثورية من مرحلة النضال السياسي ذات الطابع الجماهيري العفوي الملتحم بالايديولوجية العربية الثورية الى مرحلة العمل الاستراتيجي الهادف لوضع شعارات تلك الايديولوجية موضع التطبيق فقد كان اشتداد النزعة القومية والوعي الديمقراطي والاشتراكي الدعامة التي انطلقت منها الحركة العربية الثورية في المرحلة الجديدة الى طرح شعار الوحدة السياسية بين سورية ومصر عام ١٩٥٦ والى التخطيط والاعداد لتحويل هذا الشعار الى حقيقة واقعة تفرضها الجماهير والى طرح فكرة الجبهة القومية الشعبية على نطاق الوطن العربي عام ١٩٥٧. وقد كان قيام الوحدة عام ١٩٥٨ النتيجة المفاجئة والمذهلة للمخططات الاستعمارية والحدث التاريخي الذي هدد الوجود الصهيوني الامبريالي الرجعي وقلب موازين القوى في المنطقة رأسا على عقب. هذا على الصعيد الشعبي أما على الصعيد الرسمي فقد

ادى انحسار الاستعمار القديم المتمثل بالاستعمار البريطاني والفرنسي النسبي وفشله الى بدء مرحلة جديدة تسيطر عليها قوى واساليب جديدة كان همها الاول ضرب المنطلقات الاساسية للمد التحرري الوحدوي أي ضرب الوحدة وخنق فعالية الجماهير وتشويه الخطوات الاشتراكية وتفشيلها ومحاربة القومية عن طريق الاشتراكية القطرية وافساد المناخ الثوري بأجواء دخيلة على النضال العربي وبأساليب لا اخلاقية . فالاستعمار الجديد بقيادة الولايات المتحدة استطاع بالتحالف مع الاستعمار القديم ان يجدد بعض الاحلاف (السنتو) وان يزيف استقلال تونس وليبيا وان يرسل قوات الحلف الاطلسي الى الجزائر بعد عام ١٩٥٦ وان يربط السعودية به وان ينقذ العرش الاردني من مهاوي السقوط تحت ضربات الحركة الشعبية وان يتدخل تدخلا مباشرا في لبنان وان يطوق ثورة ١٤ تموز في العراق وان يدبر انقلاب ١٧ تشرين الثاني في السودان الذي قادته طغمة عبود العسكرية وان يربط القطر السوداني به بعد ثورة تشرين الاول ١٩٦٤ عن طريق جناح الصادق المهدي في حزب الأُمة وقيادة الحزب الوطني الاتحادي وقد سهلت الرجعية العربية بالاضافة الى انحرافات الاحزاب الشيوعية مهمة المخطط الاستعماري الصهيوني لضرب التيار الوحدوي في الوطن العربي وفك الوحدة وتفتيت القوى الثورية واغراقها في التنافس السلبي والصراع الداخلي .. الامر الذي جعل التناقضات الثانوية تحتل المرتبة الاولى وتطغى خلال هذه المرحلة .

فمنذ الانفصال ١٩٦١ والحركة العربية الثورية على الصعيدين الرسمي والشعبي مشغولة بخلافاتها وتناقضاتها عن العدو وتعيش مرحلة تمزق وتشتت وضياع كان لا بد ان تنتهي الى الكارثة. فقد تميزت هذه المرحلة شأن كل مرحلة هبوط وتردي ببروز الظواهر السلبية التي كاد المجتمع ان يتجاوزها من جديد كالنزعات الاقليمية والقطرية والعشائرية والطائفية والفردية وظهور نمط جديد من الثورية الطفيلية اللفظية أقرب ما تكون الى العبث الثوري تميزت بالتناقض المذهل بين الشعارات والمواقف وبالخلل بالمقاييس النضالية وتقديم السلطة والتطلع الى السلطة على الاهتمامات والاعتبارات النضالية الشعبية وتحويل السلطة الى تسلط على الجماهير والمناضلين والحاق المنظمات الجماهيرية الحاقا تبعيا بالسلطة ووضع النظام ومسألة بقاء النظام فوق أي أعتبار قومي أو أنساني. وقد كانت هذه العيوب والانحرافات والامراض ظواهر مشتركة في الانظمة التقدمية العربية قبل الخامس من حزيران. وبها واجهت التحالف ودخلت المعركة معه فكانت الهزيمة المريعة التي اضافت الى تصاعد تآمر النظم الرجعية، فشل العقليات والبرامج

والاساليب التي انتهجتها النظم المسماة بالتقدمية وكان لا بد للمرحلة التي جاءت بعد محنة ١٩٦٧ ان تفعل في الواقع العربي ما فعلته النكبة الاولى على الاقل فتكشف المرحلة الجديدة كل الاقنعة المزيفة التي تقنعت بها الانظمة التي نسبت الى نفسها الثورية في المرحلة السابقة وتفسح المجال بعد ان نضجت الظروف الموضوعية لظهور مستوى جديد ونوعية جديدة في العمل الثوري وآفاق واسعة وعميقة قادرة على استيعاب الهزيمة والاعداد للمعركة المقبلة وتحويل النكبة الى تجربة ايجابية والهزيمة الى منطلق للنصر.

ان ثورة ١٧ تموز ١٩٦٨ في العراق والتحرك الثوري في السودان في ٢٥ أيار ١٩٦٩ وفي القطر الليبي في ١ـ ٩ ـ ١٩٦٩ يفترض انها تتضمن أمكانية تحقيق الشروط المطلوبة للثورية في المرحلة الراهنة فهي نتيجة لتفجير النقمة الشعبية والتطلع الى مستوى جديد وكما أن هناك ظواهر متشابهة في " الانظمة العربية التقدمية " قبل الخامس من حزيران تعكس حقائق المرحلة السابقة كظهور اتجاهين:

اتجاه السلطة واتجاه العمل الجماهيري والاستعانة بالسلطة لحسم الخلافات حتى داخل المنظمات الحزبية وضربها من داخلها وممارسة التعذيب والاضطهاد للمناضلين ورفض العمل الجبهوي وأحلال التاكتيك محل الاستراتيجية ومحل النظرية والعقم الفكري والتردي الخلقي والديماغوجية...الخ. كذلك فان ثمة ظواهر متشابهة جديدة بدات بوادرها تظهر في التفسيرات الثورية التي حدثت بعد النكبة . وهي تشير الى الملامح الجديدة للمرحلة . فالخروج نهائيا من قوالب التجزئة ومن اطار الصيغ القديمة للعمل الحزبي المنغلقة السلبية الجامدة والارتفاع الى مستوى جديد في الوعي وفي التخطيط وفي التاكتيك والتصميم على تحويل الهزيمة الى منطلق لتصحيح شامل وعميق في مختلف جوانب الحياة العربية هي الملامح المشتركة التي تفرضها المرحلة على الأنظمة الجديدة التي جاءت بعد النكبة وعلى هذا الاساس فان الواقع السياسي للوطن العربي يتضمن أربعة نماذج كبرى من الانظمة السياسية:

١ـ الانظمة الرجعية ذات التكوين الاجتماعي المتخلف والمتحالفة بصورة مكشوفة مع الامبريالية.

٢ـ الانظمة الرجعية ذات التكوين الاجتماعي المتطور نسبيا.

٣ـ الانظمة التقدمية التي تمثل المرحلة السابقة للنكبة.

٤ـ الانظمة التقدمية الجديدة بعد الخامس من حزيران.

ان النموذج الجديد للانظمة السياسية الذي جاء بعد ٥ حزيران لا يمكـن ان يكـون جديـدا بالمعنى الثوري الا اذا ارتفع الى المستوى الجديد الذي تفرضه المرحلة الجديدة للثورية وتخلص من أمراض المرحلة السابقة التي تتركز في:

أ ـ سيطرة العقلية القطرية والاساليب التي تنطلق من التسـليم والتبنـي للتجزئـة القطريـة.

ب ـ العقلية البونابرتية البيروقراطية التي تهمل دور الجمـاهير وتحـارب الحزبيـة الثوريـة الجماهيرية أو تضع في احسن الاحوال الفكر الثوري والاحزاب الثورية في مسـتوى الاداة في يد السلطة والتسلط والتي لا تؤمن ولا تلتزم بالقيادة الجماعية.

ج ـ التقوقع والانغلاق الحزبي ومحاربة العمل الجبهوي.

د ـ اهمال الكفاح المسلح وأعاقة تطويره الى حرب شعبية حقيقية.

هـ ـ تزييف نضال الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين والوقوف في وجه مشاركتها الجدية في قيـادة النضال.

و ـ القبول بالحل السلمي أو رفضه شكليا دون تهيئة الشروط الموضوعية للتحرير.

ان تخلص النموذج الجديد للانظمة السياسية من نقاط الضعف تلك التي تميز عقلية البرجوازية الصغيرة هو الشرط الاساسي لقدرتها على الارتفاع الى المستوى المطلوب الذي تفرضه المرحلـة الراهنة.

ان غلبة العقلية والمنطق القومي واعتبار تحقيق استراتيجية الوحدة هو المنطلـق الرئيسـي بالاضافة الى أعتبار العمل الحزبي العقائدي هو الاساس الثابت للعمل السياسـي النـاجح وكذلـك أطلاق فعالية الجماهير والتزام العمل الجبهوي كصيغة مساعدة على تحقيق الانسجام والوحدة بين قوى الثورة العربية وربط العمل الجبهوي بالكفاح الشعبي المسلح واتخاذ التدابير الكفيلة بتحقيـق المشاركة الجدية للطبقة العاملة في قيادة النضال العربي ورفض الحل السـلمي رفضـا اساسـيا وتهيئة الشروط اللازمة لوضع الكفاح المسلح على طريقه الصحيح في مواجهة التحدي الامبريالي الصهيوني وضرب الرجعية العربية واستئصال كل جذور العمالة والتامر على الثورة العربية.

ان ذلك كله يشكل الاطار العام للصورة التي يجب ان تميز الوجه الجديد لنماذج الحكم بعد نكبة الخامس من حزيران حتى تكون جديرة بهذه الولادة التي تحملها مسؤوليات تاريخية كبرى.

انطلاقا من هذه الحقائق فان الانظمة العربية تواجه الاحتمالات التالية:

أ- الرضوخ لمشاريع الحل السلمي التي هي في جوهرها تتفق حول نقطة واحدة : القبول باسرائيل وبالتالي تحويل المنطقة العربية الى مدى حيوي لاستغلالها الاقتصادي واطماعها السياسية وسلوكها العدواني.

ب - خوض حرب شاملة قريبة تؤدي الى هزيمة عربية جديدة نكون احد المساهمين فيها.

ج - خوض حرب الاستنزاف . وحرب الاستنزاف هي الاخرى تحمل باحتمالات يمكن رصدها سلفا على الوجه التالي:

١- ان تكون حرب استنزاف غير فعالة لا تعرقل مخططات اسرائيل في تهديد المنطقة العربية ولا تحد من قدرتها على استثمار انتصارها العسكري في الخامس من حزيران .

وهذا النوع من حرب الاستنزاف هو في حقيقته يحقق نفس الاغراض المطلوبة من تمرير مشاريع الحل السلمي مع فارق انه قد يسمح بانقاذ ماء وجه الانظمة العربية .

٢- حرب استنزاف فعالة تدفع اسرائيل الى الرد بضربات انتقامية موجعة تكشف ضعف الاستعداد العربي للمجابهة خاصة اذا ما استخدمت اسرائيل طائرات فانتوم وغيرها من وسائل التفوق العسكري التي تزودها بها الامبريالية الامريكية .

٣- حرب استنزاف تتصاعد بشكل حاد حتى تتحول الى حرب شاملة. واذا حدث هذا التحول بسرعة فان النتيجة معروفة سلفا ايضا هزيمة اخرى للانظمة العربية.

اذن فالانظمة العربية في مأزق تاريخي في أزمة تاريخية فكيف الخروج منها؟

ان الصراع مع اعداء الامة العربية لا يتوقف وهم لا يتركون الانظمة العربية كي ترتب اوضاعها من جديد فلا بد اذن من تحديد استراتيجية كفاحية تضع الثقل الكمي للجماهير العربية امام التفوق النوعي لطاقات العدوان الاسرائيلية والامبريالية: أي استراتيجية حرب التحرير الشعبية.

أن حزبنا هو أقدر الحركات الثورية العربية على تحقيق هذه الاستراتيجية لانه حركة شعبية جماهيرية قبل أن يكون قوة حاكمة وسلطته في العراق تستند الى جماهير معبئة في اطارات ثورية ذات تقاليد كفاحية عريقة.

أن سلطة الحزب في العراق أشد الانظمة العربية حاجة الى انتهاج هذه الاستراتيجية لانه يواجه اخطار نوايا عدوانية توسعية مزدوجة أسرائيلية وايرانية.

أن قدرة الحزب كسلطة ثورية في القطر العراقي على انتهاج استراتيجية حرب التحرير الشعبية هي محك لتميزه النوعي عن أنظمة ما قبل الخامس من حزيران.

أن النماذج الثلاثة الاولى تعاني من آثار النكبة التي وصلت تناقضاتها الى حد الانفجار وهي تستمد مبررات بقائها ووجودها المنافي لطبيعة المرحلة الجديدة من دعم القوى والمصالح المرتبطة ببقائها سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي.

أما النموذج الاخير فان كل تقدم يحرزه في تجسيد حاجات المرحلة يعجل في انهاء النماذج السابقة وفي اسقاطها وفي فتح آفاق جديدة أمام العمل العربي الثوري أما اذا سمح هذا النموذج الجديد لامراض المرحلة السابقة أن تنخر فيه وتتسرب اليه فان ذلك سيكون بمثابة شحنة جديدة تعطى للنماذج السابقة، وتمييع جديد للمرحلة الثورية الراهنة. فهو اذن أمام امتحان تاريخي يجب أن توضع كل الجهود الثورية من أجل النجاح فيه.

أما على الصعيد الشعبي فان بروز العمل الفدائي بعد نكبة الخامس من حزيران يشكل عنصرا جديدا من عناصر تكوين الواقع السياسي يساعد على دعم النموذج الجديد من الانظمة الثورية كما أن ميلاد هذا النموذج الجديد يساعد بدوره على أنقاذ العمل الفدائي من محاولات التطويق والتصفية والتآمر ومن الآفاق الضيقة التي تعزله عن محيطه العربي الثوري الواسع ويحقق له شروط تحقيق أستقلاليته وتوحيده وتطويره. وهو المجال الجديد الذي يمكن ان تبرهن القوى الثورية العربية من خلاله على قدرتها على تمثيل المرحلة الثورية الجديدة والتلاؤم مع متطلباتها.

أن القوى السياسية أمام أمتحان لا مفر منه فهي لن تتمكن من استيعاب المرحلة الجديدة الا اذا أستوعبت أخطاء المرحلة السابقة وانطلقت من فهم جديد لنفسها ولشعبها وللعمل العربي الثوري ومن تخطيط متكافئ مع الدور الذي تفرضه المعركة القومية على كل قوة ثورية في المرحلة الراهنة.وما تزال قليلة ونادرة تلك الحركات السياسية التي عمدت الى نقد ذاتها بعد الخامس من حزيران والى أعادة النظر في أوضاعها وأساليب عملها على ضوء المحنة ومتطلباتها والتي حققت تطورا في مواقفها من القوى السياسية الاخرى وتخلصت من ردود فعل المرحلة السابقة وجددت نظرتها واستراتيجيتها وتاكتيكها وتهيأت لان، تلعب الدور الخطير وتنهض بالمسؤوليات الكبرى التي تضعها المرحلة الثورية الراهنة على كاهل القوى الثورية العربية. لقد كان من نتائج النكبة أن تحطمت جدران من العزلة كانت تباعد ما بين قوى الثورة العربية. الا أن الظروف الموضوعية الملائمة للعمل الثوري الايجابي والمحتمة لتجاوز الصيغ

القديمة التي شوهت وجه النضال العربي ما تزال هذه الظروف الموضوعية تصطدم بالعوامل الذاتية المتخلفة عن تمثل الاجواء الجديدة وأستيعاب متطلباتها بعد الخامس من حزيران. لقد كان الجدل بين العوامل الذاتية والعوامل الموضوعية في المرحلة السابقة للنكبة يتم لصالح الطرف الاول فكان لا بد ان ينأى النضال العربي عن خطه التاريخي الصاعد وان ينتكس. وقد كانت الستينات بوجه عام هي أعوام غلبة الذاتي على الموضوعي ومن هنا كان التشويه الذي لحق بالنضال العربي وبكل مظاهر هذا النضال ومؤسساته وادواته. والان تأتي النكبة لتعكس المعادلة لصالح الطرف الثاني أي لصالح العوامل الموضوعية.

فالظروف السياسية للواقع العربي في المرحلة الراهنة في منتهى الجدية والخطورة وهي تطرح شروط الحياة أو الموت وشروط البقاء أو الفناء، وهي تتطلب على ضوء هذه الجدية والوضوح أن تخرج القوى الثورية في الوطن العربي من مواقعها الماضية من عزلتها وغرورها وجهلها وتجاهلها للواقع وضعفها الاخلاقي وأن تحقق الشروط اللازمة للسيطرة على الظروف الموضوعية والانسجام معها. فالقوى العربية الثورية في وضعها الراهن (المجزأ) غير قادرة ليس على تحقيق النصر فحسب بل حتى على استيعاب الهزيمة. وهي في هذا الوضع عاجزة ليس عن قيادة الجماهير فحسب بل حتى عن التخلص من موقف الشك في قدرتها على هذه القيادة. وليس اعداد الوسائل للمعركة مع العدو الامبريالي والصهيوني بل حتى عن التخطيط النظري لها. فالتخطيط النظري يتطلب بالدرجة الاولى نظرة أولية سليمة وهي غير متوفرة في الوضع الراهن لانها لا توجد الا مع حد أدنى من الشعور بالثقة وبالقوة وبالامل بالنصر في وقت غير بعيد.

وهذا الحد الادنى لا يتوافر الا بانسجام الذاتي مع الموضوعي في المرحلة الراهنة أي تحقيق الشرط الاولي المطلوب وهو تحقيق الجبهة القومية على مستوى الوطن العربي التي تتمثل فيها وحدة القوى العربية الثورية أمام العدو ومخططات التآمر على مصير الامة العربية وقضيتها في .. الوحدة.. والحرية.. والاشتراكية.

تحـــديـــد طبيعـــة المرحــــلـــة

لقد اعتبرت أستراتيجية المؤتمر القومي التاسع المرحلة الراهنة التي بدأت بعد نكبة حزيـــران حدا تاريخيا فاصلا بين عهدين .. بين ثورية ما قبل الهزيمة وبين الثورية الجديدة التي تتطلبــــها مرحلة ما بعد النكبة. فهي مرحلة ولادة جديدة ومرحلة تأسيس جديد تشبه مرحلة الاربعينيات التي شهدت مولد الايديولوجية العربية الثورية.

ان ما من شيء قد أساء الى قدسية النضال في المرحلة السابقة بقدر ما أساء ذلك النوع مـــن العبث الثوري اللامسؤول الذي خرج عن الخط التاريخي للعمل الثـــوري العربـــي وتخلـــى عـــن الجماهير وعن الاهداف الثورية وجعل من السلطة ومن تطلعه ألنهم الى التمسك بـــها وبـــالقوالب القطرية الغاية الكبرى وأستعان على ذلك باستغلال كل ما تبقى في الواقع العربـــي مـــن أوضـــاع متخلفة ومن رواسب وسخر الاهداف، والجماهير والمنظمات أدوات للوصول اليها وفتك بها عندما أصبحت عقبة في الطريق وفي الاستمرار في الانحراف وكاد يقضي على كل ماتبقى للعمل الثوري العربي من رصيد تاريخي بعد ان عمل فيه تخريبا وتشويها وتزييفا.

وان ما من شيء قد ساهم في فضح هذا المستوى من الثورية بقدر ما ساهمت هزيمة حزيران عام ١٩٦٧ فلا بد اذا أن يكون تحديد طبيعة المرحلة الراهنة هو المنطلق في تحديد هويـــة هـــذه الثورة الجديدة التي تتطلبها المحنة.

فالتحليل العام لمرحلة النكبة التي نعيشها يلقي أضواء كاشفة على المستوى الذي يجب أن يرتفـــع اليه العمل العربي الثوري بعد الخامس من حزيران.

أن نظرة نقدية الى التحليلات المتعددة التي صدرت عن مختلـــف القـــوى السياســـية لطبيعـــة المرحلة الراهنة تكشف عن نقص مشترك يتلخص في كونها قد عبرت عـــن نظـــرات جزئيـــة لا تستوعب المرحلة من جهة كما انها بدت لاصقة بأفكار مسبقة وبآفاق ضيقة وبمصـــــالح تحجـــب رؤية المرحلة على حقيقتها.

ان المرحلة الراهنة كما تبدو من خلال واقع الهزيمة المباشر هي مرحلة مواجهـــة مصيريـــة للعدوان الصهيوني ــ الامبريالي. فهي مرحلة دفاع عن الوجود وعن الحرية اللذيـــن اســـتلبهما العدوان وهي مرحلة دفاع عن المصير أمام المخطط التوسعي الصهيوني الرامي الـــى اســـتخدام التوسع وسيلة لفرض الصلح على العرب وأرغامهم على التخلي عن حقهم وعن مستقبل قضيتهم.

فهي مرحلة مجابهة للتحدي ومرحلة اعداد للمعركة المقبلة التي هي معركة تحرير ومعركة انبعاث قومي. بيد أن التحليل العلمي لتطور الواقع العربي يكشف من خلال أستقراء أحداث الخمسينيات والستينيات أبعادا أخرى لا يستوعبها واقع الهزيمة المباشرة. فالاندفاعية الجديدة التي انطلقت منها الحركة العربية الثورية في الاربعينيات كانت تعتمد على بنية طبقية متقدمة ثوريا على جميع البنى الطبقية لواقع الانظمة التي كانت تقوم آنذاك على الطبقة البرجوازية وعلى الاقطاع.

ان البرجوازية الصغيرة التي قامت عليها الحركة العربية الثورية ما لبثت أن حققت تقدما كبيرا على الصعيد السياسي فاحتلت بعد النكبة القومية عام ١٩٤٨ مواقع متقدمة على الصعيدين الرسمي والشعبي وكان ميزان الصراع بين البرجوازية الصغيرة وبين الطبقة الاقطاعية والطبقة البرجوازية في الخمسينيات يرجح لصالح البرجوازية الصغيرة. الا أن الذي حصل في أواخر مرحلة الخمسينيات هي أن البرجوازية الصغيرة قد حققت على الصعيد الرسمي تقدما أسرع منه على الصعيد الشعبي الامر الذي أدى الى نشوء والى ظهور أزمة تمرد داخل الحركة العربية الثورية فالتنبه والوعي القومي اللذان أخذا ينتشران ويعمان في الريف والحجم والتنظيم المتناميان للطبقة العاملة الناشئة في المدن. هذه العوامل كلها ساهمت في خلق قاعدة طبقية واسعة غير منظمة للايديولوجية العربية الثورية متعاطفة مع الحركة العربية الثورية التي كان يغلب عليها التكوين الطبقي البرجوازي الصغير. وعندما توجت مرحلة الخمسينيات بقيام وحدة ١٩٥٨ وبقيام ثورة ١٤ تموز وبصمود ثورة الجزائر كانت الجماهير العربية الثورية تملأ الشارع العربي من المحيط الى الخليج وتشكل قوة نضالية وقوة دفع تاريخي للنضال العربي وتملك المقاييس الثورية وتتجاوز بذلك التجزئة وتتفاعل مع الاحداث وتعلن عن بدء مرحلة جديدة ذات مستوى جديد في الفكر وفي الوسائل، ولكن قيادة البرجوازية الصغيرة فشلت في تحقيق هذا المستوى وأتاح فشلها لبقايا الطبقة البرجوازية ولشبه الاقطاع فرصة للعودة الى المسرح السياسي وتحقيق نكسة كبرى في النضال العربي كان من نتائجها ضرب الوحدة وقيام الانفصال وانعاش الحركة الرجعية في الوطن العربي من جديد.

كما كشف هذا الفشل للجماهير العربية الثورية عن التناقضات التي كانت تعيش عليها الحركة العربية الثورية في جميع فصائلها وأحزابها وأدركت أن الحاجة الى تجديد بنية القوى العربية الثورية باتت تشكل حاجة أساسية من حاجات المرحلة.

والتقى الوعي الجماهيري مع الوعي الداخلي الذي كان قد بذر داخل تلك القوى بذور تيارات جدية للتصحيح.

الا أن بعض فصائل البرجوازية الصغيرة أستطاعت أن تستفيد من عجز الطبقة البرجوازية وأن تستغل الانفصال وأن تحتل من جديد المواقع الأمامية في السلطة وأن تلغي الدور القيادي للطبقة البرجوازية من جديد. ولكنها نجحت في الوقت نفسه في تطويق تحرك الجماهير الثوري وفي خنق المبادرات الثورية وضرب تيارات تصحيح وتجديد المرحلة.

أن هذا التحليل الطبقي لتطور العمل العربي الثوري قبل نكبة ١٩٦٧ لا يمكن أن يستوفي طابعه العلمي الا اذا اقترن بالتحليل السياسي وبتحليل التيارات الفكرية العقائدية التي رافقت الخمسينيات وهذا ما سبقت الاشارة اليه في القسمين السابقين من هذا البحث عندما جرى تحليل الواقع السياسي في الوطن العربي قبل النكبة وكلا التحليلين ينتهيان الى نتيجة واحدة: وهي أن الخامس من حزيران هو اعلان عن انتهاء مرحلة وهي مرحلة قيادة البرجوازية الصغيرة وبدء مرحلة قيادة الجماهير الثورية. أي مرحلة الالتحام الاستراتيجي المنظم والمخطط بين هذه الجماهير وبين الايديولوجية العربية الثورية.

اذن المرحلة الراهنة هي مرحلة انتقال تتم من خلالها بلورة مستوى جديد للثورة العربية. المرحلة اذن تساوي مستوى علمي جديد وعمل شعبي واسع وربط جدلي بين السياسي والأجتماعي وأعتبار البدء بالوحدة هو الحد الادنى المطلوب لتحقيق الشروط الاولية للمستوى الجديد.

أن المرحلة الراهنة ترفض الاخطاء الفكرية والسياسية والاجتماعية للمرحلة السابقة ترفض القطرية والذرائعية والديماغوجية والاساليب المتجاوزة للشعب والمبادئ ومنطق المغامرة والمجازفة اللامسؤول وترفض الممالاة والمساومة كما ترفض التعصب والتحجر.

انها مرحلة انتقال الى مستوى جديد من الفكر والعمل والتخطيط والتنفيذ يتمثل فيه النضج الثوري. على ضوء ذلك ندرك تخلف الاراء والمواقف التي لم تتوفر فيها بعد خصائص المرحلة الجديدة عن استيعاب النكبة وعن فهم متطلباتها والارتفاع الى مستواها. فكل نقد لثورية المرحلة السابقة للنكبة لا يقدم بديلا ناضجا لهذه الثورية انما يكون لحساب الرجعية وعملية رد أعتبار لها. وكل تمسك بالمنطق القومي يذهب الى حدود أعتبار المنطلق الاجتماعي هو المسؤول عن النكبة ويدعو الى التخلي عن أحد قوانين التطور الاجتماعي المتمثل بالصراع الطبقي هو منطق تحريفي

متخلف ينظر الى الوحدة القومية على انها تجميع للمتناقضات لا على انها وسيلة لحلها وتجاوزها. كما أن كل اهمال للمنطلق القومي أو تمسك بالمنطلق الاجتماعي على حساب الاول هبوط عن المستوى الثوري وترد الى مستوى اصلاحي قطري معيق لمسيرة الثورة.

ان الجدل الخاص بالتجربة العربية الثورية المعاصرة هو الربط بين القومي والاجتماعي وقد كان الخلل في معادلة الربط بينهما هو السبب الرئيسي لضياع سلم الاوليات ولوضع التناقضات الثانوية قبل التناقضات الرئيسية وفوقها والانحدار بخطى متسارعة نحو الهزيمة.

ان الاجوبة الخاطئة على العيوب والنواقص والانحرافات الكامنة في المرحلة السابقة يبقي النضال العربي في نفس المواقع ولايدفع به الى الامام. فالجواب على القطرية التي تنطلق من التجزئة ومن تعميقها هو الموقف القومي الذي يرفضها ويضع الوحدة في البدء. ان الجواب على اللاوحدة يكون بوحدة ثورية يلتحم فيها القومي بمضمونه الديمقراطي الاشتراكي، لا بوحدة على الفردية أو التسلط ولا بوحدة جامعة للتناقض.

والجواب على العبث الثوري يكون بثورية ناضجة لا بارتداد الى مواقع اليمين. والجواب على غياب الاستراتيجية يكون بالتخطيط الاستراتيجي وليس بالاكتفاء بالتكتيك.

والجواب على الاستراتيجية الجامدة المعزولة عن التكتيك هو الربط بينهما وليس التكتيك اللااستراتيجي. والجواب على الطموح الغبي الى السلطة هو الطموح المشروع المبني على قواعد وأسس موضوعية ثورية وليس الجواب هو التواضع السلبي والزهد غير المبرر.

والجواب على التسلط هو التفاعل بين السلطة والجماهير هو الديمقراطية الشعبية لا الديمقراطية الشكلية التي تخدم مصلحة الطبقات غير الثورية.

والجواب على تفضيل مصلحة النظام على مصلحة الجماهير والوطن يكون باخضاع النظام لمصلحة الجماهير والوطن لا بالشكوى منه.

والجواب على المزايدات لا يكون بالمناقضات بل باكتشاف المعادلة الصحيحة.

ان المرحلة الجديدة ليست مجرد مرحلة كشف لاخطاء الماضي بل هي مرحلة اكتشاف المعادلات العلمية الصحيحة التي أختلت أطرافها في المرحلة السابقة فاكتشاف هذه المعادلات يساعد على وقف تسرب اخطاء الماضي الى المرحلة الجديدة.

فالنزعات التجريبية الذرائعية التي تؤمن باولوية العمل التكتيكي العملي والتجربة والممارسة والتي تكتفي برفع الشعارات الايديولوجية دون أن تتقيد بالخط الاستراتيجي المستمد منها أو التي

تنكر أهمية النظرية والدليل النظري والنضال الايديولوجي انما تمثل في المرحلة السابقة الطرف المقابل للعقائدية

(المثالية) المغرقة في استخدام الصيغ والشعارات النظرية والتي تنظر الى الواقع على انه تطبيق للقوانين والاطر النظرية العامة وتبالغ في تقديم أهمية الفكر على الممارسة.

أن المرحلة الجديدة لم تعد تتحمل العمل الثوري اللاأيديولوجي كما لم تعد تتحمل اليسارية (اللفظية) وهي تتطلع الى الاجوبة المحكمة الناضجة التي تنطلق من وحدة الفكر والممارسة ولا تكتفي بتقرير المعادلات بل تلتزم بها وبتفيذها لانها ترفض الطلاق والتباعد والتناقض بين القول والعمل وتعتبره من ابرز تناقضات المرحلة السابقة.

ان وضع النضال العربي على طريق التحرك التاريخي للواقع العربي هو هدف المرحلة الراهنة. لذلك فان وضع استراتيجية سياسية ثورية وعلمية تشكل عاملا رئيسا في تحقيق هذا الهدف.

ان بناء هذه الاستراتيجية على قاعدة انطلاق رئيسية أي على بدء بالوحدة يستدعي جملة من النتائج على الصعيد الحزبي كما على الصعيد السياسي العربي والدولي وكذلك على صعيد العمل الفدائي.

أ- استراتيجية العمل الحزبي
استراتيجية المرحلة، وتشمل:

ان النقاط التي حددتها استراتيجية المؤتمر القومي التاسع كمنطلقات للعمل على الصعيد الحزبي في مرحلة ما بعد النكبة باستثناء ما ورد فيها عن الحزب القائد ما تزال جديرة بان تعتبر بمثابة قواعد انطلاق قابلة للتوضيح والتحديد والتفصيل ضمن الملاحظات التالية: (*)

(*) ان النقاط الخاصة بالعمل على الصعيد الحزبي أي الواردة في تقرير استراتيجية المرحلة للمؤتمر القومي التاسع هي:

أولا - في اقامة بنيان الحزب التنظيمي على أساس ثوري وذلك عن طريق التزام قواعد ثورية لا تكتفي من العضو بمجرد الايمان بفكرة الحزب بل تتطلب منه التزاما كليا لا مجرد انتساب سياسي كما تتطلب تجديد بنية الحزب الطبقية بتركيز العمل الحزبي في الاوساط العمالية والفلاحية تركيزا يساعد على خلق القاعدة الثورية الاساسية لبنيان الحزب في المرحلة الجديدة . وكذلك تحديد الاطارات الحزبية والاهتمام بالنوعية والدقة في الاختيار والعناية الفائقة بالتربية الحزبية الى جانب التوسع في الاطارات الصديقة والمؤيدة والنصيرة وفي خلق المنظمات الواجهية.

ثانيا- في اعتبار الأحتراف الثوري العمود الفقري للمرحلة المقبلة.

فالحزب بدون خلايا ثورية دائمة تنضج عبر التجربة وتشكل فيها خميرة القيادات الثابتة لا يستطيع ان يكون حزبا ثوريا حقيقيا. ان مبدأ الاحتراف الثوري لا يجوز أن يعتمد على العوامل الذاتية والدوافع النضالية فحسب بل يجب ان تتوفر له الشروط الموضوعية اللازمة لترسيخه وجعله قادرا على استيعاب الكفاءات الحزبية وذلك بتطبيق نوع من الضمان الاجتماعي داخل الحزب.

ثالثا - في اعطاء مفهوم القيادة القومية صيغة عملية تجعل منها قيادة فعلية للحزب لا مجرد سلطة معنوية ورمز. ان توسيع القيادة القومية بحيث تضم معظم الكفاءات وتفرغ مكتب سياسي منبثق عنها تفرغا كاملا يقوم بمهامها بشكل دائم هي الصيغة التنظيمية الملائمة للمرحلة الجديدة الكفيلة بالقضاء على عامل من اهم عوامل ازمة الحزب في الصيغة القديمة.

رابعا- في الالتزام الدقيق الكامل بمبادئ الديمقراطية المركزية الخمسة: ›

‹ أ ــ مشاركة قاعدة الحزب عن طريق حق الانتخاب وحق النقد داخل المنظمة في رسم سياسة الحــــزب وخططه. فبممارسة حق النقد تصل اراء القاعدة لاعلى قيادة وبممارسة حق الانتخاب يصل ممثلوها لاعلـــى مؤتمر حزبي يقرر سياسة الحزب ويخطط له.

ب ــ خضوع القيادات الدنيا للقيادة العليا.

ج ــ التزام الاقلية برأي الاكثرية.

دــ الصفة الالزامية غير المشروطة للقرارات التي تتخذها القيادة.

هــ ــ قيام القيادات بتقديم تقرير عن اعمالها التي انتجتها توضح خططـــها وتشـــرح ســلوكها وتعـترف بأخطائها.

خامساــ في اعتبار التدريب العسكري جزءا اساسيا من التربية الحزبية والعتبة التي يجب ان يمــر منــها الرفاق الى تربية ثورية تنسجم مع ضرورات المرحلة القومية الراهنة التي تتطلب ادخـــال مفـــهوم العمـــل المسلح في صميم كل تنظيم شعبي في الوطن العربي.

سادساــ في تحقيق ثورة ثقافية جدية داخل الحزب تقضي على بعض مظاهر التخلـــف وعلـــى الانغـــلاق الفكري وتجعل الرفاق على درجة من الاطلاع والعمق في النظرة الى فكرة الحزب والى التيارات الفكريـــة المعاصرة بحيث يستعيد معها حزبنا دوره الفكري الاول في خلق الوعي القومي الاشتراكي بين ابناء الأمـــة العربية وخاصة في صفوف الطبقة العربية الكادحة.

سابعاــ في نبذ الصيغة الستالينية في العمل الثوري التي تقول بوجود حزب في السلطة واحزاب ملحقـة لان فيها تجاهلا لطبيعة تكوين الحزب والشروط الموضوعية للعمل العربي الثوري كما تنطـــوي علـــى تشـــويه للمعنى القومي الديمقراطي للحزب وعلى تشجيع للمنطلقات القطرية ولمنطق السلطة وللبيروقراطية .

ثامنا ــ اعتبار القوات المسلحة حقلا اساسيا من حقول النشاط الا ان هذا النشاط ينبغي ان يتجه الى التوعية السياسية والفكرية والى دعم الكفاءات المهنية بوعي سياسي وقومي يساعد على تحديد مهمة هذا القطاع وطرق تحويله الى قطاع ثوري كامل بعيدا عن المغامرات والتدخل في الشؤون السياسية اليومية واحلام التسلط. كما لايجوز في الوقت نفسه لهذا النشاط ان يشكل جزءا يخل بطابع الحزب الجماهيري وبصفته النضالية الشعبية التي تميز بها.

تاسعاــ توجيه جهود الحزب نحو مركز اهتمام واحد هو تطوير الثورة العربية وحمايتها وتوفير اداة في مستوى تحقيق اهدافها استراتيجية محددة واضحة لمراحلها.

١ـ ان الردات النضالية في مرحلة ما قبل نكبة حزيران كانت ردات خلقية بقدر ما هي ردات قومية وهذا يكشف عن مرحلة انحطاط عامة في الفترة التي سبقت الهزيمة مردها الاساسي هبوط العمل العربي الثوري عن مستواه التاريخي لتخليه عن التمسك بالوحدة كبدء ، وفشله في تصحيح تجربة الوحدة وسيطرة موجة الانكفاء القطري التي كانت تتيقظ كلما اوشك تطور الوعي القومي الثوري ان يقضي عليه من ترسبات التجزئة والواقع المتخلف .

ان حمل السلاح في وجه الحزب في ١٨تشرين و٢٣ شباط، وايقاظ النزعات الطائفية، والاستهانة بالقيم الحزبية، واستساغة الاساليب اللاخلاقية في الطعن والحرق والافتئات والارهاب والتشهير والتصفية المعنوية، ومحاربة ماضي الحزب وتراثه، والتشكيك في اهمية هذا الماضي وتزوير الحقائق والعبث بمصير الامة والوطن وبالقيم الوطنية والقومية كانت كلها مظاهر لهذا الانحطاط الذي كان نتيجة طبيعية للسير في خط معاكس للخط التاريخي خط الوحدة الصاعد .

٢ـ ان التخلص من اثار هذه المرحلة والانتقال الى مستوى جديد من العمل الحزبي من آثار هذه المرحلة والانتقال الى مستوى جديد من العمل الحزبي ومن الثورية يحتاج الى خروج من خط الانحراف والتردي الذي ساد الستينات.

أي الى خروج من منطق الاطر القطرية ومن واقعها والبدء من المنطلق الوحدوي والواقع الوحدوي..

وهذه العملية تحتاج الى تعميق النقد الذاتي وترسيخه والى تربية حزبية من مستوى جديد.

ان ضعف ظاهرة النقد الذاتي لدى أغلب قوى الثورة العربية وانعدامه لدى بعضها الى درجة المكابرة دليل على الاستمرار بممارسة عقلية ونفسية ما قبل النكبة وعلى نقص الاستعداد للدخول في المرحلة الجديدة.

أن ما تستطيع أن تعطيه كل فئة من الفئات العربية الثورية مشروط بقدرتها على التخلص من الاخطاء الفكرية والسياسية والاجتماعية للمرحلة السابقة أي من أخطاء وانحرافات القطرية والتخلف والعبث الثوري والتسلط على الجماهير والفصل بين القومي والاجتماعي في العمل النضالي ووضع التناقضات الثانوية محل التناقضات الرئيسية وتغليب العوامل الذاتية على العوامل الموضوعية ...الخ.

وهذا لا يمكن أن يتحقق الا بممارسة عميقة للنقد الذاتي تخرج الحركة الثورية من قوقعة المرحلة السابقة وتجدد تفكيرها وسلوكها.

أن ممارسة النقد الذاتي هي الظاهرة الصحية الاولية في العمل الثوري بعد الخامس من حزيران وهي دليل قوة وثقة بالنفس وأخلاص للحقيقة وأستعداد للتطور ولمواكبة المرحلة الثورية الجديدة وتحمل مسؤولياتها بشكل جدي.

ان تجاهل الاخطاء الماضية وعدم تحليلها وتشخيصها بعمق وعدم التصدي لها بصراحة وأخلاقية هو الذي يشوه مسيرة النضال ويجعلها مسيرة ديماغوجية بعيدة عن المستوى الثوري في المرحلة الجديدة وعلى الرغم من أن حزبنا قد مارس هذا النقد الذاتي من خلال بياناته ومواقفه بعد المؤتمر القومي التاسع .... الا أن الدور القيادي الذي ينهض به حزبنا يتطلب منه أن يجعل كل خطوة يخطوها درسا جديدا في العمل الثوري بعد النكبة تتعلم منه الجماهير وباقي الفئات والقوى السياسية وهذا لا يكون الا بتعميق ممارسة النقد الذاتي وترسيخها.

٣ـ ان الدور القيادي للحزب كان وما يزال يتطلب انجاز مهمة رئيسية من مهام المرحلة الراهنة وهي تحقيق العمل الجبهوي وأقامة الجبهة القومية الشعبية التقدمية على مستوى الوطن العربي وعلى المستوى القطري. ومن أجل ذلك فانه مطالب بالتخلي عن كل صيغة من شأنها أن تباعد بين قوى الثورة العربية.

ان عدم تحقيق هذه المهمة قد جر الحزب في مرحلة ما قبل النكبة الى ممارسة صيغة الحزب الواحد. فالدور القيادي للحزب يفترض وجود العمل الجبهوي والانطلاق منه واطلاق فعالية الجماهير والا كانت صيغة الحزب الواحد.

وهذا ما حدث في المرحلة السابقة وأدى الى أنسحاب مفهوم الحزب الواحد على الحزب القائد. الامر الذي ادى الى افراغ صيغة الحزب القائد من محتواها الجبهوي والجماهيري الثوري.

ان الظروف الموضوعية للحزب وللواقع العربي وخاصة بعد نكبة حزيران تحتم وحدة القوى الثورية العربية حول برنامج ثوري موحد لمواجهة التناقض الاساسي في المرحلة الراهنة كما تحتم اطلاق فعالية الجماهير الثورية لكسر قيود المرحلة السابقة واعادة المناخ الطبيعي للعمل الثوري. وكل فشل في تحقيق العمل الجبهوي سوف ينعكس على علاقة الحزب

بالشعب وبجماهيره المناضلة انعكاسا سلبيا قد يقود الى تكرار أخطاء المرحلة السابقة للنكبة.

ان تحقيق الحزب للعمل الجبهوي هو تعبير عن حرصه على ممارسة دوره القائد بعيدا عن كل ما يعيق هذه الممارسة من جهة أو ما يضفي على علاقة الحزب بالقوى العربية الثورية الاخرى طابع التعالي البعيد عن صفة النضج والعمق التي يجب أن يتحلى بها الحزب.

٤ـ ان مرحلة النكبة تطرح البدء بالوحدة كبديهية فكرية وكضرورة عملية. والتجسيد الاول لهذه الوحدة يبدأ من الحزب فحزب البعث العربي الاشتراكي يجب أن يكون حزب أولئك الذين يفكرون ويتصرفون بشكل متشابه موحد. أي أن يكون حزب أولئك الذين زالت عوامل التناقض الموضوعية فيما بينهم والذين يتحكم نظام الحزب تربيتهم الحزبية بالخلافات الذاتية التي قد تتخلل عملهم الحزبي. وحتى هذه الخلافات الذاتية لا يجوز أن يكون أن يكون لها دور في المرحلة الراهنة وخاصة على القيادات الحزبية. فطالما أن هناك صراعا خارجيا مع العدو لا يمكن أن يكون الصراع الداخلي محتملا مهما كانت حدوده داخل الحزب.

ان وحدة القيادة تشكل شرطا من شروط نجاح العمل الثوري. الا ان هذه المرحلة تجعل من وحدة القيادة كل شرط نجاح عمل الحزب في مواجهة ظروف النكبة. فبدون جو تتوفر فيه الوحدة في الفكر والروح الرفاقية داخل القيادة ويتوفر فيه المستوى الخلقي العالي أي التخلق باخلاق الرجال التاريخيين لا يمكن تحقيق الشرط الاولي للنجاح. وهكذا فان المعادلة الاساسية في المرحلة الراهنة تبدأ من النكبة التي تشير الى نقيضها الوحدة. والوحدة تشير الى شرطها الاساسي: وحدة الحزب. أي وحدة القيادة ووحدة العلاقة بين القيادة والقواعد الحزبية ووحدة الارتباط بين القواعد والجماهير الثورية الكادحة والوحدة بين الحزب وقوى الثورة العربية.

٥ـ ان تحقيق الوحدة الداخلية في صورتها الكاملة يحتاج الى تطوير مستمر واغناء دائم لنظرية الحزب الثورية.

ان الحزب مطالب في هذه المرحلة بان يتجدد فكريا حتى يساهم في تجديد الفكر العربي الثوري ويعمق الايديولوجية العربية الثورية بحيث تستوعب مرحلة النكبة وتستشرف

المرحلة المقبلة والحزب يحتاج الى تجديد بنيته الطبقية بصورة تجعله قادرا على المضي قدما في تحقيق مصالح الطبقات الثورية الكادحة والى توسيع آفاقه العالمية. انه يحتاج الى قفزة تعوض عن تخلف اكثر من عشر سنوات وتحقق الثورة الثقافية والتكوينية التي تعالج النواحي السلبية في ثقافة الحزب وتربيته ونظامه ونظرته الى الواقع وطريقة تصديه له واسلوبه في التعامل. كما تهدف الى تطوير الحزب تطويرا عميقا... لذلك تحتاج الى توفير الشروط المادية والمعنوية لها. أي أن تشغل مركز اهتمامنا في هذه المرحلة وأن تحتل مكانها في سلم الاولويات من عمل القيادة وذلك بتوفير حد كاف من الاستقلالية واللامركزية المالية والمطابع والوسائل الحديثة في البحث العلمي والكوادر المتفرعة للدراسات.

٦ــ ان ممارسة (القيادة الجماعية) ممارسة (علاجية) لكل ما ترسب في حياة الحزب من روح فردية أو تجاهل للمقاييس والاعتبارات الموضوعية أو تجاوز لاحكام الديمقراطية المركزية (ووقائية) من كل ما قد يطرأ على الحياة الحزبية من جراء وجود الحزب في السلطة من عوامل الفردية والذاتية والتجاوز على القواعد التنظيمية. ان هذه الممارسة يجب أن تخضع لرقابة توفر لها ضمانات تحقيقها سواء من حيث تركيب القيادة أو علاقتها بالمؤتمر الذي انبثقت عنه أو الصيغ العملية التفصيلية لعملها اليومي. فقد كان الأخلال في ممارسة القيادة الجماعية واحدا من العوامل التي دخلت من جرائه النزاعات التكتلية والانتهازية والعلاقات الشخصية والاعتبارات اللاحزبية والادوار الفردية الى الحزب. وقد يشجع وجود الحزب في الحكم هذه النواحي السلبية التي تشوه تكوين الحزب وتمنع تطوره. لذلك فان ممارسة القيادة الجماعية يضمن عدم تسرب أمراض الواقع المتخلف الى الحزب كما يحمي الحزب من الانقسامات المرضية ويشكل صمام الامان في الالتزام بمبادئ الديمقراطية المركزية. اذ بدون ممارسة فعلية وصحيحة للقيادة الجماعية لا يمكن أن يكون هناك حزب بالمعنى الدقيق والحديث للحزب.

٧ ــ ان رفع مستوى القيادة القومية وبناء أجهزتها يشكل حاجة أساسية من حاجات تطوير الحزب في المرحلة الراهنة. لذلك فان العمل على الوصول الى هذا المستوى يتطلب قيام قيادة منسجمة ذات كفاءة عالية مدعومة باجهزة ومكاتب في مستوى مهمات القيادة وتسريع تطوير الحزب القومي وتوفير اقصى الدعم المادي والمعنوي وتعميم مبدأ التفرغ

وتحقيق ضمان اجتماعي للمتفرغين واقامة مكاتب حزبية مركزيـــة وفعالــة فــي الــدول الاشتراكية واوربا وامريكا وفي بعض المناطق العربية (الخليـــج ـ المغــرب ـ اليمــن) وتزويد الحزب بجميع الوسائل المتكافئة مع حاجات التطور المرحلية.

ان تقصير الحزب في الماضي في تطوير أساليب النضال ووسائله قد كان عاملا رئيســيا في اعطاء فرص مجانية لقوى كانت تفتقر الى فكر الحزب والى تنظيمه ولكنها كانت تمتلك وسائل وأجهزة لا يملكها الحزب لان تلعب أدوارا تظهرها كما لو انها قد تجاوزت الحــزب . ففي مرحلتين من تأريخ الحزب على الاقل واجه الحزب مثل هذه الظــاهرة. ففــي أواخــر الخمسينيات استغلت الحركة الناصرية وسائل الحركة العربية الثورية وتخلفـــها وطرحــت نفسها كبديل بعد أن صادرت فكر الحزب وجمعت في تكوينها العناصر اللاحزبية والمعاديــة للحزبية. وفي الستينات نهجت (فتح) نهج الحركة الناصرية وفعلت نفس الشيء وجمعـــت في تكوينها نفس العناصر. فلا بد اذن من سد النقص في الحركة العربية الثورية وتزويدهـا سواء على صعيد بناء أجهزتها أو تطوير أساليب عملها وتعاملـــها واتصالـــها الخــارجي بالحركات والاحزاب التقدمية في العالم بما تمتلكه الاحزاب الحديثة من امكانات ووسائل.

٨ـ ان التربية الحزبية تعاني اهمالا كبيرا في حزبنا وبقدر ما كان التشديد واضحا في المراحـــل الاولى من نشأة الحزب حيث كان جو العمل الحزبي وعـــدد الحزبييــن وســـهولة المراقبــة والملاحقة تسمح بتوفير الشروط الاساسية للاعداد الحزبي فان أتساع رقعة الحزب وحجمـــه وأعداده ودخول الحزب في اجواء الحكم والسلطة قد ساهم ذلك كله في تقليص تأثير الحيـــاة الحزبية على تكوين الاعضاء سواء من حيث التفكير أو السلوك، أو التكوين الشخصي العام. وأصبح الاعداد الحزبي يحتاج الى وسائل متكافئة مع واقع الحزب وحاجات تطويره.

ان الاعداد الحزبي يشكل العامل الرئيسي في تحقيق وحـــدة الحـــزب علـــى الصعيديــن النظري والعملي وفي وحدة الشخصية الحزبية وتعزيز طابعها النضالي الخلقي المتميز بنظرة حضارية ومستوى عال من الوعي والسلوك هما أهم ما يميز انسان البعث.

وعملية الاعداد الحزبي هذه لم تعد سهلة لانها مطالبة بالبدء بمعالجة ظواهر شاذة وغير سوية تسربت الى الحزب من جراء التقصير في ممارسة التربية الحزبية ممارسة فعالة داخل

الحزب حتى نتمكن بعد ذلك من الانتقال الى مرحلة تثبيت النواحي الايجابية والفضائل وتحقيق العمق الانساني المطلوب في شخصية البعثي.

ان الاحزاب الثورية بوجه عام تمجد ماضيها وتراثها ومؤسسيها. وكل عضو فيها يشعر بانه جزء بسيط من كل، لا قيمة له بدونه. وكذلك كل قيادة تدرك بان قيمتها القيادية تتوقف على مدى الالتحام الذي يمكن أن تحققه بينها وبين القواعد. ومفهوم الحزب يتجسد في اذهان الاعضاء من خلال احترام القيادة والثقة بكفاءتها وفعاليتها ومن خلال النظر الى الحزب على انه صرح شبه مقدس، وفكر وتنظيم شبه معصومين واذا كان حزبنا قد حرص على تجنب كل ما من شأنه الانزلاق الى مواقف دوغمائية جامدة أو الى تبني مثل هذه الصيغ التي تضعف الطابع الديمقراطي المركزي الا ان الظروف الشاذة التي مر بها الحزب قد خلقت اوضاعا جرت الى مواقف انحلالية معاكسة فالذي حدث في حزبنا هو ان كل رفيق لانعدام الاعداد الحزبي يشعر بانه قائد وكل قيادة تشعر بانها الحزب. ومن هنا دخل الاستهتار والاستهانة والعبث بالحدود والمقاييس والقيم الحزبية والتطاول على القيادات حتى بلغ العبث حد المأساة عندما أستخدم السلاح في وجه الحزب في ١٨ تشرين وفي ٢٣ شباط. وعلى هذا الاساس تبرز الحاجة الماسة الى توسيع دورات الاعداد الحزبي وانشاء معهد على مستويات متعددة متنوعة تؤمن الى جانب التثقيف العقائدي اعداد كوادر الحزب والدولة وخلق الشخصية البعثية المنسجمة المدركة لرسالة الحزب والمؤهلة لحمل لواء هذه الرسالة.

٩ـ ان وجود الحزب في السلطة يشكل بحد ذاته تجربة ذات أعباء ضخمة وأمتحانا كبيرا وعسيرا. الا أن مجيء الحزب الى الحكم بعد النكبة يشكل تحديا مزدوجا لذاته وللآخرين. فبقدر ما هو تحد للنظم التي ساهمت في صنع النكبة هو ايضا تحد لامكانيته ولقدرته على تجاوز تلك النظم. ان سيطرة الحزب على ذاته وحفاظا على نقاوته ووحدته هي الشرط الاول لقيادة الحزب للحكم والحفاظ عليه كذلك بروز الطابع القومي والافق القومي هو شرط نجاحه في حكم القطر وفي توجيه القطر في خط الثورة العربية وتحقيق أهدافها.

وعلى هذا الاساس فان الحكم ينبغي أن يكون وسيلة لتوفير شروط دعم الحزب وحمايته وتطويره على الصعيد القومي ووسيلة لتركيز سلطة الحزب على الصعيد القطري ووسيلة لتحقيق منجزات ثورية جدية في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وعاملا في تحقيق

مناخ ثوري جديد على الصعيدين الشعبي والرسمي. وانقاذ القضية الفلسطينية وقضية الثورة العربية من محاولات التآمر والتطويق والغوغائية والارتجال والاندفاعات العاطفية المغرقة في السطحية.

وان يحرك الحكم طاقات الجماهير ويعبئ قواها للمعركة ويحقق العمل الجبهوي ويتخطى اطار التجزئة.

ان موقف الحزب من حكمه في قطر ما يجب أن ينطلق من نظرة توازن بين الاستقلالية من جهة ومراعاة ظروف الحكم في ذلك القطر وحمايته من جهة اخرى.

وهذا يعني أن يكون الحزب فوق السلطة بنفس المعنى الذي يكون فيه الشعب فوق الحزب. أي أن يكون هناك دوما رجوع من السلطة الى الحزب ومن الحزب الى الشعب ومن القيادة الى القواعد ومن القواعد الى الجماهير. لذلك فان النجاح في تحقيق صيغة تتيح للحزب المجال لان يمارس مسؤولياته على صعيد الحكم دون أن يكون ذلك على حساب نشاطه الجماهيري التنظيمي وعلى صعيد القطر دون أن يحد ذلك من فعاليته القومية وعلى صعيد العمل الجبهوي دون أن يحد ذلك من دوره القيادي. ان هذا النجاح هو الذي يجعل الحزب قادراً على مواجهة التحدي. وهو ما تتجمع آمال الأمة العربية حوله وهو ما يجب ان نوفر له شروطه الذاتية والموضوعية.

١٠ـ ان حزبنا يجب أن يكون على صورة فكرته وأن يكون في تكوينه متجاوباً مع قدر امتنا العربية في المرحلة الراهنة. أي أن يكون حزب المجاهدين (الفدائيين) ولا يتحقق ذلك الا اذا اعتبر التدريب على العمل الفدائي المدخل لاكتساب صفة العضوية في الحزب وتدريب جميع أعضاء الحزب القادرين على حمل السلاح تدريبا فدائيا وثم ربط العمل الفدائي بآفاقه القومية الجبهوية وبآفاقه العالمية الثورية. كما ان الحزب مطالب في المرحلة الراهنة بالتركيز على علاقة " الثورة الفلسطينية " بالثورة العربية في عمليات التثقيف، داخل الحزب وخارجه وتطوير العمل الفدائي فكراً واسلوبا ومستوى، والعمل على استكمال وحدة العمل الفدائي قياذات وقواعد.

ب ــ استراتيجية العمل السياسي

١ــ ان المرحلة الراهنة هي مرحلة مواجهة للقوى الصهيونية والامبريالية المتحالفة تحالفا استراتيجيا يهدف الى تصفية مواقع الثورة العربية والقضية الفلسطينية والقضاء على ارادة الصمود في وجه العدوان وارادة النضال من اجل تحقيق المجتمع العربي الموحد في ظل الحرية والاشتراكية.

٢ــ ان العدو يمثل بالاضافة الى القوة العسكرية المدعومة دوليا والمصالح الامبريالية الاستراتيجية والاقتصادية في المنطقة غزوا بربريا من نوع جديد يتسلح بالحضارة الحديثة والتقدم العلمي والفني لفرض عقيدة تحاول أن تعاكس الاتجاه العام للتأريخ (العقيدة القومية الدينية المغلقة) وأن تعطل التطور التاريخي لمسيرة الأمة العربية.
فهو بالاضافة الى كونه تحديا عسكريا واقتصاديا يشكل خطرا مصيريا على تطور الانسانية وعلى وجود الأمة العربية في آن واحد.

٣ــ ان مواجهة هذا العدو مواجهة معزولة عن العمل الجاد السريع لتغيير معالم الواقع العربي مواجهة فاشلة تهدر قوى الشعب العربي وتنتقل بها من نكسة الى اخرى دون أي أمل في تحويل التحالف الصهيوني ــ الاستعماري مستحيلة في ظل التجزئة والتخلف والتبعية السياسية والاقتصادية وكل كلام عن تحرير فلسطين وعن الحرب الشعبية بمعزل عن ربطه بالنضال الوحدوي الاشتراكي انما هو مظهر لا مسؤول من مظاهر التعبير عن العجز وقد يكون تعبيرا عن طفولية ثورية كما قد يكون جزءا من مخطط التضليل للشعب العربي والاجهاض لحماسته والتشويه للنضال العربي.

٤ ــ ان الافق القومي للمواجهة العربية والغزو الصهيوني وللتحالف الصهيوني ــ الامبريالي لا يمكن أن يعزل بدوره عن محتواه الاجتماعي الثوري الاشتراكي كشرط أساسي من شروط

تعميق هذا النضال وترسيخ طابعه التقدمي ولا عن أبعاده الاممية كجزء لا يتجزأ من حركة التحرر والتطور الاشتراكي في العالم وكعامل هام وخطير في دعم الثورة العالمية وتثبيت قيمتها الانسانية.

٥ـ ان التآمر الاستعماري الصهيوني يرتكز في صراعه مع قوى التحرر والوحدة والثورة والاشتراكية في الوطن العربي على قاعدة انطلاق أساسية: وهي أستغلال كافة التناقضات التي ورثها الواقع العربي او اصطنعها التطور المزيف بتأثير القوى المعادية للوحدة والحرية والاشتراكية. فهو يحاول أن يصرف العرب عن التناقض الرئيسي والى القضاء على المنابع والجذور التي يستمد منها النضال العربي قوته وحيويته واندفاعه. وأهم هذه المنابع هي فكرة الوحدة العربية وفكرة الثورة على الواقع اللتين تميزان الايديولوجية العربية الثورية. لذلك فان الصراع مع التحالف الصهيوني الاستعماري هو صراع ايديولوجي بقدر ما هو صراع سياسي.

٦ـ ان الكثافة الحضارية والانسانية التي كان المجتمع العربي والانسان العربي وما يزالان يتسمان بها رغم اوضاع التخلف وظروف الانحطاط تشكل جوهر النضال العربي وأساسه العميق. وقد كشفت المرحلة السابقة للنكبة ان ما شهدته السنوات الماضية من اهمال لهذا الاستعداد الحضاري للتقدم السريع بل ومن تآمر عليه بعد أن بدأت ملامحه تبرز في النضال العربي المعاصر قد كان عاملا اساسيا في الحاق اكبر مذلة وهزيمة بالعرب. كما كانت كاشفا لمظهر آخر من مظاهر الصراع العربي الصهيوني وهو انه صراع حضاري.

٧ـ ان تقرير هذه الحقائق الاساسية يعني جملة من الحقائق الفرعية والنتائج المترتبة عنها :

أ ـ ان الشروط الموضوعية الراهنة تفرض الوحدة وترفض القطرية. تستلزم الاعتماد على الجماهير وترفض الفردية والتسلط والبيروقراطية. تحتم وضع التناقض الرئيسي الاول مع العدو فوق كل التناقضات الداخلية وقبلها. وتؤكد وحدة العلاقة بين الصراع القومي والاجتماعي وترفض أي تركيز على احدهما على حساب الآخر.

ب ـ ان العوامل الذاتية يجب ان تخدم هذه الشروط الموضوعية في الصراع مع العدو وان تكون ممارسة النقد البناء والنقد الذاتي عاملا في تسخير العوامل الذاتية لمصلحة الضرورات الموضوعية للمرحلة الراهنة.

وكذلك جعل الظروف الموضوعية عاملا من عوامل تطوير الخواص الذاتية.

ج ـ ان التخلص من منطق النكبة وواقعها ومن عقلية ووسائل التخلف التي تسيطر على المواجهة الراهنة للعدو لا يكون الا بعقلية تستوعب الهزيمة وتدرك المسلمات الاولية لمتطلبات منع تكرارها والحيلولة دون تثبيتها وتحويلها الى منعطف حاسم في مسيرة النضال العربي للانتصار على العدو وعلى عوامل ضعف الأمة .

د ـ ان العقلية الوحيدة القادرة على استيعاب الهزيمة هي عقلية الوحدة التي تملك القدرة على التحرر من ضغط الظروف القطرية المباشرة وتستوعب الاطار القومي الشامل للقضية وتعي ان القطرية في هذه المرحلة هي المدخل الطبيعي لتثبيت واقع النكبة والقضاء على كل وثبة أو نهوض من الكبوة(المحنة).

هـ ـ ان العقلية العربية العلمية الحديثة تتمثل في المرحلة الراهنة في الرؤية القادرة على الخروج من حدود التجزئة والنظر الى الامكانيات والوسائل العربية ككل ومعرفة كيفية استغلالها وتحريكها ودفعها في طريق الثورة.

و ـ ان المواجهة الجدية مع العدو تحتم الاستناد الى استراتيجية عربية موحدة لقوى الثورة العربية على الصعيدين القطري والقومي وعلى المستويين الرسمي والشعبي.

ز ـ ان طبيعة الصراع مع التحالف الصهيوني ـ الإمبريالي تتضمن إمكانية تسرب الأمراض الفاشية والعنصرية والحقد التاريخي.. الكامنة في الحركة الصهيونية المعادية للإنسان ولحضارة الثورة العربية ذاتها فلا بد من التنبيه الى هذا الخطر والتأكيد على ربط النضال العربي بأفقه التاريخي ورسالته الحضارية الإنسانية حتى ترتفع الأمة العربية خلال صراعها مع الاستعمار والصهيونية فوق عدوها وتخلق إنسانية جديدة من خلال هذا الصراع بريئة من أمراض الحقد والتعصب والاستبداد التي تطبع الصهيونية والاستعمار.

٨ ـ ان التغيير الثوري الذي قاده الحزب في ١٧ تموز في العراق قد وضع حزبنا في مواقع اكثر مسؤولية وأكثر قدرة على التأثير المباشر في مصير الأمة العربية في المرحلة الراهنة،

واكتشاف مواطن القوة في الواقع النضالي الراهن للأمة العربية والأخذ بأسبابها والمبرر الرئيسي لوجود حزبنا في الحكم بعد الخامس من حزيران.

٩- ان الحكم الذي يقوده حزبنا مطالب بأن يحقق المزيد من متطلبات مواجهة العدو الإمبريالي والصهيوني أي أن يكون مبادئا في تحقيق خطوات وحدوية حاسمة كالدخول في تنسيق مع (مصر وليبيا والسودان) وانتهاج سياسة جريئة على الصعيد الاجتماعي والانفتاح على كافة الفئات والقوى الوطنية والتقدمية وخلق مناخ جماهيري ثوري عربي يسهل عملية التعبئة النفسية والمادية لكل طاقات الأمة باتجاه المعركة.

١٠ - ان المعركة مع العدو معركة طويلة تتطلب اعادة نظر كلية في بنية الواقع العربي الراهن وخلق الاستعداد الفكري والعملي لربط الحياة العربية ربطا كاملا بمتطلبات هذه المعركة وتحويل الاقتصاد والسياسة والتعليم والحياة اليومية الى وسائل مساعدة على تركيز النضال العربي باتجاه المعركة.

١١- ان استراتيجية حرب التحرير الشعبية وما تتطلبه من خلق سياسة الحرب واقتصاد الحرب ومدرسة الحرب... يجب أن تكون المدخل الطبيعي لتحقيق ثورة جذرية كاملة وعميقة في الحياة العربية المعاصرة تقضي على التجزئة والتخلف والاستغلال الطبقي وكل مظاهر الانحطاط وعوامل التشويه الفردية والجماعية للإنسان العربي وللأمة العربية.

١٢- ان الحزب والحكم في العراق مطالبان بتحقيق هذا المستوى من المواجهة للعدو وذلك.

أ - عن طريق اخراج فكرة الوحدة وفكرة الكفاح المسلح من اطارهما التقليدي العفوي المفتقر الى الاستراتيجية. وربطهما فيما بينهما ربطا عقائديا ونضاليا.

ب - اعتبار الثورة الفلسطينية مركز الثقل في الثورة العربية والقضاء على كل نزعة تحريفية تنطلق من فهم قطري او موقف انتهازي يهدف الى تصديع الوحدة الجدلية بين الثورة العربية والثورة الفلسطينية.

ج ـ النظر الى نضال الوحدة كطريق وحيد الى التحرير وكذلك اعتبار الكفاح عبر فلسطين هو الطريق الصحيح الى وحدة تصحح كل آثار التجربة السابقة. ذلك ان طريق الوحدة وطريق التحرير متلازمان.

١٣ـ أن الوسائل المساعدة على تحقيق هذا المستوى المطلوب من الحزب والحكم في العراق تتلخص:

أ ـ في تحقيق الجبهة الوطنية التقدمية على الصعيدين القطري والقومي.

ب ـ في حل المشكلات القطرية على ضوء استراتيجية المقاومة للتحالف الصهيوني الاستعماري.

ج ـ في ادخال استراتيجية الوحدة والكفاح المسلح الشعبي والنظامي (وعيا واستعدادا وتحقيقا) الى كل بيت ومصنع ومدرسة وثكنة وبلورة حياة الفرد والأسرة والقرية والمدينة على ضوء حاجات المواجهة.

د ـ في تحقيق ثورة اعلامية وثقافية واجتماعية تنفض عن الحياة العربية كل رواسب التجزئة والعصبيات المنافية للرابطة القومية الانسانية والمفاهيم والتقاليد التي تعطل القدرة على تحقيق مواجهة علمية وثورية للعدو.

هـ ـ في اتخاذ مبادرات دائمة على الصعيدين الرسمي والشعبي تخلق أجواء ملائمة للعمل الوحدوي.

و ـ في دعوة الانظمة العربية والمنظمات الشعبية العربية الى برنامج عمل ينعش آمال الجماهير العربية ويحقق لها الشعور بالثقة بالنصر اذا ما تجمعت تحت لوائه كل الامكانيات العربية الثورية ويزودها بمقياس نقدي ثوري حاسم.

ز ـ دعم كل انتفاضة ثورية عربية مهما كانت هويتها وبذل كل امكانية من اجل حمايتها من الانقضاض والتطويق.

ح ـ التنبيه الى الاخطار المحدقة في المناطق المهددة التي يتآمر عليها الاستعمار كالخليج العربي واليمن شماله وجنوبه. والعمل على وضع استراتيجية لحماية الخليج من المؤامرات الاستعمارية.

ط ـ فضح ومقاومة المخططات الدولية الرامية الـــى تسـوية القضيــة الفلســطينية لحســاب الصهيونية.

ي ـ تحقيق انجازات ثورية عميقة تؤدي الى تحولات جذرية فـــي علاقـــات الانتــاج وتحقــق الشروط اللازمة للدخول في مرحلة التحويل الاشتراكي.

ك ـ الحضور الدائم حيث مواطن القوة (الانتفاضات الثورية) وحيث مواطن الضعف (الخليـــج العربي).

ل ـ الاهتمام بالرأي العام العربي وتوفير كافة الوسائل للاتصال به والتفــاعل معــه وتوجيهــه وحمايته من التضليل والتشويه.

م ـ في تحقيق صيغ واضحة وثابتة لعلاقة الحزب بالحكم وعلاقة الجيــش بــالحزب وعلاقــة الحزب بالاحزاب والقوى الآخرى.

١٤ـ ان دور حكم الحزب على الصعيد القطري يتركز في تحقيق النموذج الجديد المطلــوب بعـد الخامس من حزيران أي في تحويل القطر الى قوة عربية ثورية جديدة ووضــع امكانــات القطر في خدمة الاستراتيجية القومية والغاء كل مظاهر القطرية حتى في تصريف شــؤون الدولة والعمل والتوظيف والمشاريع.

١٥ـ ان حل المشكلة الكردية بأسرع وقت وبشكل يضمن وحدة التراب العراقي ويحقـــق أفضـل شروط التعاون والتآزر بين القوميتين العربية والكردية يجب أن يكون في مقدمة انجــازات حكم الحزب حتى تتفرغ قواه المسلحة لمواجهة الخطر الصهيوني ويوضــع حــد للــنزيف اللامعقول واللامجدي واللانساني في شمال العراق ويقطع الطريق على التآمر الاســتعماري الرجعي في المنطقة .

١٦ـ ان حكم الحزب يجب أن يستوعب الصيغة اللازمة للمرحلة التي تفرضها المواجهة المصيريــة مع العدو وهي صيغة العمل الجبهوي التي توفر امكانية تعبئة قوى القطــر والتحــام الفئــات التقدمية فيه والتي تساعد الحزب على ممارسة دوره القيادي ممارسة حية وتجنبــه مزالــق التفرد والتسلط وكبت الفعاليات الجماهيرية التقدمية وان يشمل العمل الجبهوي مختلف ميــادين

النشاط العام وأن تكون صيغته صيغة ثورية تكفل تثبيت سلطة الحزب في المواقع المباشرة والرئيسية لحماية الثورة وتحديد دور كل فئة داخل نطاق العمل الجبهوي.

١٧- ان حكم الحزب مطالب بأن يتميز بتحريك الجماهير واطلاق فعالياتها وتشجيع مبادهتها الثورية ومشاركتها في كل خطوة ثورية وفي حماية الانجازات الثورية وفي الاستعداد للمعركة المصيرية مع العدو وأن يمارس على الجماهير أوسع حملة توعية قومية واشتراكية تهيئها فكريا ونفسيا لممارسة دورها الرئيسي في المرحلة الراهنة على الصعيدين القطري والقومي.

١٨- ان حكم الحزب مطالب بأن يربط اقتصاده وسياسته وتعليمه وكل مظاهر حياته بحاجات المعركة مع العدو والاستعداد لمواجهة الاخطار ولارساء قواعد تحويل القطر الى أكبر جبهة دفاعية وهجومية للثورة العربية.

١٩- ان الخطوة الثورية التي حققها حكم الحزب باعدام الجواسيس يجب أن تحافظ على جديتها وأن لا تتأثر بالحملات الدعائية المعادية أو المضللة. وأن يكتمل هذا الموقف بالتنبه الى أهمية ربط الرأي العام بخطى الثورة على الصعيدين القطري والقومي وأهمية تنوير الرأي العام العالمي حقيقة مقاصد الثورة وأهدافها.

٢٠- ان عداء القوى الاستعمارية والصهيونية والرجعية وتآمرها على هذا النموذج الجديد من الثورية الذي يتجاوز الصيغ التي عرفتها المرحلة السابقة للنكبة سوف يشتد كلما قطعت الثورة شوطا في طريق الوحدة والحرية والاشتراكية. وعندما تعجز الوسائل الخارجية عن النيل من الثورة فان محاولات التطويق من الداخل باتجاهات ونزعات يمينية أو فردية أو تسلطية تهمل دور الحزب أو تجعل الحزب أداة للسلطة أو تجعل من الحزب وعاء لكل أخطاء السلطة أو بغيرها من الاساليب والوسائل التي يجب أن ينتبه لها الحزب ويقطع الطريق على كل محاولة للتسلل الى قلب الثورة.

٢١ـ ان خير وسيلة لمجابهة التآمر على الثورة انما يكون بالـهجوم علـى مواقـع الاسـتعمار والرجعية لا بالدفاع عن واقع الثورة. وعلى هذا الاساس فان مخطط حكم الحزب مطالب في هذه المرحلة بدراسة كل امكانية لضرب مخططات التحالف الصهيوني الاستعماري الرجعـي وخاصة فيما يتعلق بامكانيات التغيير في كل قطر عربي واسـتباق الاحـداث وتوجيهـها وتسريعا أو تفشيلها.

٢٢ـ ان اسلوب التغيير يجب أن يأخذ دوما بعين الاعتبار ضرورة اشراك الجماهير على اوسـع نطاق في التهيئة لعمليات التغيير وفي دعمها وفي توجيه خطها بعد التغيـير كمـا يجـب الانتباه الى ضرورة الانطلاق من مبدأ العمل الجبهوي وتوسيع أساليبه وأن يكـون اتجـاه التغيير منصرفا الى المعركة المصيرية وتحرير القطر من العقبات التي تقـف فـي وجـه مواجهته الكلية والحاسمة للعدو.

٢٣ـ ان حكم الحزب مطالب بدعم العمل الفدائي دعما يتجاوز كل مسـتويات الدعـم المعروفـة حتى الآن.

وأن يجعل من العـراق بالنسـبة للعمـل الفدائـي بمثابـة (هـانوي) بالنسـبة للفيتنـام.

٢٤ـ ان دور الحزب على الصعيد القومي يتحدد في هذه المرحلة:

أولا ـ بتحقيـق الربـط الكـامل بيـن الاسـتراتيجية السياسـية وبيـن الاطـار الايديولوجي للثورة العربية والتصدي لكل محاولات الانحراف أو الهبوط عـن هـذا المستوى.

ثانيا ـ اعتبار تحقيق الوحدة بمثابة معيار للانتقال الى مرحلة المواجهة الجديـة للعـدو الصهيوني الامبريالي وهذه الوحدة يجب أن تعني بالاضافة الـى توحيـد النظـم السياسية والاقتصادية والثقافية توحيـد قـوى الثـورة العربيـة ضمـن اطـار عمـل جبـهوي قومـي يقـود الجمـاهير العربيـة وفـق برنـامج سياسـي يحـدد حاجـات المواجهـة علـى كافـة المسـتويات وكذلـك توحيد العمل الفدائي.

ثالثا – بالرجوع الى الشعب ومكاشفته بالصعوبات التي تعترض مسيرة النضال الوحدوي والعمل الجبهوي حتى تضع الجماهير العربية ثقلها حيث يسير الحزب وحتى يتم التجاوب والثقة بينهما ويصبح نقد الحزب لنفسه امام الجماهير محفزا لها لكي يتحمل مسؤولياتها ودورها وهذان مظهران للتفاعل العملي الذي يشكل الشرط الاول في توفير مناخ ثوري صحيح.

رابعا – بمراعاة نصوص المواد (٧ – ١١) من استراتيجية المؤتمر القومي التاسع حول مهمات الصراع الطبقي في المرحلة الراهنة وهي:

أ – ان التركيز على التنافس الاساسي الاول في هذه المرحلة أي الصراع مع الاستعمار والصهيونية يجب ان يكون له نتيجة منطقية على الصعيد العربي: وهي عدم ترك أي مجال لقيام أزمة بين هذا التناقض الاساسي الاول وبين التناقضات الاساسية الأخرى كالصراع الطبقي مثلا .

ب – يجب أن يعرف بشكل جازم ونهائي اننا حزب الطبقة الكادحة وأن مصلحة هذه الطبقة تقرر أولوية الصراع مع الاستعمار والصهيونية في هذه المرحلة.

ج – ان ادخال التوازن بين أشكال الصراع المختلفة وخاصة ما بين الصراع القومي والصراع الطبقي هو أمر حتمي في الظروف التي تهدد مصير الأمة ويجب أن يكون هدفه ادخار قوى الأمة المادية والبشرية جميعها والافادة منها لمواجهة العدو الاول في هذه المرحلة. الا أن هذا التوازن يجب ان يتم دوما لمصلحة الطبقة الكادحة في الوطن العربي.

د – ان مهمة الصراع الطبقي تتحدد في هذه المرحلة بعزل الطبقات البرجوازية الكبيرة وشبه الاقطاع المرتبطة بمصالحها الاقتصادية مباشرة مع الاستعمار الجديد وحماية المكاسب الاشتراكية والخطوات التقدمية التي حققها النضال الشعبي وتطوير هذه المكاسب تطويرا يساعد على اعطاء مردود قومي يشكل عاملا مساعدا في الصراع القومي التحرري وتحقيق مكاسب إشتراكية جديدة لا تخل بمبدأ التوازن المشار اليه في الفقرة (٩)

" أي – الفقرة ج ".

هـ ـ ان استراتيجية الحزب في العمل العربي يجب أن تنطلق في هذه المرحلة من التشديد على النضال الوحدوي كبديل لتقليص الصراع الطبقي عند حدوده المذكورة آنفا. وأن يركز الحزب تركيزا كبيرا على شعار الوحدة وشعار اطلاق طاقات الجماهير والحريات العامة وأن لا يكتفي من التركيز عليها بالنداءات والكتابات بل يقوم باتصالات ويبادر بطرح مشروعات اتحادية تدفع بالنضال الوحدوي الى الامام وذلك ضمن صيغ ثورية رصينة بعيدة عن الارتجال وعن الانفعال.

خامسا ـ بالتقيد بالفقرة (السابعة) من استراتيجية المرحلة للمؤتمر القومي التاسع حول القوى التي يجب أن تسقط من العمل الجبهوي والتي تنص على ((أن البرجوازية الكبيرة والمرتبطة مصلحيا بالاستعمار الجديد وشبه الاقطاع فئات اجتماعية قد سقطت بحكم ارتباطها بالاستعمار وواقع التجزئة وعليه فانها تسقط بشكل قاطع من قوى الجبهة)).

سادسا ـ بالاصرار على المطالبة بكشف الحقائق التي ما تزال مجهولة أمام الشعب العربي في حرب الخامس من حزيران. وابقاء هذه المحنة راسخة في الاذهان وملهمة لكل تفكير وسلوك نضالي عربي حتى يتحقق للعرب التغلب على المحنة.

سابعا ـ بتركيز جهود الحزب على القضية الفلسطينية والعمل الفدائي والتنبه الى المشكلات اللاحقة بهذه القضية كالمخطط الايراني في الخليج العربي وبذل الجهود الفكرية والعملية السياسية والاعلامية والشعبية لأبراز هذا الخطر وايقاظ الجماهير العربية في كل ارجاء الوطن العربي على هذا الخطر الداهم والاعداد لمواجهته والتغلب عليه ودفع دول الخليج واماراته الى تحقيق وحدة تشكل الحد الادنى من حاجات مواجهة هذا الخطر.

ثامنا ـ بفتح الحزب لمعركة البترول العربي ضد تحويل موارده عن الهدف الاساسي الذي يجب أن يكرس له وهو معركة مصيرية، وخلق تيار عام من الرقابة الجماهيرية الثورية الى جانب صيغة عربية تكفل وضع هذه الثروة العربية في خدمة الثورة العربية وتجعل منها

الكفة المعادلة للمساعدات التي تنهال على العدو والسلاح السياسي والاقتصادي الاكثر فعالية في وجه الغرب.

تاسعا ـ بالعمل الجاد من أجل تحقيق وحدة سورية والعراق في أسرع وقت ممكن لوضع امكانيات القطر في مكانها الصحيح. على أن لا يعني ذلك اهمال دروس تجربة الحزب في ٢٣ شباط أو التخلي عن تمسكه بخط العمل الشعبي الثوري ونبذه للوسائل الفوقية والعشائرية والتحالفات المنافية لمبادئه واستراتيجيته. ان العمل الحزبي ونمو الحزب ضمن استراتيجية واضحة للعمل في سوريا هو سبيلنا الوحيد للتغيير وتحقيق الوحدة وأن تكون وحدة سوريا والعراق آنذاك مفتوحة لانضمام أية دولة عربية تقدمية ترغب بذلك.

عاشرا ـ التقيد بما ورد في استراتيجية المؤتمر القومي التاسع حول علاقة الحزب بالاحزاب الشيوعية والحركة الناصرية وهو:

أ ـ ان انشاء علاقات ايجابية مع الاحزاب الشيوعية العربية بمختلف تياراتها وأجنحتها الصينية والسوفييتية يجب أن يكون عاملا في تأكيد الطابع الايجابي لعلاقة الحزب والثورة العربية بكلا القوتين الثوريتين العالميتين.

ب ـ ان الحزب مطالب بتوثيق علاقات التعارف والصداقة مع جميع الاحزاب التقدمية والاشتراكية في العالم لشرح وتوضيح مواقف الحزب وهويته ودوره في القضية العربية.

ج ـ ان المرحلة الجديدة تتطلب تصحيحا للعلاقات بين قوى الثورة العربية من جهة (البعث، الحركة الناصرية، القوميون العرب، جبهة التحرير الجزائرية، الاتحاد الوطني للقوات الشعبية من المغرب، الجبهة القومية ..الخ) ثم بين هذه القوى التي تمثل اليسار القومي وبين القوى التقدمية التي تمثل اليسار الاممي وذلك بالعمل على تصفية الآثار السلبية المتبقية من المرحلة السابقة أولا ثم بتركيز الجهود نحو الاهداف القومية المشتركة وعدم تحويل الصراع عن التناقض الاساسي الاول الذي يجمع قوى الثورة العربية أمام الخطر الصهيوني الامبريالي.

أحد عشر ــ تجنيد كافة طاقات الحزب من شتى الاقطار العربية لدعم حكم الحزب في العراق وتعميق تجربته واغنائها.

٢٥ـ أما على الصعيد الدولي فان دور الحزب يتحدد في مواجهة المحاولات الدولية الرامية الى تصفية القضية الفلسطينية باسم " حل الازمة الناشئة عن حرب الخامس من حزيران " مواجهة جزئية حاسمة وذكية تكفل تحقيق جملة من الاهداف السياسية في هذه المرحلة وهي:

أ ــ احباط المشروعات التي تقضي على مستقبل القضية وتشكل نوعا من المساومة الدولية على حساب مصلحة الأمة العربية ومصيرها.

ب ــ خلق رأي عام عالمي متفهم لحقيقة الموقف الثوري العربي كدفاع عن قضية الوجود العربي والمصير العربي وكنضال ضد خطر جدي يهدد مصير الانسانية.

ج ــ التنبيه الى مخططات التحالف الصهيوني الامبريالي والى الابعاد الحقيقية للتآمر على الوطن العربي.

د ــ كسب أصدقاء حقيقيين للثورة العربية يستوعبون أهدافها ويقدرون أهمية الدور الذي تقوم به في ميدان الثورة العالمية.

هـ ــ تقليص نطاق تأثير الدعاية الصهيونية وحدود التآمر الصهيوني على الرأي العام العالمي.

و ــ تعميق صدى المقاومة العربية على أرض فلسطين وتوسيع أطار الدعم والمساندة الدولية لها على الصعيدين الشعبي والرسمي.

٢٦ ــ أن الموقف الامريكي والتحالف الكامل الذي يشده الى المخططات الصهيونية لا يمكن أن يواجه أو أن يعالج على ضوء المواقف المائعة المترددة التي كانت تحرص على مراعاة اعتبارات سياسية ثبت بطلانها.

أن التحالف الامريكي ــ الصهيوني تحالف استراتيجي وليس تحالفا تكتيكيا. ولا بد من مواجهة الموقف الامريكي على هذا الاساس.

٢٧ ـ ان كل تفسير للحياد الايجابي تفسيرا يتجاهل الطـــابع الاســتراتيجي للتحـــالف الامريكــي الصهيوني ويسمح بموقف متردد من سياسة الولايات المتحدة ومن التعامل معها على جميع المستويات هو تفسير معاد لمصلحة الثورة العربية.

٢٨ ـ ان عدم التمييز بين موقف الاتحاد السوفياتي وبين موقف الولايات المتحدة مـــن القضيـــة الفلسطينية رغم التقائهما حول بعض النقاط في معالجة عدوان الخامس من حزيـــران هـــو موقف غير موضوعي يتجاهل المنطلقات الاساسية في سياسة كل من الاتحاد الســـوفياتي والولايات المتحدة.

٢٩ ـ ان نقطة الضعف التي يمكن أن تنفذ من خلالـــها الدعايـــة الصهيونيـــة ـ الاســتعمارية ووجهات النظر الرجعية واليمينية تكمن في أن التحالف السوفيتي ـ العربـــي لـــم يصـــل بالمقابل الى درجة التحالف الاستراتيجي مع الحفاظ على استقلالية الثورة العربية..

ان عدم قيام تحالف استراتيجي عربي ـ سوفييتي أو مع الدول الاشتراكية بوجه عام هو نتيجة لعدم نضج العلاقات العربية السوفييتية.

ومسؤولية ذلك لا تقع على الاتحاد السوفياتي أو الدول الاشتراكية وحدها بل على جملـــة ظروف موضوعية تتعلق بواقع الأمة العربية وبظروف الاتحاد السوفياتي كـــانت مســـؤولة عن عدم انتقال العلاقة الى مستوى التحالف الاستراتيجي. وقد خضعت هذه العوامـــل فـــي السنوات الاخيرة وخاصة بعد الخامس من حزيران الى تطور يسمح بالمزيد مـــن تعميـــق التحالف العربي الثوري ـ والسوفياتي.

وهذا ما يجب أن يشكل مركزا أساسيا من مراكـــز اهتمامنـــا علـــى الصعيـــد الدولـــي.

٣٠ـ ان حرص الثورة العربية على أن يكون تحالفها مـــع جميـــع القـــوى الاشـــتراكية تحالفـــا إستراتيجيا يلزم كل نظام أو حركة ثورية تنتمي اليها باقامة أعمق الصـــلات مـــع الـــدول الاشتراكية حتى يقطع الطريق على كل محاولة للتحالف الصهيوني ـ الاستعماري للنفـــاذ الى التحالف العربي الثوري مع الدول الاشتراكية هذا التحالف الذي يجب أن يمثل الوجـــه

الآخر للانسانية، وجه التقدم والعدالة والحضارة الانسانية الجديدة أمـــام وجـــه الاســـتغلال الوحشي والعدوان والبربرية الجديدة الذي يمثله التحالف الصهيوني الاستعماري.

٣١ ـ ان جزءا كبيرا من العلاقات الصميمية يجب أن يقوم بين الثورة العربيـــة وبيـــن تجـــارب الصين وفيتنام وكوريا الديمقراطية وكوبا لان الظروف الموضوعية لهذه الثورات(ظـــروف التخلف والتجزئة والاستعباد التأريخي تجعل منها تجارب ذات فائدة مباشرة وكبيرة للنضـــال العربي من أجل التغلب على العقبات التي تقف في طريق مسيرته التاريخية.

ان انشاء علاقات جدية بين حركة الثورة العربية وبين الثورة الصينية مطلب رئيســـي من متطلبات المرحلة الجديدة التي دخلت فيها القضية العربية في صراعـــــها مـــع القـــوى الامبريالية والصهيونية والنجاح في تحقيق الجبهة القومية الشعبية علـــى صعيـــد الوطـــن العربي أي على الصعيد القومي الداخلي.

ان انشاء علاقات مع الصين لا يجوز أن يكون عاملا في خلق أزمة أو في أحداث تباعد مع الاتحاد السوفياتي بل يجب أن يكون عامل تقريب بين القوتيـــن العـــالميتين الثوريتيـــن وعنصرا ايجابيا في الخلاف الصيني ـ السوفياتي.

٣٢ ـ ان العمل الثوري الذي يشتعل في القارة الامريكية شمالها وجنوبها وفي أمريكا اللاتينيـــة يجب أن يكون مركزا رئيسيا من مراكز اهتمام الحزب وأن تقوم صلات مباشـــــرة بيـــن الثورة العربية وبين المنظمات الثورية التي جسد المناضل الشهيد جيفارا اسلوبها الجديـــد ومنطقها في الكفاح ضد الامبريالية الامريكية.

ج ـ أستراتيجية المجابهة مع الصهيونية
والاستعمار

لقد اعتمد المؤتمر القومي العاشر استراتيجية المجابهة مع الصهيونية والاستعمار في صيغتها النهائية كما تبنى كمقدمة لهذه الاستراتيجية الحديث الذي القاه الرفيق ميشيل عفلـــق فـــي أحـــد اجتماعات القيادة العامة لجبهة التحرير العربية والذي قال فيه:

" يجب أن ننظر الى الامور بصراحة تامة وهذه قاعدة العمل الثـــوري: الصراحـــة والرؤيـــة الواضحة الموضوعية.

الحزب ماذا يريد من الجبهة؟ ماذا يريد من الكفاح الشعبي المسلح ومن العمل الفدائي؟. هل يريـــد أن يسد نقصا كان فيه؟ أو أن يجاري حركات ومنظمات أخرى؟. كيف قصر حزب الثورة العربيـــة، الحزب الذي سبق في وعيه ونظرته الثورية وفي نضاله كل الحركات العربيّة واســـتوعب طبيعـــة المرحلة القومية. كيف قصر عن فهم هذه الناحية الخطيرة بينما منظمـــات أخـرى فطنــت لـــها وأستجابت قبل الحزب.

الاستنتاج المنطقي هو أن الحزب اذن ليس فيه نقص من ناحية واحدة ومن ناحية معينة هـــي ناحية الكفاح المسلح وبتشكيل الجبهة يجب أن يسد هذا النقص وانما الحزب مقصر منذ زمن فـــي كل نواحيه وهذا ما حجب عنه رؤية الحاجة الاساسية الى الكفاح المسلح وأهمية معركة فلســطين في الثورة العربية وأنشغل بأمور ثانوية بالنسبة الى المعركة.

فالحزب عندما يبادر الى تشكيل الجبهة والعمل في أرض المعركة انما يريد لا سد نقص معيـن فيه وانما الشفاء من أمراضه كلها، يريد أن يتجدد كليا يريد أن يولد ولادة جديـــدة سـليمة ولادة فكرية وولادة عميقة، وولادة نضالية.

هذه نظرة يجب أن تكون واضحة لان الجبهة بالنسبة الى الحزب ليست جزءا من عمله، ليست الجزء العسكري ولا الجزء القتالي ولا الجزء الفلسطيني وانما هي الحزب بارادته في الانبعاث من جديد في ارادة التصحيح الشامل والعميق في أوضاعه. تعرفون وترجعون أحيانا الى تراث الحـزب وكتابات قديمة تستشهدون بها قبل ٢٠ و٢٥ سنة كان الحزب في أوضاع سليمة ولذلك كان يـرى بوضوح الطريق الصحيح ويلمس بعمق الحاجات الاساسية للأمة في مرحلة الثورة. ولكن منذ ١٠ سنوات الى الان بدلا من أن نرى تقدما وتعمقا في هذه النظرة الثورية والممارسة نجـــد ابتعـــادا عنها أي أن هذه النظرة تسمى شاحبة وكأنها ذكرى في أذهان بعض الحزبيين لم تعد حقيقة نابضة بالحياة يحياها الحزب. هذه هي سمات وأعراض المرض الذي أنتاب الحزب.

المطلوب اذن هو التحرر من كل العوائق المصطنعة التي أدخلت على الحزب كل التزييف كـــل الجمود وذلك من خلال عمل نضالي ثوري الى أبعد حدود الثورية فيه كل الحرارة القادرة علـى أن تذيب هذا الجمود المزمن وهذه الامراض والعلل. ولكن لنكن صريحين وواضحي النظرة ونعـــرف بأن العملية هذه تتطلب وقتا وتتطلب ممارسة وتتطلب جهودا فكرية وتنظيمية وانغماسا في النضال

حتى نصل الى النفسية الجديدة. أما الانتقال الشكلي من هذا الحزب الذي اعترفنا وصارحنا انفسنا بانه معتل، الانتقال الشكلي الى الجبهة هذا لا يغير النفوس ولا يغير العقول ولا يقوم أو يحقق المعجزات. هذا انتقال شكلي. يجب أن تستوفي شروط الولادة الجديدة شروط التبدل العميق والا نكون كمن يخدع نفسه كمن يحتال على نفسه وعلى الشعب.

اذا حملنا معنا كل العقلية القديمة والامراض القديمة الى الجبهة فلن يخرج الشيء الجديد المرجو وبالطبع لسنا يائسين من الحزب ولا يجوز أن نيأس ولم يعدم الحزب كل أمكانية ولم يفقد كل جوهر، فيه أمكانيات وفيه نفوس خيرة وفيه استعدادات نضالية. والتاريخ والادلة كثيرة على حيوية الحزب وقدرته على التجديد.

فمحنة ٢٣ شباط أظهرت في الحزب بقايا ثمينة جدا من الصمود والروح النضالية والفكر الثوري. كما أن صمود رفاق لنا في العراق دليل آخر على حيوية الحزب. كما أن ظهور وتفجر قوى نضالية في اقطار، ومناطق مختلفة بين الحين والآخر. في تونس مثلا وغيرها هي أيضا ادلة على اصالة الحزب. هذا لايجوز أن نبالغ فيه أيضا. هذا فقط يسمح لنا بان نحاول هذه المحاولة الحاسمة تجديد الحزب من خلال معركة فلسطين والكفاح الشعبي المسلح.

أي أن في الحزب عناصر نضالية وفي الحزب بقية من الفكر الثوري وفيه الاستمرار بين ماضيه السليم وبين المستقبل المرجو له. استمرار يتجسد بقلة مناضليه وهؤلاء يعقد عليهم الامل بان يكونوا الاساس لانبعاث الحزب من جديد.

الذين ينظرون الى الجبهة كقطاع وجزء وناحية من نواحي العمل الحزبي محقون في ذلك لو كان الحزب في حالة سليمة. (ان الحزب أتم وأشمل من العمل القتالي بلا شك. حزب الثورة العربية له مهام متعددة واسعة تتناول جميع نواحي الحياة العربية في السياسة والثقافة والاقتصاد والتربية والاجتماع والحرب والقتال وكل شيء).

ولكن نرجع الى المقدمة التي انطلقنا منها وهي ان الجبهة بالنسبة الى ما إنتاب الحزب من تشويه وتزييف وجمود طوال سنين لا تعود مجرد ناحية من نواحي الحزب وانما تصبح المدخل الى تجديد كلي وعميق للحزب.

بتعبير آخر: مفروض أن يؤدي العمل في الجبهة الى تجديد فكر الحزب، فكر الحزب يولد من جديد في جبهة التحرير العربية.

تنظيم الحزب يولد في الجبهة. كل حاجات الحزب سنكتشفها اكتشافا من خلال الممارسة في العمل الشعبي المسلح لان الصيغة الراهنة التي يعمل فيها الحزب في جميع منظماته وفي جميع اقطاره صيغة فقدت الحياة. صيغة تكاد تكون بالية وغير ناجحة لم تعد تنجح.

ماهو دليل حيوية الحزب أي حزب من الاحزاب الثورية؟ اقبال الشباب عليه أول دليل، اقبال الجماهير الشعبية الكادحة عليه هذا الدليل الثاني.

الواقع بان الصيغة القديمة للحزب لم تعد تجتذب شبابا الا القليل القليل والصيغة القديمة أيضا لم تعد تحرك الجماهير الشعبية.

الجماهير العربية الكادحة هي الأمة العربية في تطلعها الى حياة جديدة راقية منطلقة. ولم تعد الصيغة القديمة تلبي هذا الطموح. والذي يستطيع الان أن ينفذ الى قلوب الجماهير وأعماقها هو نداء معركة التحرير الذي لولاه لما تعمقت الصلة بين الحزب والجماهير.

ماذا ينتج من هذا التطور للجبهة ولولادة الحزب من خلال الجبهة؟ ينتج بكل بساطة أن العناصر الطليعية التي أدركت قبل غيرها ما تعني الجبهة بالنسبة لحياة الحزب وبالتالي لحياة الأمة والمعركة المصيرية للأمة العربية هذه العناصر الطليعية هي المكلفة بان تبني الحزب بناء جديدا بنفس الروح الثورية الاصلية التي تبنى فيها كل الثورات.

أي بانقطاع تام لهذا العمل. بالاخلاص التام لهذه التجربة.بالتحرر من كل المفاهيم والعادات القديمة من مفهوم البيروقراطية والروتين والعمل السياسي التقليدي الذي دخلت عدواه مع الاسف الشديد الى الحزب.

فالجبهة هي ككل ثورة، هي أولا بقيادتها، بنوعية القيادة، بقدرة هذه القيادة على أن تعيش التجربة الجديدة بكل انقطاع وتفرغ وبكل اقبال وحماسة، لانها ستجد في هذه التجربة معنى حياتها والمعاني الاصلية للحزب ولفكرة الحزب وأهدافه.

فمنظمات أخرى ليس لها أحزاب ولدت من جديد في السنوات الاخيرة أما قبيل النكسة القومية أو على أثرها. هذه لا يطلب منها ما يطلب من جبهة التحرير العربية.

أتت خفيفة لا تحمل أثقال الماضي، أثقال أي تركة فكان عملها سهلا ولكن أيضا أتت محرومة من التراث الثوري والنضالي الذي يحمله البعثيون فالجماهير لا تنتظر منها شيئا كثيرا ولكنها انفتحت عليها رحبت بها منحتها ثقة محدودة بهذه الشروط.

عمل الجبهة يختلف هو من جهة مثقل بتركة سلبية للحزب حتى قيادة الجبهة لا تستطيع أن تتحرر بسهولة من هذه التركة ولكن أيضا يجب أن تنظر الى الناحية الايجابية وهي أن الجبهة بما أنها مولودة، من فكرة ونضال الحزب فهي تعتمد على قوة لا تتوافر للمنظمات الاخرى. والجماهير العربية تنتظر منها أكثر مما تنتظر من المنظمات الاخرى.

يخرج من هذا التصور أيضا أن الجبهة هي صيغة تجدد الحزب وانبعاثه يخرج منه ان الجبهة لا يمكن أن تعتمد على السلطة ولو كانت هذه السلطة منتمية الى الحزب وبينها وبين الحزب روابط عديدة.

في هذه الامور لا يمكن التسويات ولا يمكن الاحتيال. أما جبهة ثورية واذن قوتها الاساسية ومصدرها ومصدر قوتها هو الشعب ومقدار تجاوب نضالها مع ارادة الجماهير الشعبية وأماني الجماهير وثقة الجماهير وأما جبهة واجهة للسلطة وطريقها مسدود. وهذا شيء معروف لدينا جميعا لم يمنعنا من أن نعتمد في البداية على ما تقدمه سلطة الحزب في العراق ولكن كنا أيضا عارفين بوضوح أن هذا الشيء مؤقت ولا يجوز أن يطول أمده ولا يجوز أن يستمر والا فقدت الغاية الاساسية من الجبهة. لاننا لم نقصد أن نضيف منظمة الى المنظمات الموجودة منظمة فدائية الى عديد المنظمات الموجودة. كان بامكان الحزبيين أن يعملوا ضمن المنظمات الاخرى. وانما اردنا أن تكون الجبهة هي المنظمة الحقيقية منها يتجدد الحزب، واذا تجدد الحزب تتجدد الثورة العربية والواجب أن يصبح الحزبيون في قيادة الجبهة هم قيادة الحزب.

قيادة الجبهة هي قيادة الحزب، هي أعلى قيادة في الحزب، هي القيادة القومية، ولكن كما قلت في بدء هذا الكلام يفترض فينا أن نكون عميقي النظرة صادقين وجادين في العمل الثوري لان حياة الأمة رهن بصدق هذا العمل. هذه غاية يجب أن نبلغها أي أن تصبح قيادة الجبهة هي أعلى قيادة في الحزب. أي بالجدارة والكفاءة والممارسة والتفاني في العمل تصبح قيادة الجبهة هي أعلى قيادة في الحزب ولكن ليس بالشكليات والانتقال الشكلي من مكان الى مكان وبتغيير الاسم، وبين الواقع الراهن وبين ما نأمله ونرجوه مسافة ومراحل وشروط واقعية لا تحدد سلفا ولا تحدد على الورق بقدر ما تستكشف وتستجلي من التجربة نفسها. والمطلوب أن نعاني التجربة بصدق".

أستراتيجية المجابهة مع الصهيونية والاستعمار:

ان أي تصدي لتحليل طبيعة المرحلة الحالية وبالتالي لاستراتيجية الحزب في هذه الحقبة التاريخية لا بد وأن ينطلق من التناقض الاساسي في المنطقة...

أي التناقض بين الجماهير العربية من جهة والصهيونية والاستعمار من جهة أخرى. كما يتوجب على الحزب أن يحدد نظرته الى القضية الفلسطينية والعمل الفدائي ودور جبهة التحرير العربية في العمل الفدائي نظرا لما تفرضه هذه القضايا من مواقف نظرية وعملية تتصل بمستقبل الأمة العربية وميزة الحزب النضالية على الصعيدين الاستراتيجي والتكتيكي.

١ ـ في طبيعة التحدي الصهيوني الاستعماري:

لا جدال في أن الأمة العربية تخوض مع الصهيونية والاستعمار في فلسطين معركة مصير يتوقف على ضوء نتائجها المستقبل العربي بالمعنى القومي الحضاري من أساسه:

أ ـ على الصعيد الفلسطيني: ان الصهيونية من حيث كونها حركة عنصرية دينية استعمارية استيطانية استهدفت منذ البدء اقامة دولة يهودية صرفة وطرد شعب فلسطين من أرضه ووطنه تشكل عدوانا مستمرا على حقوق شعب فلسطين الانسانية والوطنية بل تشكل نفيا لوجوده كشعب له وطنه وتهديدا مستمرا له كأفراد وكتجمع وبالتالي فان المجتمع الصهيوني القائم على الاغتصاب والعدوان هو مجتمع مضطهد وظالم بمجموعه متخطيا بذلك الاعتبارات الطبقية فالمزارع الصهيوني جاء ليحل محل الفلاح الفلسطيني وليغتصب أرضه كما أن العامل الصهيوني عمل دوما من خلال الهستدروت (أتحاد العمال الاسرائيلي)، على الغاء فرص العمل للعامل العربي مستخدما وسائل الضغط والمقاطعة والارهاب ضد كل يهودي يستخدم العمال العرب كما أن المجازر الصهيونية (دير ياسين وكفر قاسم) برهنت على أن الصهيونيين استهدفوا محو وجود شعب فلسطين بعد حرمانه من حقوقه وأرضه وبالتالي فان معركة الشعب العربي الفلسطيني هي معركة تحرير وطني من طراز خاص لانها معركة استعادة الوطن وتثبيت هويته الوطنية والقومية وهدم كافة المؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية القائمة الان في فلسطين على اساس

عنصري استعماري واقامة مؤسسات مبنية على اساس حق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير مصيره في وطنه المحرر.

ب ـ على الصعيد العربي: ولكن العدوان الصهيوني في فلسطين لم يقتصر ولا يمكن ان يقتصر على الرقعة الفلسطينية جغرافيا وعلى الشعب العربي الفلسطيني. ان الذي دفع بقادة الامبراطورية البريطانية ثم الامبريالية الامريكية لتبني الحركة الصهيونية وتولي مهمة دعم كيان صهيوني في فلسطين جل اهتمامها انما يعود الى الرغبة في ضرب تحرك الأمة العربية نحو التحرر والوحدة بمضمونها التقدمي الاشتراكي، وما يشكله هذا التحرك من تهديد مباشر للمصالح الاستعمارية والنفوذ الاجنبي في هذه المنطقة الاستراتيجية من العالم.

ان اسرائيل منذ البدء كانت معدة لتكون الحاجز الذي يفصل مشرق الوطن العربي عن مغربه ولتكون قاعدة استعمارية أمامية تحرس المصالح الاستعمارية وتبقي على تخلف الوطن العربي وتفتته عن طريق استنزاف طاقاته وتهديد أي تحرك تحرري وحدوي في قطر من الاقطار المجاورة. ولاشك بان احتلال أسرائيل للاراضي العربية المجاورة لفلسطين في حزيران ١٩٦٧ أوضح للجميع وبشكل ملموس الطبيعة التوسعية السرطانية للوجود الصهيوني وأظهر البعد القومي العربي للقضية الفلسطينية بحيث بات لزاما على الوطن العربي أن يتصرف على أساس انه وطن محتل لا وطن مهدد وحسب كما هو الحال في الوقت الحاضر. ان الرد على المؤامرة الاستعمارية لضرب الوحدة العربية والتقدم العربي لا يكون الا بتحقيق وحدة هجومية مقاتلة تعبئ طاقات الأمة العربية وتدفعها نحو القضاء على الدولة الصهيونية وعلى التجزئة في آن واحد. فكما ان هزيمة الخامس من حزيران قد اثبتت عجز الجيوش العربية غير المستندة الى جماهير الثورة العربية فقد اثبتت ايضا عجز العقلية القطرية وواقع التجزئة عن مجابهة العدو الصهيوني الاستعماري في فلسطين.

جـ ـ على الصعيد العالمي: ان الصهيونية من حيث كونها حركة عنصرية رجعية (تشد التاريخ الى عصر الدول الدينية) استعمارية استيطانية تجسد الاستعمار الحديث

وقاعدته الامامية تشكل خطرا حقيقيا على شعوب العالم الاسيوي الافريقي كما انها تشكل حلقة في سلسلة الحلقات الاستعمارية المعادية لتحرير الشعوب وامانيها في التقدم والاشتراكية وليس من قبيل الصدف أن يقتصر أصدقاء اسرائيل في افريقيا على عنصريي افريقيا وروديسيا وعملاء أمريكا وبريطانيا كنظام هيلاسيلاسي في الحبشة وغيره وأن يقتصر أصدقاء اسرائيل في اسيا على الجنرال كي وشاه ايران وعملاء امريكا الصريحين. ان قضية فلسطين هي طليعة قضايا التحرر من الاستعمار والنضال العربي من أجل تحريرها انما يشكل جزءا أساسياً من معارك الشعوب ضد التسلط الامبريالي في العصر الحديث.

٢ـ الاسس العامة لمواجهة الخطر الصهيوني:

أن دراسة طبيعة التحدي الصهيوني والعلاقة القائمة بين الصهيونية والامبريالية العالمية تدل بوضوح على هوية الاعداء والاصدقاء في المواجهة العربية الصهيونية كما أن نظرة عامة الى عوامل القوة الناتجة عن الذاتية الاسرائيلية وعوامل القوة الناتجة عن الترابط بين الصهيونية والامبريالية تدل على الاستراتيجية الوحيدة المتاحة أمام الشعب العربي في معركة المصير في فلسطين. ان مواجهة التفوق العلمي ـ التكنولوجي الصهيوني الامريكي في فلسطين تحتم علينا كشعب متخلف لم يصل الى أعتاب العصر الصناعي الحديث ان نتبنى استراتيجية حرب التحرير الشعبية الطويلة الامد على أساس الاعتماد على الذات وتعبئة طاقات الأمة العربية وزجها في المعركة.
يدل تاريخ المواجهة في فلسطين على أن الاستعمار عمل دوما على ضمان هزيمة العرب بواسطة اقصاء الجماهير العربية عن المعركة. ففي ظل الانتداب البريطاني اقصيت الجماهير العربية نظرا لخضوع الأمة العربية للاستعمار البريطاني والفرنسي بالاضافة الى عامل التجزئة السياسية التي قامت في أعقاب الحرب العالمية الاولى. وفي عام ١٩٤٨ اتضح للشعب العربي أن الحكومات العربية الرجعية القائمة آنذاك حرمت الجماهير العربية من المشاركة بفعل خضوع الحكومات العربية للاستعمار وما يعنيه ذلك من اضطهاد الجماهير ومحاربة تحركاتها وتعبئتها وتسليحها والحيلولة دونها ودون المشاركة في انقاذ فلسطين من الخطر الصهيوني.

ان مشاركة حكومات الجامعة العربية في حرب ١٩٤٨ لم يكـــن ســوى خدعــة اســتعمارية ومسابقة انانية على اقتسام مناطق النفوذ والاجزاء الباقية من فلسطين حسب الخطة الاستعمارية متمثلة في قرار التقسيم كذلك كان من الطبيعي ان تمني الحكومات والجيوش المشاركة في معركة ٥ حزيران ١٩٦٧، بالهزيمة لان القطرية الاصلاحية عجزت عن تحقيق الوحدة العربية وعطلت تحرك الجماهير نحو المشاركة في تحرير فلسطين ولقد أوهمت هـذه الحكومـات شـعوبها بـان الجيوش المحترفة قادرة على تحقيق التحرير دون حاجة الى مشاركة الشعب وذلك نتيجة خـوف هذه الحكومات من الجماهير وهنا لا بد لنا كحزب ثوري تاريخي أن نقرر حقيقة أثبتتها الشـعوب المناضلة.

ان الجيوش المحترفة المفتقرة الى قيادة سياسية وطنية والى سند شعبي حقيقي والى إرتبـاط باهداف الأمة هي جيوش فوقية عاجزة وأن الثورات المستندة الى الجماهير الواعية المسلحة هـي وحدها القادرة على التحرير وأن هذه الثورات هي وحدها القادرة علـى بنـاء جيـش التحريـر المنشود.

جاءت الهزيمة في فلسطين نتيجة التخلف والتجزئة والنفوذ الاسـتعماري وخيانـة الطبقـات الحاكمة لمصالح الأمة ومستقبلها ولا يمكن أن يأتي الحل الا عن طريق الوعي والتنظيم والتعبئـة الجماهيرية المالكة لوسائل تفجير طاقاتها وفرض اراداتها. من هنا كان الحديث عن المئة مليـون عربي حديثا يقصد منه التضليل والاطمئنان الكاذب للتستر عن عجز الحكومات وتآمرها الاجرامي. ان الملايين العربية لن تصبح عاملا فعالا وحاسما في المعركة الا عندما تقوم القيـادات الشـعبية وفي طليعتها حزبنا المناضل بدورها القيادي المطلوب ومبادرتها الحاسمة في التعبئـة والتنظيـم والتسلح والا فان تجربة ٥ حزيران حين تفوق العدو علينا في سـاحات القتـال الفعليـة عدديـا بالاضافة الى تفوقه التكنولوجي والعلمي سوف تتكرر بالتأكيد. ان الكفاح الشعبي المسلح وحـده يضمن اعداد الشعب العربي وزج طاقاته زجا حقيقيا في المعركة.

وهو يؤدي الى تطور الوعي الجماهيري وتنظيم الصفوف الشعبية وتسلم زمام المبادرة في حمايـة الثورة من كافة أعدائها.

والحديث عن حماية الثورة ضمن استراتيجية حرب التحرير الشعبية يقودنا الى الحديث عـن الوحدة الوطنية والموقف من الرجعية العربية.

ان الرجعية العربية والطبقات والفئات الحاكمة في البلدان الخاضعة للاستعمار الاجنبي هي في عداد أعداء الثورة الفلسطينية موضوعيا لان الاستعمار الذي يحمي هذه الطبقات ويحافظ على امتيازاتها ونفوذها هو صاحب القرار النهائي في كافة القضايا الاساسية ولا سيما القضية الفلسطينية التي تشكل بالنسبة للامبريالية ساحة المواجهة الرئيسية مع الأمة العربية ومع شعوب المنطقة المحيطة بالوطن العربي. لقد تآمرت الرجعية الحاكمة على ثورة ١٩٣٦ في فلسطين وأجهضتها كما تآمرت عام ١٩٤٨ بتخطيط من الاستعمار لتسهيل قيام الدولة الصهيونية كذلك فان الرجعية لا تزال تتآمر لاحتواء الثورة الفلسطينية وحرفها عن طريقها الشعبي والقومي والتقدمي السليم. ان الوحدة الوطنية السليمة في اطار حرب التحرير الوطني في فلسطين تعني افساح المجال أمام كافة الطبقات والفئات الوطنية الشريفة التي ترى في الكفاح الشعبي المسلح طريقا للتحرير. وهذا التحديد يقضي طرحه بابعاد كافة الانهزامية والعناصر المرتبطة مصلحيا واقتصاديا وسياسيا بالاستعمار بقيادة الولايات المتحدة حارسة اسرائيل ونصيرها الدائم كذلك فان الجماهير العربية تحقق عمليا نضال الوحدة عبر وحدة النضال الذي يفرز كافة العناصر التي تتآمر على حصر الثورة الفلسطينية في نطاقها القطري لتعزلها عن شريان حياتها وضمان قوتها وانتصارها وانتصار الجماهير الثورية العربية. فالوحدة الوطنية في بوتقة حرب التحرير الوطني في فلسطين تعني بالضرورة وحدة الملتزمين بالخط الكفاحي ضمن جبهة تحرير وطني كما تعني بالضرورة ان تتصدر الطلائع الثورية للجماهير الكادحة قيادة الثورة وتوجيهها.

ان القوى المعادية للاستعمار وصاحبة المصلحة المادية والمعنوية في انتصار الثورة هي وحدها القوى المهيئة للمضي في حرب التحرير الوطني حتى النصر. وان تسليم زمام المبادرة للعناصر قد برهنت عن عجزها التاريخي في قيادة الجماهير العربية نحو تحقيق الوحدة والتقدم والتحرير الوطني العربي ولانها بطبيعتها مساومة واستسلامية انهزامية عملت على اجهاض كل التحركات الثورية في المنطقة.

ان الرجعية والقطرية والبيروقراطية الاصطلاحية والعناصر الانتهازية لا تقوى على قيادة حرب التحرير الشعبية المستندة كليا الى الجماهير الشعبية والقائمة على اساس استراتيجية الاستنزاف الطويلة الامد وهناك أسئلة عديدة تطرح نفسها من خلال استراتيجية حرب التحرير الشعبية لا بد من الاجابة عليها لكي تتضح أمامنا صيغة العمل التحرري.

السؤال الاول هو: هل يلغي الطابع العربي القومي للنضال الوطني في فلسطين دور العمل الفدائي الفلسطيني في الخطة الاستراتيجية للمواجهة واذا كان الجواب بالنفي. فما دور العمل الفدائي الفلسطيني في هذه الخطة؟ ثم ماهو دور الحزب في جبهة التحرير العربية؟ وماهي صيغة العمل السياسي الجماهيري لدعم الجبهة وتعبئة قوى الأمة العربية من أجل حرب التحرير.. للاجابة على السؤال الاول لا بد من القول بان العمل الفدائي الفلسطيني هو عمل بطولي وطليعي يشكل استمرارية نضالية لمقاومة شعب فلسطين للصهيونية والاستعمار ولقد كانت المقاومة الفلسطينية المسلحة ردة فعل طبيعية وتصاعد نضالي عظيم في وجه الاحتلال الصهيوني ولاشك بان صمود الفدائيين الفلسطينيين في معركة الكرامة قد منع استرسال الحكومات العربية في تنفيذ مخططاتها الاستسلامية وأكد على أن التصدي الشعبي لجيوش الغزو الصهيوني ممكن معيدا بذلك الثقة بالنفس لدى الجماهير العربية مستشيرا الى طريق تحقيق النصر عن طريق التضحيات وارادة المقاومة والنصر. لقد أكدت المقاومة الفلسطينية على بعث الشخصية الفلسطينية والدور القتالي الفلسطيني رافضة بذلك وصاية الانظمة العربية عليها وليس في الاستقلالية الفلسطينية النضالية عن الانظمة العربية شيء من القطرية المريضة اذ إن عرب فلسطين يحتلون المواقع الامامية جغرافيا وبشريا في المجابهة العربية للصهيونية. ان الشعب العربي الفلسطيني هو الشعب الاكثر تحسسا بالظلم الصهيوني وبالتالي فان طليعية العمل الفدائي الفلسطيني طليعية وطنية واجتماعية ونضالية مقبولة والعمل الفدائي من حيث انه أشار الى الطريق السليم لمقاومة الصهيونية والاستعمار، أي طريق الكفاح المسلح كان بالفعل شرارة المرحلة الجديدة للثورة العربية مرحلة حرب التحرير الشعبية على النطاق القومي الشامل غير أن ثورة فلسطين تبقى مهددة من الناحية العملية والتاريخية والنظرية اذا لم تلتحم بالثورة العربية وامكاناتها البشرية والجغرافية والاقتصادية القادرة على حمايتها ورفدها وسوف تظل معرضة لمؤامرات الاستعمار ومكائد الانهزاميين وتخاذل الحكومات المهزومة أمام حلول مجلس الامن الاستسلامية والدول الاستعمارية وهذا يعني انه في الوقت الذي ترحب فيه الجماهير العربية باستقلال العمل الفدائي عن الحكومات فان هذه الجماهير المتحفزة ترى في عدم التحام الثورة الفلسطينية بالثورة العربية التحاما كاملا مصدر خطر على مستقبل الكفاح المسلح في فلسطين ومن هنا نرى ان طبيعة المرحلة وضروراتها الاستراتيجية تفرض علينا النظر الى المقاومة الفلسطينية باحترام وأخاء كاملين على أساس أنها رأس حربة المقاومة العربية الشاملة للصهيونية والاستعمار.

للاجابة على السؤال الثاني لا بد من القول ان العلاقة بين الحزب والجبهة هي علاقة عضوية مباشرة وأن تحديد العلاقة العضوية التي تربط الحزب بالجبهة لا يمكن التوصل اليها بشكل علمي ودقيق ما لم تتضح بعض المبادئ العامة الجديد كما أن هذه العلاقة لا يمكنها أن تأخذ أبعادها والمنطلقات الثورية الاساسية التي ولدتها ظروف العمل الحقيقية والتفصيلية قبل أن يخوض الحزب في هذه التجربة نضالا صادقا ولمرحلة زمنية كافية يكشف من خلالها الجوانب العملية لهذه العلاقة باشكالها التفصيلية وخاصة على الصعيد التنظيمي وتتلخص جوانب هذه العلاقة بالمبادئ الاولية التالية:

أولا– ان الحزب هو التنظيم القائد داخل الجبهة وعمودها الفقري فعلى الصعيد النظري ليس للجبهة أية ايديولوجية منفصلة عن ايديولوجية الحزب. اذ أن فكرها نابع من العقيدة العربية الثورية التي رفع رايتها حزبنا وناضل من أجلها منذ أكثر من ربع قرن. والتراث الفكري الذي تنتجه الجبهة ما هو الا تفصيل لفكر الحزب بقضية فلسطين.

ان الفكر الموجه لعمل الجبهة واستراتيجيتها في التحرير وفي سياستها المرحلية هو فكر الحزب وهذا التفاعل بين فكر الحزب وعمل الجبهة لا بد وأن يغني فكر الحزب ويطور من عمل الجبهة في المستقبل خاصة اذا أخذ هذا التفاعل طابعا متطورا وسليما.

وعلى الصعيد التنظيمي فان الصيغة النهائية لقيادة الجبهة تفترض تمثل الحزب في قيادتها العامة وعلى مستوى القيادات الاخرى على أن تكون الصيغ المرحلية في اطار الصيغة النهائية الامر الذي يوفر رقابة وقيادة الحزب الدائمة للجبهة على المستوى القومي كما أن قيادات الحزب في الاقطار والمناطق هي التي ستقوم وتوجه نشاطات الجبهة في تلك المناطق والاقطار وبذلك يتحقق المبدأ الاول بأن الحزب هو التنظيم القائد داخل الجبهة.

ثانيا – ان قيادة الحزب للجبهة لا يمكن اعتبارها قاعدة جامدة أو نتيجة ميكانيكية بل تتحقق من خلال قيام الحزب بدور طليعي داخل الجبهة. ان انبثاق جبهة التحرير العربية من فكر الحزب وتنظيمه لا يعني أن الجبهة هي منظمة الحزب المسلحة أو ذراعه الضارب بل هي للحزب بقدر ما يعمل الحزب فيها ويقدم لها من شبابه ونضاله.

ان الجبهة ليست جهاز الحزب المقاتل في فلسطين والارض المحتلة كما انها ليست عبارة عن مجموعات حزبية مقاتلة بل هي صيغة الحزب لهذا النضال القومي التقدمي مع جماهير الأمة ضد

الاحتلال والاستغلال ولن تأخذ هذه الصيغة معناها الحقيقي الملموس الا عندما يعـــي الحــزب ان المطلوب منه داخل الجبهة هو اضعاف ما هو مطلوب من أعضاء الجبهة الآخرين.

ان هذا الوضع الثوري الجديد الذي يعيشه الحزب لا يمكن التجاوب معه وقيادتـــه بالاســاليب التقليدية القديمة بل يتطلب من الحزب تغييرا جذريا في اسلوب نضاله ومقاييسه ويلخص بالمبادئ التالية:

١ــ اعتماد مبدأ الاحتراف الثوري للقيادات الحزبية وقيادات الجبهة.

٢ــ تدخل القيادة في عملية تحديد نوعية وكمية المهمات النضالية لكل رفيـــق حزبــي واعتمــاد مقاييس حاسمة ومرنة للمراتب القيادية في الحزب والجبهة. أي أن المهمات النضالية تتزايد خطورتها وعددها صعودا في التنظيم وليس العكــس. فمهمـــة القيــادات ليســت التخطيــط والاشراف فحسب بل الاشتراك والقيادة.

٣ــ التهيؤ نحو تحويل الحزب من تنظيم نضالي لا يختلف نوعيا عن التنظيمات السياسية الاخـرى تنظيم حديدي تنطبق فيه المبادئ الثورية بكل ابعادها.

ثالثـــــا ــ ان الحــــزب كلــــه يجـــب أن ينـــــاضل داخـــــل الجبهـــــة. فاذا كان المراد من الجبهة أن تكون المنظمة الخقيقية التي من خلالـــها يتجـدد الحــزب وبالتالي تتجدد الثورة العربية فمن المنطقي اذن ان ينغمس الحزب بالعمل داخل الجبهـــة لانها الصيغة التي تترجم نداء التحرير تنظيميا وشعبيا. وكي يكون الحزب علـــى اتصـال بحركة المرحلة وقوانينها فاعلا فيها موجها لها وقائدا لتنظيماتها فمن المنطقي ايضــا ان يكون لكل حزبي مهمة على الاقل داخل الجبهة خاصة في الاقطار المحيطة بفلسطين علـى أن يصبح هذا القانون عاما بالنسبة للحزب في كل مكان يوجد فيه وغني عن القول هنـــا انه اذا كان من المفروض أن يكون لكل حزبي عمل في الجبهة فان ذلك لا يعنــي ذوبـان الحزب داخل الجبهة. اذ أن التنظيم الحزبي سيظل قائما لا بل انه سيزداد قـــوة وصلابـــة ومتانة بفضل التصاقه بالعمل اليومي النضالي.

رابعا ــ ان اشراك المنظمات الاخرى والافراد المستقلين داخل الجبهة أشراكا فعليا فـــي عمليـــة النضال هو من واجب الحزب الذي اكد مرارا على انه ليس باســـتطاعة فئـــة ثوريـــة أن

تتحمل بمفردها تبعات النضال كلها في هذه المرحلة وعلى ضـــرورة الالـــتزام بالصيغـة الجبهوية شرط أن تتبنى هذه الصيغة برنامجا قوميا تقدميا منطلقا مـــن مبـــادئ الثـــورة العربية المعاصرة معتمدا على النضال الشعبي المسلح كأســلوب وحيـد لتحريـــر الارض العربية وانسانها.

أي أن على الحزب أن يعي هذه الصيغة الجبهوية ليمارس تثقيفا جبهويا بين أعضائـــــه كـــي يستطيع تحرير قطاعات الشعب الكادحة وتفجير امكانياتها لدفع الثورة الى الامـــام اذ أن الشـــرط الاساسي لنجاح الجبهة هو نجاح الحزب داخلها في تحريك امكانيات المنضوين تحت لوائها ووضع هذه الامكانيات داخل الآلة الثورية. ان مشاركة الرفيق الحزبي في شؤون الجبهة هو حق مشروع وواجب ملقى على عاتقه ولكن هذه المشاركة ستفرز انعكاسات سلبية ما لم تكن مؤطرة باشـــكال تنظيمية معينة وآخذة بعين الاعتبار ظروف نشأة الجبهة وطفولة تنظيمها وحساسيته اما الاجابـــة على السؤال الثالث تنطلق من ايماننا الصريح بان الجماهير العربية الكادحة وحركاتـــها الوطنيـــة التقدمية هي السند الاساس ومصدر الدعم الرئيسي للعمل الفدائي في كل اقطـــار الأمـــة العربيـــة باعتبارها صاحبة المصلحة الواضحة في ضرب التحالف الاستعماري الصهيوني واقتلاع مصـــالح الامبريالية وعملائها الرجعيين من الارض العربية.

ان هذا الايمان الصريح يدفعنا الى العمل على رص التلاحم بين منظمات المقاومة وبين القوى الوطنية التقدمية في سائر الاقطار العربية من اجل حماية العمل الفدائي من مؤامـــرات التصفيـــة والانهزام ولدفعه الى مزيد من بلورة مفاهيمه القومية والتقدمية بشكل صريح كما أن هذا التلاحـــم يعطي حركة التقدم والتحرر في الاقطار العربية زخما ثوريا ويربطها بشكل مصـــيري وعضـــوي بمعركة المصير العربي الواحد.

وعلى هذا الاساس أن عملنا في هذا المجال يقوم على مستويين:

١ــ مستوى بناء التنظيمات الشعبية المرتبطة بجبهة التحرير العربية في كافة الاقطـــار العربيـــة لتضم الرفاق الحزبيين وكافة الافراد والمنظمات الملتزمـــة باســـتراتيجية جبهـــة التحريـــر وتصورها فهذه المنظمات تستطيع ان تعبئ طاقات الجماهير العربيـــة وتنظيمـــها وتضمـــن اشتراك هذه الجماهير الفعلي بمعركة التحرير ورفد الثورة المسلحة في فلسطين بطلائع هـــذه الجماهير المؤمنة المقبلة على النضال في معركة التحرير....

٢ـ مستوى ايجاد الصيغ الملائمة لتحقيق التلاحم الفعلي بين حركة المقاومة والقوى والحركات الوطنية في كافة اقطار الوطن العربي لضمان حماية العمل الفدائي ودعمه. وهكذا فان على الحزب أن يعمل:

١ـ على الصعيد الفلسطيني:

أ ـ دعم العمل الفدائي الفلسطيني والمقاومة الشعبية في الضفة الغربية وغزة بالمال والسلاح.

ب ـ افساح المجال الكامل أمام الشعب العربي الفلسطيني للمشاركة الحيوية الفعالة (تعبئة تدريب وتنقل) في العمل الفدائي الفلسطيني.

جـ ـ فك حصار الانظمة وأموال البترول المضروب حول العمل الفدائي الفلسطيني وذلك بتأمين موارد التدريب والتسليح والتمويل للعمل الفدائي الفلسطيني.

د ـ تشجيع كافة الجهود الرامية الى تحقيق شعار وحدة الفدائيين بقيادة الفكر الثوري.

هـ ـ توثيق العلاقات وتنميتها بين الحزب ومنظمات المقاومة الرئيسية من خلال قيادة جبهة التحرير العربية على أساس الشعور المتبادل بين القوى الثورية.

و ـ تطوير العمل الفدائي ومده بكافة الامكانيات بحيث يتكافأ مع التطور السريع لوسائل العدو في مقاومة هذا العمل.

٢ـ على الصعيد العربي:

أ ـ يعمل الحزب على تنفيذ استراتيجية حرب التحرير الشعبية والكفاح المسلح ضد الصهيونية والاستعمار وذلك عن طريق دعم جبهة التحرير العربية ببناء الكادر السياسي والعسكري القادر على قيادة الجبهة وتوسيع تشكيلاتها بحيث تصبح تشكيلا جبهويا يضم خيرة العناصر الوطنية المكافحة من كافة أجزاء الوطن العربي ومن كافة التشكيلات التي قادت مقاومة الاستعمار.كما يقوم الحزب بدعم الجبهة ماديا وسياسيا.

ب ـ العمل على أقامة التنظيمات الشعبية المرتبطة بجبهة التحرير العربية لتأمين تعبئة كافة الجماهير العربية وتنظيمها واشتراكها في معركة التحرير والعمل كذلك على ايجاد الصيغ الملائمة لتحقيق التلاحم مع القوى والحركات الوطنية في كافة اقطار الوطن العربي بدعم وحماية العمل الفدائي.

جـ نشر الوعي لطبيعة المعركة في فلسطين والترابط العضوي بين الاستعمار والصهيونية عن طريق النشرات والكتب ومناهج التعليم والاجتماعات العامة.

د ـ يقاوم الحزب جميع الدعوات الاستسلامية والانهزامية ويفضح جميع المحاولات لخنق الثورة العربية في فلسطين واحتوائها.

هـ ـ يتولى الحزب مهمة العلاقات مع منظمات المقاومة الفلسطينية وكافة المنظمات والهيئات الشعبية التقدمية في الوطن العربي وخارجه بوحي من اعتبارات معركة التحرير.

٣ـ على الصعيد العالمي:

أ ـ يعمل الحزب على تنمية علاقات الاخوة والصداقة في العالم على أساس أن المعركة في فلسطين والدعم المتبادل مع كافة حركات التحرر الوطني والارض العربية المحتلة تحرير وطني بالنسبة للشعب العربي وعلى أساس وحدة مصالح الشعوب في محاربة العدو المشترك: الاستعمار.

ب ـ اقامة علاقات متينة بين جبهة التحرير العربية وكافة الاحزاب والقوى التحررية والاشتراكية في العالم عن طريق شرح نظرتنا في القضية الفلسطينية وعلاقة النضال التحرري في فلسطين بمستقبل الشعب العربي وعلاقاته مع الشعوب الاخرى.

جـ ـ ايفاد بعثات للاطلاع والاستفادة والتدريب في فيتنام والصين الشعبية.

(بقي أن نقول ان حزبنا " حزب البعث العربي الاشتراكي" يتحمل مسؤولية تاريخية كبرى في ترجمة شعار المرحلة ...حرب التحرير الشعبية ضد الصهيونية والاستعمار الى تعبئة جماهيرية كتنظيم قتالي عربي واسع شامل قائم على الذات والحرب الطويلة النفس والقيادة الامينة لمصالح وأهداف الجماهير الكادحة المسحوقة فحزبنا هو الحزب العربي الوحيد الذي يجمع بين المنطقين العقائدي الوحدوي والتنظيم القومي الموحد الذي يقاتل في سبيل تحرير الوطن من الاحتلال والاستعمار وتحرير الشعب من الظلم والاضطهاد. في فلسطين يحارب العرب جميع أعداء وجودهم وتقدمهم وبالتالي فان الكفاح المسلح القائم في فلسطين على تنظيمات جماهيرية واسعة مسلحة مرتبط أشد الارتباط بمعركة الأُمة العربية ضد الاستعمار وتحقيق أمانيها فالطريق الى ثورة الوحدة والحرية والاشتراكية تمر عبر فلسطين).

التقرير السياسي
للمؤتمر القومي
(الحادي عشر)
تشرين الثاني ١٩٧٧

(إيضاح)

جرت العادة ان ينشر التقرير السياسي للمؤتمر القومي بعد فترة وجيزة من انعقاده، وهـذا ما وعدت به القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي في البيان الإعلامي الذي أصدرته عن المؤتمر القومي الحادي عشر بتاريخ ٨/تشرين الثاني /١٩٧٧.

غير إن ظروفا خاصة جدا أحاطت بمسألة نشر هذا التقرير.

فبعد المؤتمر بفترة وجيزة،وفي الوقت الذي كانت فيه القيادة القومية تعد التقرير للنشر في ضوء ما جرى في المؤتمر القومي من مناقشات وتوصيات وقعت زيارة السادات الخيانية للارض المحتلة،، وبدأت سلسلة من التطورات السياسية في الساحة العربية جعلت القيادة تتريث في نشر التقرير لأسباب تتعلق بالمصلحة القومية.

فبعد زيارة السادات الى الأرض المحتلة بادرت قيادة حزب البعث العربي الاشتراكي والثورة في القطر العراقي،الى الدعوة لاقامة جبهة للصمود والتحرير تتألف من العراق وسورية والجزائر وليبيا واليمن الديمقراطية ومنظمات المقاومة الفلسطينية.

وكانت هذه الدعوة تشكل ردا قوميا جادا على زيارة السادات،وعلى الأوضاع المتردية في الساحة العربية.وإخلاصا من قيادة الحزب والثورة لدعوتهما التاريخية هذه،حرصا على ان يتيحا لها كل متطلبات النجاح،،وكان واضحا ان نشر التقرير السياسي الذي اقره المؤتمر القومي الحادي عشر في ذلك الوقت،وخلال الفترة اللاحقة،يمكن ان يتخذ من بعض الأطراف وبخاصة النظام السوري،وبعض قيادات المقاومة الفلسطينية كذريعة لإثارة البلبلة وبالتالي التهرب من تلك الدعوة ومن الإشتراطات القومية الجادة التي حددتها .

وخلال الفترة اللاحقة شهدت الساحة العربية تطورات خطيرة كانت كلها تشير الى ضرورة الحفاظ على قدر من التضامن في الموقف العربي بوجه المخططات الاستعمارية والصهيونية وسياسات نظام السادات الخيانية،مما جعل القيادة تواصل تريثها في نشر هذا التقرير،، ثم جاءت اتفاقيات كامب ديفيد، والقرار التاريخي الذي اتخذته قيادة الحزب والثورة في ١ تشرين الأول ١٩٧٨ بالدعوة الى مؤتمر قمة عربي،،وما تلا ذلك من مشروع ميثاق العمل القومي مع سوريا،،هذه الظروف والاحداث كلها اكدت ضرورة عدم نشر التقرير علنا،لكي لا يتخذ هذا النشر ذريعة من قبل الانظمة العربية والنظام السوري بوجه خاص للتهرب من المنهج القومي الذي حددته القيادة منذ ١ تشرين الاول /١٩٧٨،وفي المرحلة اللاحقة.

وهكذا تأجل النشر مرة اخرى وأخيرا،فقد درست القيادة هذه المسألة بأمعان،وخرجت بالنتائج التالية:ـ

(١) ان التقرير السياسي للمؤتمر الحادي عشر،وثيقة حزبية أقرتها أعلى سلطة في الحزب،هي المؤتمر القومي الحادي عشر،وان الحزب برغم عدم نشر التقرير علنا،ملتزم بـــه وفـــق القواعد والأعراف الحزبية.

(٢) ان الأحداث الواقعة بين المؤتمر والوقت الراهن،تؤكد صحة التحليل الذي جاء به التقرير السياسي،ودقة وعمق الاستنتاجات التي وردت فيه،مما يعطي البرهان الجديـــد علـــى ان حزبنا هو الحزب الطليعي الذي يحلل الاوضاع في وطننا تحليلا صحيحا، ويستشرف آفاق المستقبل استشرافا دقيقا.

(٣) ولما كان النشر العلني للتقرير يخلق في الوقت الحاضر،ذات المحـــاذير التـــي تحاشـــتها القيادة في السابق،،فقد قررت القيادة توزيعه على الرفـــاق علـــى أن يشـــرح مضمونـــه للانصار،ويعتمد كوثيقة حزبية،في حياة الحزب الداخلية وفي نشاطه الثـــوري فـــي كافـــة الميادين.

القيادة القومية

شباط ــ ١٩٨٠

مقدمة

ان انعقاد المؤتمر القومي حدث كبير في حياة الحزب والامة العربية ليس لان المؤتمر أعلى سلطة في الحزب فحسب،وانما لانه مناسبة تاريخية لاجتماع القادة الطليعيين للامة العربية،القادمين من اقطارها،الحاملين همومها ومشكلاتها وتجاربها وطموحاتها،ليتدارسوا شؤون الوطن،ويحللوا اوضاعه السياسية والاقتصادية والاجتماعية،بروح ونهج قوميين،وليضعوا برنامجا قوميا لحركة الثورة العربية،خلال المرحل المقبلة.

وتاريخ المؤتمرات القومية،هو في جانب كبير منه،تاريخ الحزب وحركة الثورة العربية،والامة العربية في نضالها المعاصر.

ان الجوانب الايجابية التي تمخضت عنها مؤتمرات الحزب القومية _ بدءا بالمؤتمر التأسيسي في عام ١٩٤٧،وانتهاء بالمؤتمر العاشر في ١٩٧٠،هي انعكاس للجوانب الايجابية التي اسفرت عنها مسيرة الحزب وحركة الثورة العربية، كما ان الجوانب السلبية والمشكلات التي ظهرت في تلك المؤتمرات،والمعضلات التي واجهتها،هي انعكاس للجوانب السلبية،وللمشكلات في الحزب،وفي حركة الثورة العربية،عبر العقود الماضية.

ان مؤتمرنا القومي الحادي عشر يكتسب موقعا متميزا،واهمية خاصة فقد عقد العديد من مؤتمراتنا القومية السابقة في ظروف واجواء اتسمت بالازمة الحزبية الداخلية،أو الازمة القومية،او كلتيهما معا،كما أتسمت بكثرة الجوانب السلبية،وضعف التفاؤل،ووجود الكثير من المخاطر التي تهدد الحزب، والتي انعكست، بشكل واضح، على طريقة عمل تلك المؤتمرات ومقرراتها،والتالي، على النتائج العملية التي نشأت عنها،في حين ينعقد مؤتمرنا الحادي عشر في ظروف مختلفة.فعلى الرغم من الأوضاع الدقيقة التي تجتازها امتنا العربية وحركتها الثورية، وبالرغم من استمرار بعض الجوانب السلبية في الحزب، ومن المشكلات العديدة التي تواجهه،فان المؤتمر ينعقد في ظل وحدة الحزب والثقة بالنفس،والتفاؤل بالمستقبل،وفي ظل التصميم على إنجاح المؤتمر،وجعله خطوة حقيقية وكبيرة الى أمام.

فبعد اكثر من ثلاثين عاما على انطلاق نداء البعث العظيم في الأربعينات وبرغم كل ما تعرض له حزبنا،من ارهاب وتآمر،وتشويه،وتحريف،وما أصابه من نكسات وانقسامات، وازمات داخلية،ظن معها الكثير من الأعداء ــ وحتى بعض الاصدقاء ــ انه اوشك على الانتهاء،اثبت حزب البعث العربي الاشتراكي،وكما آمن بذلك مناضلوه الاول،انه أمل الامة، في التحرر والنهضة

والوحدة،وأنه المعبر الاصيل عن شخصيتها التاريخية العظيمة،وقدراتها الخلاقة،وحركتها الثورية المناضلة.

لقد عاش الحزب،واجتاز كل مامر به من محن وأزمات وانقسامات ونكسات،وتمكن مناضلوه من مواصلة المسيرة في ارجاء الوطن،ونجحوا،في القطر العراقي،في اقامة أول قاعدة للثورة العربية القومية والاشتراكية في الوطن العربي،عندما فجروا ثورة السابع عشر ـ الثلاثين من تموز ١٩٦٨،وقادوا مسيرتها الظافرة عبر اكثر من تسع سنوات،حققوا خلالها منجزات ثورية عظيمة،حتى اصبحت،اليوم،معقد آمال الحزب والامة،وحركتها الثورية،وقاعدة الانطلاق والاشعاع،باتجاه تحقيق الاهداف التاريخية،في الوحدة والحرية والاشتراكية.

غير ان الظروف الجديدة التي ينعقد فيها مؤتمرنا هذا،لا يعني،على الاطلاق،ان مهمات الحزب قد اصبحت أسهل،وان المخاطر المحيطة به قد باتت أقل،،فالظروف الجديدة التي لها، بالتأكيد،تأثيراتها الايجابية الكثيرة على نضال الحزب،،ومسيرة الثورة العربية،والتي توفر لنا،ولاول مرة،امكانات كبيرة،لم تكن متاحة في الماضي،،هذه الظروف لها ـ في الوقت نفسه ـ وجهها الاخر،فالقوى الاستعمارية والصهيونية والرجعية التي هزمها الحزب،عندما استطاع ان يبني تجربته الثورية الناجحة الاولى، في ١٧ ـ ٣٠ تموز ١٩٦٨، باتت ـ ومنذ عدة سنوات ـ تضع في مواجهة الحرب وحركته الثورية،امكانات ووسائل اضافية،واستثنائية،مما يعني اننا نواجه ـ الان وفي المستقبل،ولوقت طويل جدا ـ ظروفا في غاية الدقة والتعقيد.

وفي الجانب الاخر،فان الجماهير العربية تضع اليوم على عاتق الحزب واجبات ومسؤوليات جسيمة،لانها تشعر بحاجتها الى دوره الطليعي في مقاومة الهجمة الاستعمارية الصهيونية الرجعية،وفي مواصلة مسيرة حركة الثورة العربية.

واذا كان علينا ان نؤكد سمات لهذا المؤتمر اكثر من غيرها،فاننا لنؤكد على سمتي " الجدية والمسؤولية" .فالقرارات التي نتخذها في هذا المؤتمر، والتي تعلن على شكل بيانات، او شعارات،او برامج للعمل،لن تعامل،في نظر الجماهير والقوى التقدمية العربية والعالمية، وفي نظر الاعداء الاستعماريين والصهاينة والرجعيين،على انها عبارات انشائية، او أمان، او اهداف بعيدة،، فبعد القدرة على الانجاز التي بلغها الحزب. وبخاصة منذ ١٧ ـ ٣٠ تموز ١٩٦٨ حتى اليوم، اصبح لما نقوله ونعلنه وزن اضافي، في نظر الاصدقاء والاعداء معا،وهذا يلقي علينا،نحن

اعضاء المؤتمر، عبء كبيرا، ومسؤولية خطيرة،بل انه يفرض علينا ان نسير مؤتمرنـــا ونتخـذ مقرراته باسلوب جديد، وروحية جديدة،تتناسب مع هذه الظروف.

كما ان الامال التي تعلقها الامة العربية وحركتها الثورية ــ في هـــذه المرحلـة التاريخيـة الدقيقة ــ على حزبنا الذي نهض ــ منذ نشوئه، قبل اكثر من ثلاثيـن عامـا ــ باعبـاء الـدور الطليعي في حركة الثورة العربية، يتطلب من مؤتمرنا هذا مستوى من التحليل والعمـل وتحديـد المهام،يتناسب مع هذه الامال،، كما تلح علينا ان نجعل من مؤتمرنا الحادي عشر، بحق، مؤتمر : " استئناف الدور الطليعي للحزب في حركة الثورة العربية ".

ــ الجزء الاول ــ
تجربة الحزب وحركة الثورة العربية
من المؤتمر العاشر
الى المؤتمر الحادي عشر

ونحن نقبل على مرحلة جديدة من مراحل نضالنا الثوري،لتحقيق اهدافنا التاريخيـة،فـي الوحدة والحرية والاشتراكية،نجد من الضرورات الاساسية ان ندرس تجربة حزبنا،وتجربة حركـة الثورة العربية،في خلال المرحلة السابقة.

وهذه الدراسة لابـد ان تكـون جـادة، وموضوعيـة،وصريحـة،تمكننـا مـن تشـخيص الاخطاء،والنواقص،والجوانب السلبية،ومن معرفة عوامل القوة،والجوانب الايجابية وما احرزنـاه من نجاح في تجربتنا السابقة،منذ المؤتمر القومي العاشر،حتى مؤتمرنا هذا،ان مثل هذه الدراسـة توفر لنا الرؤية الواضحة،والقدرة على وضع ستراتيجية صائبة وشاملة، لنضالنا القومي التحرري الاشتراكي،خلال المرحلة المقبلة.

ــ الفصل الاول ــ

الاوضاع العربية والدولية
في المرحلة التاريخية التي انعقد فيها المؤتمر
القومي العاشر

من اول مقومات دراسة التجربة السابقة،فهم الظروف العربية والدولية التي كانت سائدة في الفترة التاريخية،التي انعقد فيها المؤتمر القومي العاشر،وتطوراتها والتي انعكست، بآثارها، على المؤتمر ومقرراته،واتجاهاته الاساسية،وعلى مسيرة الحزب وحركة الثورة العربية في المرحلة اللاحقة:

أ ــ الاوضاع العربية

(١) ثورة الحزب في القطر العراقي :

في ١٧ ــ ٣٠ تموز ١٩٦٨،استطاع حزب البعث العربي الاشتراكي ان يحقق الثورة في القطر العراقي،وان يتسلم السلطة السياسية فيه،في ظروف بالغة الدقة والتعقيد.

وعندما انعقد المؤتمر القومي العاشر،كانت الثورة ــ التي كان قد مر على قيامها ما يزيد على السنة والنصف ــ ما تزال في مراحلها التكوينية الاولى،وتحيط بها الاخطار والظروف الصعبة والمعقدة،من كل جانب،والتي وضحها التقرير السياسي،الذي اصدره المؤتمر القطري الثامن لفرع الحزب في القطر العراقي في عام ١٩٧٤.

وفي ذلك الوقت لم تكن ملامح الثورة ــ كثورة بعثية، متكاملة وناضجة ــ وقد تكاملت تماما، وكانت قدرتها على العطاء الثوري، وعلى تأدية المهمات القومية الثورية، محدودة جدا.

ومن هنا نلمس أن المؤتمر القومي العاشر انعقد في ظروف،لم يكن الحـــزب قـد تمكـن فيها،بعد،من اثبات قدرته على انجاز تجربة ثورية كاملة،وناضجة،وقادرة علـــى تحمـل اعبـاء مهماته التاريخية،، وهذا يعني ايضا، ان المؤتمر قد انعقد في ظروف لم تبلغ فيه القاعدة الثوريــة لحركة الثورة العربية المستوى المطلوب.

(٢) نكسة حزيران والصراع العربي ــ الصهيوني:

كانت الاثار السياسية والعسكرية والفكرية والنفســـية،الناشـئة عـن هزيمـة ٥ حزيـران ١٩٦٧،هي الظاهرة الاساسية التي تطبع الاوضاع العربية، وبصورة خاصة الاوضاع في مصـــر والمشرق العربي، في الفترة التي انعقد فيها المؤتمر العاشر.

وكانت القضية المركزية التي تشغل الجماهير العربيـــة،والاحـزاب والحركـات السياسـية، والحكومات العربية، وبخاصة الحكومات المجاورة لفلسطين المحتلة،هي قضية الصراع العربـي ــ الصهيوني، بكل جوانبه السايسية والعسكرية والاقتصادية والنفسية والاعلامية.

وفي الفترة التي انعقد فيها المؤتر القومي العاشر، كان واضحاً ان الساحة العربية، علـــى مستوى الحكومات والفصائل الشعبية، منقسمة الى اتجاهين عريضين،اتجاه يقصر نظرتـــه الـى الصراع العربي ــ الصهيوني على عدوان حزيران ونتائجه المباشرة،ويعمل على ما كان يدعـــى بـــ(أزالة آثار العدوان)،ويقبل ببرنامج التسوية السلمية القائم على اساس قـرار مجلـس الامـن رقم(٢٤٢)،واتجاه آخر ينظر الى الصراع العربي ــ الصهيوني،مـــن خـلال ابعـاده الحضاريـة والسياسية والاجتماعية،،والعسكرية والفكرية،ويدعو الى استمرار الكفاح من اجل تحريـر كـامل التراب الفلسطيني،ويربط ــ بشكل او بآخر ــ بين الصراع العربي ــ الصـــهيوني،وبيـن حركـة الثورة العربية،ومهماتها القومية والاجتماعية.

وهذا التقسيم عام جدا،،فبين اطراف كل من هذين الاتجاهين العريضين كان هنـاك كثـير مـن الخلافات والتناقضات،،كما كان هناك تداخل،وتشابك واسع النطاق، بين اطراف من هذا الاتجـــاه، واطراف من الاتجاه الاخر،في هذا الجانب وهذا الموقف، او ذاك.

وفي الفترة التي انعقد فيها المؤتمر القومي العاشر،لم تكن قد تبلورت،بعـــد،صيغـة عمليـة للتسوية السلمية،يمكن ان تقبل بها الانظمة التي كانت قد قبلت بالتسوية من حيث الاســـاس،،

كما كانت حرب الاستنزاف قائمة،وكانت تجرى معارك يومية على الجبهة المصرية،، وكان العمل الفدائي متصاعدا.

وقد أدت تلك العوامل الى تعقيد العلاقة بين الاتجاهين العريضين،اللذين اشرنا اليهما،والى زيادة نسبة التداخل والتشابك في مواقف واتجاهات الاطراف المتعددة في كل من ذينك الاتجاهين.

ان هذا الوضع كان يجعل من الصعب جدا تحديد ستراتيجية مشتركة للصراع العربي ـ الصهيوني، تتفق عليها كل الاطراف الوطنية العربية،او فريق مهم منها،على اقل تقدير، كما كان من الصعب ايضا تحالفات واضحة وثابتة،في معركة ضد العدو الصهيوني والاستعمار،،ومما زاد من تلك الصعوبة،التردد،وعدم الثبات في موقف الكثير من القوى والحركات السياسية العربية،ومنها الفلسطينية،تجاه القضايا الرئيسية.

وفي تلك الفترة لم يكن الحزب،،ولم تكن ثورته في القطر العراقي قادرين على القيام بدور قيادي وحاسم في الصراع العربي ـ الصهيوني.

فبرغم وجود قوات عسكرية عراقية في الاردن وسورية،واعتبار العراق واحدا من بلدان المواجهة،لم تكن ثورة الحزب الناشئة في القطر العراقي قادرة على تحمل الاعباء السياسية والعسكرية والاقتصادية،التي تترتب على الدور القيادي والحاسم في الصراع.فالثورة في ذلك الوقت،كانت،وكما اشرنا،في مراحلها التكوينية الاولى،وكان عليها تجاوز الكثير من المصاعب والتعقيدات،قبل ان تتمكن من تحمل اعباء مثل هذا الدور.

وعلى الصعيد الشعبي،لم يكن الحزب ـ لظروفه الذاتية،التي سنشير اليها ـ يشكل قوة قيادية في الحركة الشعبية العربية،وجاء دخوله ساحة العمل الفدائي متأخراً وضعيفا . ففي اثناء انعقاد المؤتمر العاشر،كانت جبهة التحرير العربية ما تزال حديثة النشأة،وصغيرة الحجم والتأثير.

ومن جانب آخر،كان وجود نظام الردة في سورية ـ سواء على الصعيد الحكومي او الشعبي، وعلى الصعيد الفدائي ـ ينافس دور الحزب ويضعفه.

وهناك عامل آخر،يحتل اهمية كبيرة جدا،وهو ان العراق الذي يشكل قاعدة للحزب وحركة الثورة العربية ليس مجاورا لفلسطين المحتلة،ولا يعتبر،من وجهة نظر القانون الدولي والسياسة الدولية،معنيا مباشرة بما يسمى في السياسة الدولية اليوم بـ(مشكلة الشرق الاوسط)، وهذا ما يحرمه من امكانية التواجد المستمر في ساحة الصراع، ومن التأثير المباشر فيه.ان هذا العامل له تأثير كبير في تقليل دور الحزب والثورة، في الصراع العربي ـ الصهيوني.

(٣) أوضاع الانظمة العربية:

بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧،اصيبت الانظمة الثلاثة التي تعرضت للهزيمة العسكرية (مصر،سوريا،الاردن)بضعف كبير،كما تعرضت الانظمة الرجعية العربية المعروفة بعلاقاتها الوثيقة مع الاستعمار الامريكي الجديد لهزة ملموسة،وانتابها الخوف على اوضاعها،فضعفت قبضتها التي كانت شديدة في السابق،علىالحركة الجماهيرية،وسمحت لتلك الحركة باشكال متفاوتة من النشاط، واضطر اغلب تلك الانظمة،بتأثير هول الهزيمة،الى التظاهر بالتغير وبالعمل على مواجهة نتائج الهزيمة.

وفي الفترة اللاحقة لهزيمة حزيران، وعند انعقاد المؤتمر القومي العاشر، وبسبب تصاعد الحركة الجماهيرية العربية(وهو ما سنتحدث عنه)،شاعت في اوساط سياسية تقدمية عربية عديدة آمال واسعة في التغير،فلقد راجت في حينه تصورات بان الانظمة التقدمية الوسطية (او ما سمي في حينه بأنظمة البرجوازية الصغيرة)،وعلى رأسها النظام المصري،لن تتمكن من الاستمرار،وان بزوغا جديدا للحركة الثورية العربية لابد ان ينشأ،اما من رحم تلك الانظمة،أو على انقاضها،،وشاعت امال واسعة بتغيير بعض الانظمة الرجعية.

ان هذه الاجواء العامة ساعدت،الى جانب عوامل اساسية ذاتية وموضوعية أخرى،على قيام الثورة في القطر العراقي بقيادة الحزب،، وهكذا ولد فعلا تغيير نوعي وعميق في الساحة العربية، وفي حركة الثورة العريبة،، ولكن هذه الصفة التاريخية للثورة التي قادها حزبنا في القطر العراقي، لم تكن، عند انعقاد المؤتمر العاشر،قد وضحت واكتملت،لتسهم،في حينه اسهاما طليعيا وفعالا،في الاوضاع العربية، بجانبيها الحكومي والشعبي.

وفي ظل تلك الظروف،حدث تغيير في النظام في السودان،ثم اعقبه،بعد اشهر،تغيير آخر في ليبيا .

وقد عزز قيام الثورة في القطر العراقي،والتغيرات في السودان وليبيا الامال والتوقعات، حول احتمالات التغيير في الساحة العربية.غير ان الاوضاع العربية لم تتغير في الواقع،بالمستوى الذي كانت عليه الامال والتوقعات،،بل ان التطورات اللاحقة جاءت معاكسة للكثير منها.

فنظام الردة في سورية،الذي عصفت به الهزيمة ما لبث ان لملم اطرافه،واستطاع ان يقف على قدميه من خلال تشديد الارهاب على الحرب وعلى حركة الجماهير، وبدعم من الانظمة العربية الاخرى، وصار يستعيد جانباً غير قليل من قدرته على التأثير،سواء على صعيد الحكومات، او على صعيد الحركة الشعبية .

اما النظام الناصري في مصر،وبرغم ما اشارت اليه هزيمته في ٥ حزيران من علل خطيرة فيه، فلم يغير من طبيعته وممارساته السابقةتغيرا نوعيا،،واستطاع،بعد حين من الهزيمة، ان يستعيد قدراً غير قليل من تأثيره في الاوضاع الحكومية العربية، حتى في الحركة الجماهيرية،وان كان ذلك بدرجة اقل من السابق.

اما العلائق بين ما يسمى بـ(الانظمة التقدمية العربية)والأنظمة الرجعية،فأن السمة الاساسية التي هيمنت عليها كانت الشعار الذي تم الاتفاق عليه في مؤتمر الخرطوم،الذي انعقد بين ٢٩ آب ـ ٢ ايلول ١٩٦٧،وهو شعار (وحدة الصف)بدلا من الشعار السابق (وحدة الهدف)،والذي كان يعني،تقسيم الانظمة العربية الى معسكرين مختلفين.

وقد ادى هذا الشعار الجديد الى تجميد الصراع بين الانظمة التقدمية الوسطية والانظمة الرجعية، مما انعكس بآثاره السلبية على الحركة الشعبية والاوضاع العربية واحتمالات تطورها، كما ادى الى انتعاش الانظمة والقوى الرجعية العربية، التي راحت بصورة متصاعدة،تلقي بتبعية هزيمة حزيران على السياسات والشعارات التي اعتمدتها الانظمة المحسوبة على الصف التقدمي في المرحلة السابقة نوعلى تحالفها مع الاتحاد السوفييتي،، وصارت تركز على ما يسمى بالتضامن العربي،،وما يماثله من الشعارات التي تعني،في الواقع تجميد النضال ضدها،بل افساح المجال لتعزيز مواقعها،وزيادة دورها في الساحة العربية.

وفي الفترة التي انعقد فيها المؤتمر القومي العاشر،لم يكن للحزب ونظامه الثوري في القطر العراقي علاقات خاصة مع الانظمة التقدمية الوسطية،تمكنه من اقامة تحالف من شأنه ان يحقق تغييراً نوعيا في الاوضاع العربية،وفي الصراع العربي الصهيوني.

فالعلاقات مع مصر كانت اقرب الى السيء منها،الى أي شكل آخر من العلاقات، وكانت تحكمها العقد والاثار السلبية القديمة للعلاقة بين الحزب وعبد الناصر،، كما كان يؤثر عليها، سلبيا ايضا، وجود نظام الردة في دمشق،وعلاقاته الحسنة مع النظام المصري.كما ان اتخاذ الحزب وثورته في القطر العراقي موقفا مبدئيا من التسوية السلمية،وقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢،كان

يشكل عامل احتكاك وخلاف دائم،بين الحزب والثورة من جهة،وبين القيادة المصرية التي كانت قد قبلت بالقرار المذكور،من جهة اخرى.

(٤)اوضاع الحركة الشعبية العربية:

خلقت هزيمة الخامس من حزيران اوضاعا جديدة في الحركة الشعبية العربية.فالجماهير الشعبية التي كانت تعاني في المرحلة السابقة للهزيمة من وصايا الانظمة الوسطية،وارهاب الانظمة الرجعية،اصبحت،بعدها اكثر تحررا ونشاطا،وضعفت قبضة الانظمة عليها.وفي هذه المرحلة كان تصاعد حركة المقاومة الفلسطينية التي نشأت في عام ١٩٦٥ أبرز وأهم ظاهرة في الحركة الشعبية العربية،وأقوى وانشط العناصر فيها في ذلك الوقت،بل كانت محور تلك الحركة،ومركز الاستقطاب والتأثير الرئيسي فيها.فالمقاومة الفلسطينية حصلت على مساندة واسعة من الجماهير،ومن الاحزاب والحركات السياسية التي سارع الكثير منها الى التعامل معها بشتى الاشكال،والانخراط في صفوفها.

ويمكن القول،انه في الوقت الذي انعقد المؤتمر القومي العاشر،كانت هناك هبة شعبية واسعة النطاق،وبخاصة في اقطار المشرق العربي،وكانت الحركة الشعبية تشكل ثقلا ضاغطا على الاوضاع والانظمة العربية.

وقد شاعت،في ذلك الوقت،آمال واسعة بان تتحول تلك الهبة الشعبية الى حركة ثورية تحقق تغييرا نوعيا وجذريا في حركة الثورة العربية،وبالتالي في الاوضاع العربية.

غير ان تلك الامال لم تتحقق،فالحركة الشعبية بقيت اقرب الى العفوية منها الى الحركة الثورية المنظمة.

وبرغم الشعور الشديد بالحاجة الى وحدة القوى والفصائل التقدمية في ظل برامج سياسية موحدة،لم تتم اية خطوات جدية في هذا الاتجاه،وبقيت الخلافات والتناقضات والحساسيات قائمة،وعلى نطاق واسع،بين اطراف الحركة الشعبية،،ولم تتمكن تلك الحركة،برغم عنفوانها،في ذلك الحين،من انتقال من مواقع الضغط والتأثير السلبيين الى مواقع المبادرة والقيادة الايجابية للاوضاع والحداث في الساحة العربية،ولم تنجح ايضا،كل المحاولات الرامية الى توحيد منظمات المقاومة الفلسطينية على اساس برنامج سياسي موحد،يشكل قاسما مشتركا لجميع تلك المنظمات،ويجعلها تنضوي،بشكل جاد ومتواصل،تحت لواء قيادة سياسية وعسكرية واحدة،،بل

ان وضع الانقسام والتنافر السياسي والفكري والعسكري والتنظيمي،بين منظمات المقاومة،بقـي واتسع.

وفي الوقت الذي كانت المقاومة الفلسطينية تمتلك قدرة ملموسة في التأثير في الاوضـاع العربية،وفي اوضاع ومواقف الانظمة،بفضل ما كانت تمتلكه من عنفوان ومن تأييد شعبي واسع النطاق،فانها كانت عرضة لاشكال شتى من التأثيرات والضغوط،من جـانب الانظمـة العربيـة التقدمية الوسطية والرجعية على السواء.

ويعود سبب ذلك الى الطبيعة الوسطية المتذبذبة واليمينية لبعض القيـادات المتنفـذة فـي المقاومة،والى انغماسها في علاقات متشابكة وواسعة النطاق مع الانظمة العربية،دون تمييز بين هوية كل منها،ودون تحديد دقيق للحلفاء والاعداء بينها،وكذلك عدم تأكيدها على توثيق العلاقات والتفاعل مع القوى الشعبية.

وكانت الحركة الشعبية،في ذلك الوقت،تفتقر الى القيادة القومية الطليعية .فالحزب لم يكـن قادرا على تولي دور قيادي فيها لاسباب عديدة،منها ذاتية تتعلق باوضاعه وقدراته ومشـكلاته الخاصة في ذلك الحين،ومنها اسباب تتعلق بطبيعة علاقاتـه بـالقوى والحركـات والاحـزاب السياسية،وهي،في الغالب،علاقات سلبية او ضعيفة.

وفي الواقع ان الحزب،في ذلك الحين،لم يكن غير قـادر علـى قيـادة الحركـة الشـعبية فحسب،وانما كان هو نفسه عرضة للكثير من التأثيرات الفكرية والسياسية والنفسية،الاتية مـن قوى وعناصر عديدة في الحركة الشعبية وبخاصة من اوساط المقاومة الفلسطينية.

اما عبد الناصر،فلقد كان في تلك المرحلة عاجزا عن قيادة الحركة الشـعبية العربيـة،بسـبب ماكشفته الهزيمة من عجز وعلل خطيرة في نظامه،ولكنه في ذلك الوقت لم يكن قد فقد تـأثيره عليها كليا.

أما منظمات المقاومة الفلسطينية فان اغلبها كان صغيرا وضعيفـا،ولا يمتلـك المؤهـلات الفكرية والسياسية والتنظيمية التي تمكنه من تولي دور القيادة في الحركة الشعبية العربية،حتى بين صفوف المقاومة الفلسطينية نفسها،وحتى منظمـة(فتـح) التـي كـانت اكـبر منظمـات المقاومة،واكثرها تأثيرا في الساحة الفلسطينية،وفي الساحة العربية،كانت عاجزة عن تولي دور القيادة،لا في الحركة الشعبية العربية كلها،وانما في حركة المقاومة الفلسطينية نفسها.

ان قيادة (فتح)كانت تفتقر الى الموقف الفكري المتماسك،كما كان تنظيمها اقرب الى الجبهة العريضة،منه الى الحركة الواحدة،وكان فيها كثير من التناقضات الفكرية والسياسية،وكانت زعامتها تفتقر الى الرؤية الفكرية والسياسية الستراتيجية،وكانت غارقة في شبكة واسعة من العلاقات والمصالح الانتهازية والمتناقضة،مع الاوساط الحكومية والشعبية العربية.

اما المغرب العربي،،فكان لاحداث المشرق والقضايا الاساسية المطروحة تأثير على الاحزاب والحركات السياسية فيه،،ولكن هذا التأثير لم يكن مباشرة،كما كان عليه الحال في المشرق،،كما لم يكن قويا،،فقد بقيت القضايا القطرية،ومشكلات منطقة المغرب العربي تحتل،في الواقع،القسط الاوفر من اهتمام ونشاط الاحزاب والحركات السياسية،على اختلاف اتجاهاتها في المغرب العربي.

لهذه الاسباب،،وبرغم ان التفاعل بين الحركة الشعبية في المغرب العربي والحركة الشعبية في المشرق قد ازداد نسبيا بعد هزيمة حزيران،مع تسخين الصراع العربي الصهيوني،،فان هذا التفاعل لم يصل الى درجة تمكن الحركة الشعبية في المغرب العربي من ان تؤثر تأثيرا فعالا في الحركة الشعبية العربية عموما، وان تحتل دورا طليعيا فيها.

(٥) الاوضاع الفكرية والنفسية:

في الستينات،،وقبل حزيران ١٩٦٧كانت حركة الثورة العربية قد اصيبت بنكسات خطيرة،أثرت تأثيرا سلبيا بارزاً على اوضاعها الفكرية والنفسية .ان فشل تجربة الوحدة اصاب،في الصميم،احد اهم اهداف حركة الثورة العربية،،كما ان فشل ثورة ٨ شباط ـ باعتبارها اول تجربة يتولى فيها حزب ثوري تفجير الثورة وتسلم السلطة،ومن بعدها ومن بعدها نكسة ٢٣ شباط ـ اثار الشكوك حول القدرة النظرية والعملية لحركة الثورة العربية.

وعندما حصلت هزيمة حزيران بمداها الواسع والخطير،خلقت حالة واسعة من الاضطراب والقلق النفسي والفكري،في اوساط المثقفين والاحزاب والحركات السياسية،وفي اوساط الجماهير.

وسادت بعدها،وهذا ما كان قائما عند انعقاد المؤتمر العاشر،نزعات شديدة وواسعة النطلق نحو مراجعةالكثير من القيم والمقاييس،والصيغ الفكرية والسياسية والاجتماعية والعسكرية

والاقتصادية،التي كانت سائدة قبل الهزيمة .واعتبر عدد كبير من المثقفين والكتاب،وافراد عديدون من الاحزاب السياسية تلك القيم والمقاييس والصيغ مسؤولة عن وقوعها.

كما شاع في تلك الفترة نزوع واسع النطاق نحو العقيدة الماركسية[1]، ونحو بعض التجارب الثورية العالمية،كالتجربة الصينية والفيتنامية والكوبية والنهج الغيفاري،،ولكن ذلك النزوع كان يتسم،بصورة عامة،بالتسرع والانفعال.

وبرغم ان النشاط كان واسعا،ومزدهرا في تلك الفترة،الا ان جزء كبيرا منه كان يتصف بالتسرع والانفعالية والتلقي وقليلا ما نتجت عنه اعمال فكرية عميقة ورصينة،قادرة على تحقيق اضافات نوعية في الفكر الثوري العربي،،كما ان اغلب الاحكام والاستنتاجات التي جاء بها المثقفون والمفكرون في ذلك الوقت،وبسبب السمات التي اشرنا اليها،لم تستوعب الواقع العربي،،وجاءت التطورات اللاحقة لتكشف تسرعها وافتقارها،الى حد كبير،الى العمق والشمول.

ب ـ الاوضاع الدولية

كانت خبرة الحزب في الاوضاع الدولية وعنايته بها قليلة،كما كانت علاقاته الخارجية في اغلب المراحل محدودة،فباستثناء بعض السنوات في الخمسينات حيث تكونت للحزب بعض الصلات الخارجية مع بعض الاطراف التقدمية،وحيث اهتم بالاوضاع الدولية ومواقف القوى الدولية من القضايا والظروف القومية،واكتسب شيئا من الخبرة في الشؤون الدولية،،وذلك بحكم ظروف القطر السوري عند ذاك،حيث كان الحزب يتمتع بفرص النشاط السياسي العلني،كما كان مشاركا في الحكومة وفي البرلمان ــ فان ظروف الحزب الخاصة،حيث كان في اغلب الاقطار يتعرض للارهاب،ويمنع من أي شكل من اشكال النشاط العلني،ومنهمكا،وبخاصة في نهاية الخمسينات وخلال الستينات في المعارك النضالية،وفي القضايا القومية،ومنشغلا بأزماته وانقساماته،،لم تتح له امكانية تطوير علاقاته الخارجية وخبرته في الشؤون الدولية،،كما ان الحزب ــ وبخاصة بعد خلافه مع عبد الناصر ومع الشيوعيين في عام ١٩٥٩ ــ تعرض الى اشكال شتى من الحصار والتشويه،على الصعيد الدولي التقدمي.

---

[1] ان بدايات هذا النزوع كانت قد ظهرت بعد نكسة الوحدة، وفشل تجربة حزب البعث العربي الاشتراكي في القطر العراقي في عام ١٩٦٣.

ومن الناحية الاخرى،فان من الحقائق المهمة ان الاحزاب الثورية ــ وبخاصة التي تناضل في الظروف السرية والارهاب ــ لاتتمكن من بلوغ مستوى جيد من الخبرة في الشؤون الدولية الا بعد تسلمها السلطة السياسية وتكوين علاقات خارجية واسعة،والقيام بنشاط دولي ملموس.كما ان الاحزاب الثورية السرية التي لا تُرتبط باية كتلة دولية،او حزبية خارجية،تجد من الصعوبة بمكان طرق ابواب النشاط الدولي.

وعندما انعقد المؤتمر القومي العاشر كانت خبرة الحزب في الاوضاع الدولية ما تزال قليلة،وعلاقاته الخارجية محدودة،،كما لم تكن قد نشأت في اجهزته القيادية اهتمامات جدية وعميقة بالشؤون الدولية.

لذلك فان تقديرات الحزب،والمؤتمر للاوضاع الدولية واحتمالات تطورها، ولمواقف القوى الدولية الكبرى كانت تغلب عليها، اثناء انعقاد المؤتمر العاشر،الامال،اكثر مما كانت تقديرات واقعية.وقد تكونت،،في تلك الفترة بين صفوف الحزب وحركة الثورة العربية،اوهام حول الاوضاع الدولية واحتمالات تطورها،وحول قدرات ومواقف القوى الدولية الكبرى،مما لم يمكن الحزب وحركة الثورة العربية من التقدير الصحيح، المتوازن،للوضع الدولي وانعكاساته على حركة الثورة العربية،على الصراع العربي ــ الصهيوني بصورة خاصة.

وقد ادى ذلك ايضا،الى تعقيد علاقات الحزب وحركة الثورة العربية بالكثير من الاطراف الدولية المهمة،سواء الصديقة منها،او غير الصديقة.

فما هي العناصر الاساسية في الاوضاع الدولية،في الوقت الذي انعقد فيه المؤتمر القومي العاشر:

(١)الاستعمار الامريكي الجديد ونفوذه في المنطقة العربية:

بعد انحسار النفوذ الاستعماري البريطاني والفرنسي من الوطن العربي،بدأ النفوذ الاستعماري الامريكي الجديد،يحتل الموقع الاول فيه.

وكان عدوان الخامس من حزيران عام١٩٦٧ دليلا على تصميم الاستعمار الامريكي الجديد على الحاق هزيمة كبيرة بالقوى التقدمية العربية،وبخاصة النظام المصري،وفرض اوضاع جديدة في المنطقة العربية،يكون الكيان الصهيوني فيها القوة العسكرية الحاسمة،التي تحمي مصالحة

النفطية والستراتيجية في المنطقة العربية،الى جانب القوى الرجعية العربية.كما كان عدوان الخامس من حزيران دليلا على وصول التحالف الستراتيجي بين الاستعمار الامريكي والكيان الصهيوني،الى أعلى الدرجات،وأشدها عدوانية وشراسة.

وقد ادى موقف الاستعمار الامريكي هذا الى ردة فعل شعبية واسعة ضده،كما ادى الى قطع العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة من جانب عدد من الانظمة العربية،واصبح من الامور السائدة في الاعلام العربي والسياسة العربية مهاجمة الاستعمار الامريكي وسياسته ومواقفه في العالم بصورة عامة،وتجاه القضية العربية بصورة خاصة.

وفي ظروف الهبة الشعبية والاوضاع الفكرية والنفسية التي اشرنا اليها،،وفي اطار الحملة المعادية للاستعمار الاميركي التي كانت قوية آنذاك،تصور كثيرون ان النفوذ الاميركي في المنطقة العربية قد ضعف كثيرا.

وفي الواقع ان هذا التقدير لقوة النفوذ الاستعماري الاميركي في المنطقة العربية كان تقديرا غير دقيق،كما ان التصورات التي سادت في ذلك الحين،عن قدرة حركة الثورة العربية ــ بأوضاعها وقياداتها التي اشرنا اليها ــ على اضعاف ذلك النفوذ،كانت هي الاخرى غير دقيقة.

ان الاستعمار الاميركي كان قد حقق هدفا كبيرا من اهدافه في المنطقة،من خلال عدوان حزيران الذي جعل من الكيان الصهيوني قوة ارهابية كبيرة جدا في المنطقة،ضد احتمالات تحررها ونهوضها ووحدتها.وفي الوقت نفسه فان الاستعمار الاميركي حافظ على مصالحه النفطية الكبيرة والخطيرة في المنطقة العربية.

وبرغم المواقف السياسية والاعلامية المعادية لاميركا في ذلك الوقت،فان المصالح الاقتصادية الاميركية في الوطن العربي،لم تتقلص،بل ازدادت،لا في الانظمة الرجعية كالسعودية وبلدان الخليج العربي وغيرها فحسب،بل حتى في بعض الانظمة الوسطية،التي كانت تشارك في تلك المواقف.

وعند انعقاد المؤتمر القومي العاشر،لم يكن قد حصل اختبار عملي للنفوذ الاميركي في الفترة اللاحقة لهزيمة حزيران.

ولكن بعد المؤتمر القومي العاشر،بأشهر قليلة،حصل ذلك الاختبار،عندما قدمت اميركا مشروعا للتسوية،دعي في حينه بمشروع (روجرز)،قبلت به مصر،كما قبلت به كل الانظمة الرجعية،والكثير من الاحزاب والقوى السياسية،وحتى بعض قيادات المقاومة الفلسطينية،برغم اتخاذها موقف المعارضة الشكلية له،وكان هذا القبول دليلا على القوة السياسية لاميركا في

المنطقة العربية.كما ان احداث ايلول ١٩٧٠ التي تلت القبول بالمشروع المذكور،كانت هي الاخرى اختباراً للقوة،بين قوى حركة الثورة العربية من جهة،وبين الرجعية العربية والاستعمار الاميركي من الجهة الاخرى،وقد كانت نتيجة الاختبار في غير صالح حركة الثورة العربية.

(٢)الاتحاد السوفياتي،وموقفه من الاوضاع العربية والصراع العربي ـ الصهيوني:

كان للاتحاد السوفييتي، قبل هزيمة حزيران، وبعدها، علاقات وثيقة مع النظامين المصري والسوري، كما كانت له علاقات جيدة مع بقية الانظمة المحسوبة على الصف التقدمي.

وقد اعتبرت هزيمة حزيران،التي اصابت اصدقاء الاتحاد السوفييتي في المنطقة العربية،بمثابة هزيمة سياسية له ايضا،في حلبة الصراع الدولي بينه وبين الولايات المتحدة الاميركية.

وكان موقف الاتحاد السوفييتي من الصراع العربي ـ الصهيوني يتحدد،في الوقت الذي انعقد فيه المؤتمر القومي العاشر،في اطار التسوية السلمية القائمة على قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢.ومع ان من الصعب تحديد موقف الاتحاد السوفييتي على وجه دقيق من هذه المسألة،بسبب ارتباط هذا الموقف،الى حد ما،بمواقف الانظمة العربية المعنية مباشرة بالصراع العربي ـ الصهيوني،والنظامين المصري والسوري بشكل خاص،الا انه كان من الواضح،ان الخيار الاساس للاتحاد السوفييتي هو خيار التسوية السلمية،وحتى في حالة نشوب الصراع المسلح مع العدو الصهيوني،فأن خياره لم يكن يتجاوز،في ذلك الوقت،تطبيق القرار ٢٤٢.

هذا من جانب،ومن جانب آخر،فأن الاتحاد السوفييتي كان اكثر ميلا الى التعاون مع الانظمة في المنطقة العربية،منه الى التعاون مع الحركات الثورية المناضلة باتجاه المستقبل.وحتى فترة انعقاد المؤتمر العاشر،لم تكن قد تكونت للاتحاد السوفييتي علاقات ذات شأن مع المقاومة الفلسطينية التي كانت،في ذلك الحين،اكبر قوة شعبية عربية.

وكما كانت اميركا منشغلة،في ذلك الحين،بالمعركة العنيفة الدائرة في فيتنام،فان الاتحاد السوفييتي كان هو الاخر منشغلا بها،وكما كانت اميركا تركزعلى ترتيب علاقاتها بالاتحاد

السوفييتي، والصين،فأن الاتحاد السوفييتي كان هو الاخر منشغلا بذلك،فضلا عن اهتمامه البالغ بالصراع بينه وبين الصين.

ان هذه الحقائق الموضوعية عن اوضاع الاتحاد السوفييتي ومواقفه الدولية،وموقفه من الصراع العربي ـ الصهيوني،لم تفهم عند انعقاد المؤتمر العاشر على وجه دقيق،بل سادت آمال كثيرة حول احتمالات تطور الموقف السوفييتي والدول الاشتراكية الاخرى،ومنها الصين،باتجاه اتخاذ مواقف اكثر حدة من الاستعمار الاميركي،والزج في حلبة الصراع العربي ـ الصهيوني الى جانب العرب،بامكانات عسكرية وسياسية واقتصادية اكبر،،ولكن تلك الامال غير الدقيقة لم تتحقق.

وقد طرح مفهوم التحالف الستراتيجي بين الحزب وثورته في القطر العراقي وبين الاتحاد السوفييتي،في المؤتمر القومي العاشر،بشكل غير دقيق،،ولم يكن دقيقا ايضا الربط المباشر الذي جاء به المؤتمر،بينه وبين الصراع العربي الصهيوني،ولقد كان على الحزب ان يقضي سنتين اخريين بعد المؤتمر،لكي يبلور صيغة عملية وممكنة من علاقات الصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفييتي،تجسدت من خلال العلاقة التي اقامتها الثورة في القطر العراقي معه،ولكن هذه العلاقة عند قيامها،لم تنسحب بآثارها بصورة مباشرة وحاسمة على الصراع العربي ـ الصهيوني،لاسباب عديدة،من اهمها العامل الذي اشرنا اليه،وهو عدم امتلاك العراق حدودا جغرافية مع فلسطين في المنطقة.

وقد تأكد عدم دقة التوقعات التي راجت في صفوف حركة الثورة العربية وفي صفوف الحزب،والتي عبر عنها المؤتمر العاشر حول موقف الاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية،بعد اشهر من انعقاد المؤتمر،عندما قبلت الحكومة المصرية بصورة رسمية بمشروع روجرز،وكان الموقف الرسمي للاتحاد السوفييتي هو الموافقة على ذلك .كما تأكدت ايضا أثناء احداث ايلول ١٩٧٠.فالاتحاد السوفييتي لم يزج بامكانات استثنائية لحماية المقاومة الفلسطينية من الضربة الشديدة التي كانت موجهة اليها،وكان حريصا جدا على تجنب اية مواجهة ساخنة بينه وبين اميركا .وقد ادت التوقعات غير الدقيقة هذه، عن موقف الاتحاد السوفييتي وبخاصة بعد موقفه من مشروع روجرز ومن احداث ايلول،الى نشوء حالات متناقضة من التفاؤل المبني على الاوهام في حين،ومن التشاؤم غير المبرر في حين آخر،كما عقدت علاقات حزبنا،وكثير من الفصائل التقدمية العربية الاخرى بالاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية،وخلقت حالة من الحيرة وسوء الفهم بين الجانبين.

اما الصين الشعبية التي علقت عليها في ذلك الحين،وعلى العلاقات معها آمال واسعة من اوساط عديدة في حركة الثورة العربية،وفي حزبنا ايضا،،وهذا ما اشار اليه التقرير الصادر عن المؤتمر العاشر فانها لم تصبح،عندئذ،قوة ذات تأثير فعال في الساحة العربية،وفي الصراع العربي – الصهيوني، وبقيت مواقفها في حدود المساندة السياسية والاعلامية وبعض المساعدات المادية والعسكرية للمقاومة الفلسطينية.ومن الناحية الواقعية لم تكن الصين قادرة على تجاوز هذا الدور،الى دور فعال في المنطقة العربية،بحكم ظروفها وامكاناتها الذاتية من جهة،وصراعها مع الاتحاد السوفييتي،وانشغالها بالحرب الفيتنامية،وبشؤون الهند الصينية من الجهة الاخرى.

(٣)العلاقات بين الدولتين العظميين،والاستقطاب الدولي:

في الفترة التي انعقد فيها المؤتمر القومي العاشر،لم تكن سياسة الوفاق الدولي قد ظهرت معالمها،وتبلورت بعد.وكان التقدير السائد بين الاوساط الحكومية والشعبية العربية ان التوتر بين المعسكر الاشتراكي الشيوعي،بزعامة الاتحاد السوفييتي،وبين المعسكر الرأسمالي الاستعماري، بزعامة الولايات المتحدة،مايزال حادا،واحتمالات الصراع الشديد قائمة،وعلى اساس هذا التحليل كانت تبنى الكثير من التقديرات والتوقعات،حول احتمالات تطور موقف كل من الدولتين العظميين من القضايا العربية،ومن الصراع العربي – الصهيوني،،وهي تقديرات وتوقعات أثبتت التجارب اللاحقة عدم دقتها.

ان توتر بين المعسكرين الاشتراكي والشيوعي والرأسمالي الاستعماري لم يكن قد زال، وكان ما يزال قويا،،ولكن في تلك المرحلة،وكما تأكد فيما بعد،كان كلا الطرفين مستعدا للتفاهم حول عدد من القضايا،التي يرى مصلحة مشتركة له في التفاهم حولها،،كما كان كلا الطرفين مصمما – بشكل اكيد – على تجنب الصدام الساخن المباشر.

وعندما بدأت معالم سياسة الوفاق بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة بالظهور تدريجيا،لم يتعامل معها الحزب وفصائل حركة الثورة العربية تعاملا قائما على الفهم الدقيق والمتوازن،واتخذا منها مواقف المرتاب والمتشكك،وحتى المعارض، من الناحية العملية،وان هما لم يعلنا معارضتهما هذه،دائما بشكل مباشر وحاد.

وفي تلك الفترة،،كان الاستقطاب الدولي حول المعسكرين الاشتراكي الشيوعي والرأسمالي الاستعماري مايزال قويا،فالاتجاهات الاستقلالية في اوربا الغربية كانت،وباستثناء فرنسا،ما تزال

في بداياتها،،ولم يكن التأثير الايجابي النسبي لتلك الاتجاهات في اوربا الغربية،وباستثناء فرنسا ايضا،قد انعكس بصورة ملموسة على الاوضاع العربية،وعلى الصراع العربي ـ الصهيوني،بل اغلب بلدان اوربا الغربية كانت ما تزال منحازة،انحيازا قويا،الى الكيان الصهيوني.

وفي ذلك الوقت كانت الولايات المتحدة ما تزال اكبر قوة اقتصادية في العالم،وكانت هي المصدر الاساس لتمويل واقراض البلدان الفقيرة والنامية سواء التي تدور منها في فلكها،او التي تتمتع بشيء من الاستقلالية،وكانت تأتي بعدها في هذا الجانب،بمراحل عديدة،دول رأسمالية اخرى،كالمانيا الغربية.

وفي الجانب الاخر كان الاتحاد السوفييتي ـ وبعده بمراحل الصين الشعبية ـ هما المصدر الاساس للمساعدات الاقتصادية للبلدان النامية الصديقة لهما.

وكانت الخبرة العالية والمعدات التقنية المتطورة،وبخاصة العسكرية والصناعية الستراتيجية والثقيلة التي تحتاج اليها البلدان النامية،ومنها البلدان العربية،ما تزال شبه محتكرة من الولايات المتحدة في جانب،والاتحاد السوفييتي،من جانب آخر ,وكان الحصول على تلك الخبرة والمعدات مرتبطا ارتباطا شديدا،برضى احدى الدولتين العظميين،ومصالحهما الستراتيجية.

وكان هذا الوضع يزيد من حدة الاستقطاب الدولي حول الدولتين الكبيرتين،ويحرم البلدان النامية من الكثير من فرص التحرك المستقل،سواء في ميادين التحرر والبناء الاقتصادي،او ميادين النضال الساخن،لتحقيق اهداف وطنية او اقليمية،دون اشتراط تطابقها مع مخططات ومصالح الاتحاد السوفييتي،او الولايات المتحدة.

(٤) الحركة الثورية في العالم الثالث:

في الفترة اللاحقة لهزيمة حزيران،وعند انعقاد المؤتمر القومي العاشر كان العالم الثالث يشهد ـ وبخاصة في الهند الصينية وفي فيتنام بالذات ـ صراعا ثوريا جبارا ضد الاستعمار الاميركي والرجعية المحلية العميلة.كما شهدت اميركا اللاتينية اشكالا متعددة وجديدة من النضال الثوري،،وكان لكل ذلك تأثيره على الصراع الدولي بين القوى الثورية من جهة،وبين القوى الاستعمارية والرجعية من جهة اخرى،وعلى موازين القوى بينهما.

وكان من الطبيعي ان يحظى النضال الثوري في الهند الصينية وفي امريكا اللاتينية باهتمام واعجاب حركة الثورة والجماهير العربية،،كما كان طبيعيا ان تتأثر به.

غير انه تكونت في تلك الفترة،في الواقع،تقديرات مبالغ فيها،عن تأثير التجارب الثورية في الهند الصينية وفي اميركا اللاتينية على الاوضاع الذاتية لحركة الثورة العربية،وعلى موازين بينها وبين الاستعمار الاميركي والصهيوني،والقوى الرجعية العربية.

لقد كان الصراع في فيتنام حدثا كبيرا جدا،على صعيد العالم الثالث وعلى صعيد الدولي ايضا،وقد قدمت التجربة الفيتنامية المثل العظيم للكفاح الشعبي المسلح والقوي والثابت ضد اعتى قوة استعمارية في العالم،هي الاستعمار الاميركي.اما الصراع في اميركا اللاتينية فأنه،مع اختلاف مستواه ودرجته،عما كان يجري في فيتنام، كان،هو الاخر،ظاهرة مهمة في حركة الثورة العالمية.

غير ان النضال الثوري على اهميته البالغة لم ينعكس،في الواقع،انعكاسا مباشرا، وعميقا،على حركة الثورة العربية،وعلى موازين القوى بينها وبين الاستعمار الجديد والصهيونية والرجعية المحلية.

لقد كان الصراع الدائر في فيتنام،وفي الهند الصينية،وفي اميركا اللاتينية،بعيدا جدا، من الناحية الجغرافية،عن ساحة الصراع في الوطن العربي،مما قلل كثيرا من امكانات التأثير المباشر بين ساحتي الصراع.هذا من ناحية،،ومن ناحية اخرى،فان مجمل الظروف في فيتنام،،كطبيعة الصراع،وطبيعة القوى التي تتكون منها الثورة الفيتنامية،،وغير ذلك من العوامل،،كانت مختلفة اختلافا كبيرا عن طبيعة واشكال الصراع الدائر في المنطقة العربية،مما يجعل التأثير المباشر بينهما ضعيفا، اما المقارنات التي كان يجريها كثير من المثقفين العرب بين ساحتي الصراع،فقد اثبتت التجربة انها كانت مقارنات متسرعة وغير دقيقة.

اما النضال الثوري في اميركا اللاتينية فانه كان أقل اهمية،بكثير،من الصراع الدائر في فيتنام والهند الصينية،،ولم يكن له تأثيره المباشر والعميق على ساحة الصراع في المنطقة العربية،لنفس الاسباب الموضوعية التي ذكرناها.

ان هذه التجارب الثورية كانت تمنح حركة الثورة العربية قدرا من القوة المعنوية،وتضخ في الحركة الجماهيرية العربية شحنات ثورية،ولكنها لم تكن قادرة على احداث تغير نوعي،مباشر وسريع،في طبيعة الحركة الثورية العربية،وفي صراعها ضد الاستعمار والصهيونية والرجعية.

ومن ناحية اخرى فان الصراع الدائر في فيتنام كان يشغل ـ والى حد كبير ـ ومن النواحي العسكرية والاقتصادية ـ الاتحاد السوفييتي، وبلدان المعسكر الاشتراكي،وكان هذا يعني،من الناحية العملية،تقليل التركيز نسبيا من جانبها على الصراع الدائر في المنطقة العربية.ان عدوان حزيران الذي نظمه الاستعمار الجديد وحليفه الكيان الصهيوني،والذي ادى الى الحاق هزيمة كبيرة بالانظمة العربية التي كانت محسوبة على انها حليفة للاتحاد السوفييتي،كان من بين ما يستهدفه الحاق الضربة بالاتحاد السوفييتي وحلفائه في المنطقة العربية،كنوع من التعويض عما تحقق للحركات الثورية في العالم من مكاسب،وللاتحاد السوفييتي من نفوذ في الهند الصينية،كما كان يستهدف ايضا اشغال الاتحاد السوفييتي على جبهتين، مما يؤدي الى تخفيف تركيزه عليهما،وبالتالي توفير ظروف افضل نسبيا لاميركا في الصراع الدولي،،وهذا ما حصل ايضا بالنسبة للقوى التقدمية العالمية في اميركا واوربا ومناطق اخرى،والتي كانت تركز اهتمامها ـ بالدرجة الاولى ـ لدعم الثورة الفيتنامية .

اما ساحة الكفاح في افريقيا،والبلدان الاسيوية القريبة من الارض العربية،وهي اقرب ساحة كفاح الى الوطن العربي واكثر تأثيرا فيه،فأنها في تلك الفترة لم تكن ملتهبة.

ولم تكن حركة التحرر الوطني في عموم آسيا وافريقيا، وحركة عدم الانحياز في تلك الفترة، في حالة نهوض،يمكن ان تمدد حركة الثورة العربية بمزيد من القوة،،بل ان العديد من بلدان آسيا،وافريقيا،التي كانت في الخمسينات، تلعب دورا نشيطا في الحركة التحرر الوطني،وفي حركة عدم الانحياز،شهدت،في الفترة السابقة، ردات رجعية.

(و) مسألة النفط،وموقع الوطن العربي في الستراتيجية الدولية:

يعتبر الوطن العربي والجزء الشرقي منه وبضمنه مصر،بصورة خاصة،من اهم المناطق الستراتيجية في العالم،وكان منذ عصور التاريخ القديمة مسرحا للكثير من الصراعات بين القوى الكبرى،،وظل في العصر الحديث محط اطماع كل القوى الدولية الكبرى التي تبغي تعزيز مواقعها السياسية والعسكرية والاقتصادية،في مواجهة القوى الاخرى.

ويمكن تحديد العوامل التي اعطت الوطن العربي هذه الاهمية لستراتيجية،بانه يحتل، من الناحية الجغرافية،موقعا متوسطا وفعالا بين الشرق والغرب،وانه يحتوي على مواقع وممرات

ارضية وبحرية مهمة جدا للستراتيجية الدولية،فضلا عن كل الامكانات الحضارية الهائلـــة للامـــة العربية،التي مكنتها،عندما توفرت لها الظروف المواتية،في مراحل عديدة في التاريخ من بناء دول كبرى،كان لها تأثير قوي في اوضاع العالم،،وهي امكانات ترشح الامة العربية في العصر الحديـث للتحول الى قوة كبرى.

بالاضافة الى العوامل المذكورة هناك العامل الاقتصادي،،فالوطن العربـــي يزخـــر بامكانـــات اقتصادية هائلة،،وكانت كل الدول التي نشأت عليه او على اجـــزاء مهمـــة منـــه،دولا مزدهـــرة اقتصاديا،كما كانت قوية عسكريا ولامعة حضاريا.

وفي القرون القليلة الماضية اهتمت الدول الاستعمارية الكبرى بالوطن العربي،للاسباب التـــي ذكرناها،وسعت بشتى الوسائل،الى التعرف عليه والتغلغل فيه،وبسط نفوذها عليه.

وكان وجود النفط،بكميات كبيرة في عدد من البلدان العربية،حافزا مضافا مهما جدا،دفع القـــوى الاستعمارية في نهاية القرن التاسع عشر،والقرن العشرين الى ذلك،كما كان عامل النفط من اهـــم الاسباب التي دفعت القوى الاستعمارية،اضافة الى العوامل الاخرى المشار اليها ،الى اقامة الكيان الصهيوني في قلب الوطن العربي،كقوة عسكرية ارهابية تحرس المصالح الاستعمارية في المنطقة وتهدد الامة العربية،وتحول بينها وبين التحرر والوحدة والنهضة.

كما كان عامل النفط من العوامل البارزة في تحديد الستراتيجيات الدولية المعاصرة وتحريـــك الصراعات والتحالفات بين القوى الدولية الكبرى، لما للنفط مـــن تـــأثير بـــالغ علـــى الظـــروف الاقتصادية والعسكرية لهذه القوى.

غير ان هذه القيمة الستراتيجية للنفط شهدت،في السنوات الاخـــيرة تغـــيرا بـــالغ الخطـــورة والحساسية،،وتجاوزت الاعتبارات القديمة الشائعة،والتي بات من الممكـــن تسـميتها،فـــي ظـــل المتغيرات الجديدة،بالاعتبارات التقليدية،لذلك فأن النظرة الستراتيجية للوطن العربي ومشـــكلاته وقضاياه شهدت تطورا جديدا،يختلف عما يمكن تسميته بالنظرة التقليدية الســـابقة،التـــي طبعـــت موقف وسياسات القوى الدولية الكبرى،قبل بروز الاهمية الستراتيجية الجديدة للنفط.

وفي الفترة التي انعقد فيها المؤتمر العاشر كانت مسألة النفط،في نظـــر الاوســـاط العربيـــة، وكثير من الاوساط الدولية،وبالتالي النظرة الى موقع الوطن العربي في الستراتيجية الدولية،ماتزال محكومة بالاعتبارات الستراتيجية والاقتصادية التقليدية.فالاهمية الستراجية الجديدة للنفـــط،التـــي باتت اليوم معروفة للجميع،،لم تكن عند انعقاد المؤتمر العاشر معروفة بابعادها الخطيرة من قبـــل

الاوساط العربية،وكثير من الاوساط الدولية المهمة.ان الجهة التي كانت تعرفها في ذلك الوقت معرفة عميقة،وتتصرف على ضوئها،ولكن من دون الاسفار عنها، هي اوساط المخططين الستراتيجيين الاميركان،وبعض الاوساط الاوربية،بدرجة أقل.

واستنادا الى هذه الحقيقة فأن الاوساط العربية،واوساطا دولية عديدة، منها الاتحاد السوفييتي،وبعض البلدان الاوربية،كانت ماتزال تنظر الى الوطن العربي من خلال الاعتبارات الستراتيجية التقليدية،بوصفه سوقا واسعا للبضائع المصنعة،ولقربه من الاتحاد السوفييتي،ولاهمية مافيه من بحار وممرات مائية مهمة للاغراض العسكرية والاقتصادية التقليدية،ومن خلال الاعتبارات التقليدية لاهمية النفط.

ان معرفة اميركا للاهمية الستراتيجية الجديدة للنفط في المنطقة العربية اكثر من غيرها، وادراكها لتأثير هذه الاهمية عليها وعلى الموازنة الدولية وما يعنيه ذلك من تقدير خاص للاهمية الستراتيجية للوطن العربي،كل ذلك كان له تأثير بالغ على التطورات في المنطقة العربية،في الفترة اللاحقة،كما ان عدم معرفة الاوساط العربية الحكومية والشعبية،وعدم معرفة الاتحاد السوفييتي بهذه الاهمية،بالمستوى الذي كانت عليه فعلا،، كان له،هو الاخر،تأثيره البالغ على مجرى الاحداث في المنطقة.

وبالنسبة لنضال حركة الثورة العربية ضد الاستعمار والصهيونية كانت مسألة النفط واردة .وكان الكثير من القوى الثورية العربية قد دعا الى ضرب المصالح النفطية الاستعمارية في الوطن العربي،وكان حزب البعث العربي الاشتراكي قد رفع،منذ وقت طويل،شعار ((نفط العرب للعرب))،،ولكن هذه الدعوات كانت محكومة بالتقديرات والاعتبارات التقليدية للنفط،وللمصالح الاستعمارية في المنطقة،،ولم تكتشف القوى الثورية العربية،بقدر كاف،ان الاتجاه الجاد والمستمر نحو تهديد المصالح النفطية الاميركية يمكن ان يحقق تغييرا حاسما في الصراع العربي ــ الصهيوني.

اما قدرة الجماهير،والقوى الثورية العربية،على تهديد المصالح النفطية الاستعمارية فقد كان ينظر اليها من زاوية سلبية فقط،،فلم يكن احد يقدر باستطاعة قوة ثورية عربية ان تصفي المصالح النفطية الاستعمارية تصفية حاسمة وشاملة،وان تتمكن من انجاح هذه العملية بكل جوانبها الاقتصادية والسياسية والفنية.فالتأميمات التي شهدتها تلك المرحلة في بعض الاقطار

العربية لبعض المصالح النفطية الاستعمارية،كانت محدودة،شملت احيانا مصالح جزئية،او شـملت جوانب من تلك المصالح،وليس كل المصالح حيث الانتاج والنقل والتسويق.

وبعد اكثر من سنتين من تاريخ انعقاد المؤتمر العاشر،تمكنـت ثـورة الحـزب فـي القطـر العراقي،في حزيران ١٩٧٢ من تأميم النفط والسيطرة على كل العمليات المرتبطة به،انتاجا ونقـلا وتسويقا،،ومن انجاح هذه العملية من جميع النواحي،الاقتصادية والسياسية والتقنية،،وبذلك تحقق اول انجاز تاريخي كبير،بضرب المصالح النفطية الاستعمارية ضربة حاسمة وشاملة وناجحة.

وكما سنتناول ذلك في الفصول القادمة،فان تأميم النفط في العراق ومن بعد ذلـك اسـتخدام عامل النفط اثناء حرب تشرين،كان بداية لمرحلة جديدة تماما بالنسبة لمسألة النفـط،،كمـا كـان البداية الحقيقية لاكتشاف اهميته الستراتيجية،بصيغتها المعروفة حاليا على نطاق عربي وعـالمي واسع،،وما يترتب على ذلك من تقدير جديد للاهمية الستراتيجية للوطن العربي.

في ظل هذه الاوضاع العربية والدولية،وفي اوضاع حزبية داخلية خاصة، سنتناولها فيما بعد،انعقد المؤتمر القومي العاشر.

لقد حاول المؤتمر ان يحقق شيئا جديدا،ومتقدما في حياة الحزب،وفي مسيرته الثورية كمـا سعى الى وضع برنامج ثوري طموح،وقد انطلق المؤتمر في ذلك،وبكل تأكيد،من مواقـع الحـزب المبدئية،ومن مطامحه القومية الثورية الواسعة،وكان،بذلك،يعبر عن مشـاعر مناضلي الحـزب ومشاعر الجماهير الثورية ومطامحها.

غير ان المؤتمر العاشر لم يبذل الجهد الموضوعي المطلوب من الثوريين الذيـن يتحملـون عبء مسيرة حركة الثورة العربية،لدراسة الاوضاع والمواقـف العربيـة والدوليـة،ذات الصلـة بمسيرته واهدافه،وبحركة الثورة العربية دراسة موضوعية ودقيقة،،كما انه،في غمـرة الاندفـاع المبدئي والعاطفي،لم يقدر تقديرا موضوعيا،ومتوازنا ظروف الحزب القائمـة حينـذاك، وقدراتـه الفعلية على الانجاز.

لقد كانت تقديرات المؤتمر للاوضاع العربية والدولية،واحتمالات تطورها اللاحق،تقديرات غير دقيقة،،وكان بينها وبين الواقع الموضوعي بون شاسع،،كما تأثر المؤتمر تأثرا تلقائيا شديدا،بطابع الهبة الشعبية العربية التي كانت سائدة عند ذلك،وبما كان يهيمن عليـها مـن نزعـات فكريـة ونفسية،،ولم يمارس ازاءها دور المحلل الثوري الموضوعـي الجـاد،الـذي يخضـع الظـروف والظواهر للتحليـل والتمحيـص العميقيـن،ويسـتخلص مـن ذلـك الاسـتنتاجات،عمـا هـو

جاد،وواقعي،وثابت،وممكن،،وعما هو متسرع،وسطحي،وغير واقعي، وموسمي،من الظواهر والاتجاهات والظروف.

لهذه الاسباب، ولاسباب داخلية خاصة بالحزب، برزت، بعد المؤتمر العاشر، نتائج وظواهر خطيرة.

فبعد المؤتمر العاشر،،ولفترة غير قصيرة،كان واضحا ان قدرا كبيرا من النشاط السياسي والعسكري للحزب،ولثورته في القطر العراقي،كان لهاثا وراء الاحداث الجارية،وانسياقا وراء الاتجاهات والنزعات والتيارات كانت سائدة في ذلك الوقت،، وضعف،الى حد كبير،دوره الطليعي والريادي والتعرضي في الاحداث والاتجاهات، في الساحة العربية.

وفي تلك المرحلة،للاسباب المذكورة،كان واضحا ان هناك بونا شاسعا بين ما كان يرفعه الحزب من شعارات ومايطلقه الحزب من دعوات ومواقف،وبين قدرته وقدرة ثورته الفعلية في القطر العراقي على التطبيق والانجاز.

ان حالة كهذه تشكل خطر على أي حزب ثوري،في أي وقت كان وتزرع في داخله بذور الازمة،،اما في ظروف دقيقة ومتفجرة كالظروف العربية السائدة عند ذلك،فان مثل هذه الحالة لابد ان تقود الحزب الى أزمة عاصفة.

وهذا ماحدث في الواقع،،فبعد اشهر قليلة من انعقاد المؤتمر العاشر واثناء ازمة احداث ايلول ١٩٧٠،انفجرت واحدة من اخطر وادق الازمات التي عانى منها الحزب،سواء في حياته الداخلية،اوفي علاقاته مع الجماهير ومع القوى السياسية الاخرى.

ان ما جرى في تلك الفترة يضيف الكثير الى تجربتنا الثورية الحافلة بالدروس،، ويعلمنا درسا بليغا،هو كيف يمكن لمؤتمر حزبي ـ اذا لم يوازن تقديراته على وجه موضوعي ودقيق ـ ان يدفع الحزب الى ظروف صعبة جدا كما يعلمنا هذا الدرس البليغ، كمناضلين يتحملون العبء الاساس في حركة الثورة العربية،كيف يجب ان نعطي لمؤتمراتنا الحزبية كل مالدينا من طاقة فكرية وسياسية عميقة وجادة،وان نستأصل تلك النزعات التي وجدت في الماضي،،عندما كان بعض المناضلين لا يعطون للمؤتمرات الحزبية القدر الضروري من التفكير والعمل الجادين،،ولا يقيمون وزنا كافيا وعقلانيا،لما يدور فيها من مناقشات،وما تتمخض عنه من نتائج ومقررات،، ويتخلون بذلك عن دورهم كقيادة طليعين للامة،وينساقون وراء نزعات ذاتية، او وراء الموجات الموسمية السائدة بين صفوف بعض الحزبين،،او في الاوساط الخارجية المحيطة بالحزب.

ــ الفصل الثاني ــ

اوضاع المؤسسة القومية

ان اوضاع الحزب الداخلية ومشكلاته الخاصة ــ كمؤسسة ثورية ــ تؤثر تأثيرا اساسيا في تحديد قدراته على اداء مهماته،وفي تأثير حركته واتجاهه.ولكي نفهم،على وجه.صحيح، مسيرة الحزب في الفترة الواقعة بين المؤتمر القومي العاشر ومؤتمرنا هذا، لابد من دراسة اوضاع الحزب الداخلية قبل ذلك المؤتمر،واثناء انعقادة، وفي الفترة اللاحقة،، وفي المقدمة منها اوضاع القيادة القومية،وثم اوضاع فروع الحزب ومنظماته في الاقطار العربية ــ ماعدا القطر العراقي ــ و في خارج الوطن.

ويعود استثناء القطر العراقي من هذه الدراسة الى ان اوضاع منظمة الحزب في القطر، في تلك المرحلة،وفي المرحلة التي سبقتها،والتي تلتها قد درست في المؤتمر القطري الثامن لفرع الحزب في القطر العراقي،ودونت في التقرير السياسي الصادر عن ذلك المؤتمر،الذي يعتبر احد وثائق مؤتمرنا هذا.

نشأ حزبنا نشأة قومية، بعقيدته وتنظيميه وممارسته، وكانت قيادته الاولى، حيث نشأت في سورية،قيادة للحزب في كل مكان،،ثم انتشر الحزب في اقطار اخرى،وتكونت فيها منظمات اخذت تتسع مع الزمن،واصبح لها قياداتها القطرية،وفي المؤتمر القومي الثاني،الذي انعقد في حزيران ١٩٥٤،تم اختيار القيادة القومية في مؤتمر قومي،تألف من مندوبي منظمات الاقطار وأختير لعضوية القيادة القومية اعضاء من اقطار اخرى،اضافة الى اعضائها من القطر السوري،ومنذ المؤتمر القومي الثالث صارت القيادة القومية تنتخب من المؤتمر القومي.

غير إن القيادة القومية، كانت،منذ نشأة الحزب ــ وبخاصة منذ المؤتمر القومي الثالث (ايلول ١٩٥٩) ــ تعاني من اوضاع سلبية عديدة أثرت تأثيرا بالغا على مكانتها القيادية،وعلى قدرتها في تأدية مهامها،كاعلى قيادة في الحزب،،فما هي تلك الاوضاع؟.

(١) هناك التباعد الجغرافي بين الاقطار العربية،حيث تقوم منظمات الحزب المختلفة،وما يثيره ذلك من مشكلات الاتصال فيما بينها،الى جانب فقر الوسائل والامكانات المادية في الحزب،والارهاب الذي تشنه الانظمة الرجعية والدكتاتورية ضده،وحظرها لاي شكل من

اشكال نشاطه في أغلب الاقطار .وفي ظروف كهذه كان يصعب على القيادة القومية تحقيق صلة مباشرة ومستمرة مع منظمات الاقطار،والتعرف على اوضاعها بدقة،وقيادتها بشكل مركزي،،الامر الذي حدد،واقعيا، علاقة القيادة القومية بفروع الاقطار في اطار التوجيه الفكري والسياسي العام،وغير المستمر في احيان كثيرة.

(٢) ان ساحة النضال في كل قطر كانت تستحوذ على الجزء الاعظم من اهتمام ونشاط مناضلي الحزب فيه،وبخاصة عندما يكون فرع الحزب واسعا ويمتلك قوة جماهيرية وسياسية،،وعندما تكون الظروف المحيطة بعمل الحزب صعبة وتكتنفها ظروف الارهاب الشاقة.وقد ترتب على ذلك،في بعض الاحيان،ان فروع الحزب لم تكن تقدم للقيادة القومية ومؤسساتها عناصرها القيادي الفعلية،وحتى من كان ينتخب من بين تلك العناصر في القيادة القومية كان يبقى في الغالب في القطر الذي جاء منه،ولا يمارس،بصورة منتظمة،دوره كعضو فيها. وقد أثر هذا الوضع تاثيرا بالغا على القيادة القومية،،فهو اصابها بالضعف في صلب تكوينها،كأعلى مؤسسة قيادية،كما اضعف هيبتها وسلطتها،وكان يؤدي،في احيان عديدة،حتى الىفقدان النصاب فيها،مما يتعذر معه ممارسة مهامها في اطار من المشروعية التنظيمية الكاملة.

(٣) ان تباين الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الاقطار العربية،وحدة تلك الظروف وقسوتها كانت تلقى على عاتق المنظمات الحزبية في الاقطار العبء الاكبر في المواجهة،وفي شق طريق الحزب فيها،،وذلك امر طبيعي .وللاسباب سالفة الذكر. لم تستطع القيادة القومية ان توفر لمنظمات الحزب في الاقطار، في غالب الاحيان،ما يعينها في نضالها في الجوانب الفكرية والسياسية،فضلا عن المادية،الا القدر اليسير، مما خلق حالتين متباينتين،اولاهما:ضمور بعض المنظمات الحزبية في بعض الاقطار وتحميل القيادة القومية تبعة ذلك.والثانية نمو منظمات اخرى واتساعها،وامتلاكها قدرات تنظيمية وسياسية ومادية كبيرة،من دون ان تشعر بدور القيادة القومية،كمؤسسة،في ما بلغته من مواقع وقدرات.

وكانت الحالة الثانية هذه،اضافة الى النقاط سالفة الذكر،تشكل، من وجوه عديدة، الاساس المادي والنفسي للتناقضات التي نشأت بين تلك المنظمات،وبين القيادة القومية،ولحالات التمرد،على اختلاف درجاتها واشكالها،التي مارستها تلك المنظمات ضد القيادة القومية.

(٤) وقد واجهت القيادة القومية.منذ قيام الوحدة بين مصر وسورية،مشكلة مضافة خطيرة، هـــي مشكلة العلاقة بينها وبين السلطة في القطـــر الــذي يكــون لفــرع الحــزب فيــه علاقــة بالسلطة.فعندما قامت الوحدة السورية ــ المصرية في عام ١٩٥٨،كان الحزب،في القطريـــن المذكورين،قد حل،ولكن القيادة القومية بقيت كمؤسسة.وكان طبيعيا ان تعنى القيادة القوميــة عناية مباشرة باوضاع دولة الوحدة لسببين :اولهما مبدئي،وثانيهما:ان الحزب قـــام بــدور طليعي في بناء الوحدة،وكانت شخصياته القيادية في القطر السوري(وبعضها اعضـــاء فـــي القيادة القومية) ــ تتولى مراكز سياسية مهمة في سلطة دولة الوحدة.

ان القيادة القومية هي (قومية التكوين)،،اما السلطة التي انبثقت عن وحدة القطرين الســوري والمصري فلم تكن ((قومية))التكوين.وانما كانت جمعا غير منســجم،بيــن تكوينييــن سياســيين قطريين،وكان ذلك احد الاسباب الجوهرية،الى جانب اسباب اخرى،في نشوء الخـــلاف والتنـــاقض بين القيادة القومية،(سلطة)دولة الوحدة.

وعندما قامت ثورة ٨ شباط ١٩٦٣ في القطرالعراقي،برزت،من جديد، مشكلة العلاقـــة مـــع السلطة .فالسلطة التي نشات في القطر العراقي،بعد ثورة الحزب فيه كانت،ايضا، (قطرية)التكوين، ولم تكن هناك علاقة محددة بين القيادة القومية،وبين سلطة الدولة في القطر الذي يقود فيه فـــرع الحزب السلطة.وحصل الشيء نفسه في سورية بعد حركة ٨ آذار ١٩٦٣،،فبالاضافة الى عوامـــل الصراع الاخرى بين قيادة الحزب القومية وبين مؤسسات السلطة في القطر السوري،كان هنـــاك تناقض واضح،بسبب التكوين ((القومي))للقيادة القومية، والتكوين ((القطري)) للسلطة.

ان هذه المشكلة خلقت في حزبنا وضعا لم تعان منه احزاب اخرى .

فالقيادة القطرية في القطر الذي يقود فيه فرع الحزب السلطة كانت تبدو مؤسســـة (اقـــوى) مـــن مؤسسة القيادة القومية،برغم كون الاخيرة اعلى منها في سلم التسلسل الحزبي،لما تمتلكه القيـــادة القطرية من عوامل القوة المادية والمعنوية التي توفرها لها السلطة.

وقد ادى ذلك الى اتخاذ القيادة القومية مواقف مختلفة واحيانا متناقضة، فهي، احيانا، كـــانت تشعر بالاغتراب عن السلطة، وتنكمش، ولا تـــؤدي دورهـــا بشـــكل كـــامل،كقيـــادة عليـــا فـــي الحزب،واحيانا اخرى كانت تقف من السلطة التي يقودها فرع الحزب موقفا سلبيا.

وفي المقابل كانت قطرية تكوين السلطة من ناحية،ونزعات الانحراف في بعـــض المنظمـــات القطرية،،وفي بعض مؤسسات السلطة ناحيـــة اخـــرى، تـــؤدي الـــى الاســـاءة الـــى القيـــادة

القومية،ومنها،باشكال مختلفة،من تأدية دورها الطبيعي كقيادة عليا في الحزب،لابد ان تكون معنية بالسلطة التي يقودها فرع الحزب.وان يكون لها دورها القيادي في توجيهها.وفي سورية كانت المؤسسات النافذة في السلطة بعد ٨ آذار ١٩٦٣ تتآمر،بشكل خبيث ومنظم،ضد القيادة القومية ودورها،وختمت ذلك بالانقلاب العسكري على القيادة القومية الذي نفذته زمرة الردة في ٢٣ شباط ١٩٦٦، والذي كان اخطر واقسى ما وجه الى الحزب وقيادته القومية من طعنات،مما انعكس بتأثيره التخريبي على اوضاعها،ومكانتها في الحزب،وعلى قدرتها في تأدية مهامها القيادية.

وعندما انعقد المؤتمر القومي العاشر في شهر آذار ١٩٧٠،كانت القيادة القومية، كمؤسسة، ومعها منظمات الاقطار خارج الوطن،تختزن تجربة مليئة بالسلبيات والمرارة والمعنويات المتزعزعة،وبسبب حداثة التجربة الثورية في القطر العراقي،وعدم اكتمال ملامحها،كما اشرنا الى ذلك في الفصل الاول من ناحية،والظروف العامة التي كانت تحيط بالحزب من ناحية اخرى،لم يتم في حينه تحديد صيغة واضحة للعلاقة بين القيادة القومية والسلطة الجديدة،التي يقودها فرع الحزب في القطر العراقي.لذلك فان الموقف من مسألة السلطة والعلاقة بها لم يكن افضل بكثير مما كان عليه الامر في التجارب السابقة.وبرغم وجود الحماسة للتجربة الجديدة التي كان يخوضها فرع الحزب في القطر العراقي،والحرص على ديمومتها وتطورها،كان الجو العام في المؤسسة القومية يسيطر عليه الحذر من السلطة،، والشك والخوف من تكرار التجارب السابقة . وكانت عبارة (التميز عن السلطة)كثيرة التداول في ذلك الوقت،في الادبيات وفي الجلسات الحزبية الرسمية، وفي حياة الحزب الخاصة .وفي مقابل ذلك كانت تظهر بين بعض اعضاء الحزب في القطر العراقي، في بعض الاحيان نزاعات تعصب غير موضوعية للسلطة،لا توازن،بدقة،بين الظروف والاعتبارات التي تحكم المؤسسة القومية،وبين الظروف والاعتبارات التي تحكم فرع الحزب في القطر وسلطته.كل ذلك، كان يخلق حالات سلبية في حياة الحزب،ويثير القلق والشكوك والمشاحنات التي تضعف وحدة الحزب ومسيرته وقدرته على النضال.

اما اوضاع منظمات الحزب في الاقطار العربية وفي خارج الوطن،،وهي المنظمات التي يتكون المؤتمر القومي في غالبيته من قياداتها،ومندوبيها،فكانت هي الاخرى،تعيش اوضاعاً سلبية.فلقد كانت ما تزال تعاني،بشدة من آثار الانشقاق والتصدع،اللذين اعقبا ردة الثالث

والعشرين من شباط ١٩٦٦، ومن الآثار السياسية والفكرية والنفسية السلبية التي تولــدت عــن هزيمة حزيران ١٩٦٧.

وكان الحزب،في الفترة اللاحقة لردة شباط وهزيمة حزيران،قــد اصيــب، بصــورة عامــة، بالضعف تنظيمياً ومعنويا،وفقد دوره الطليعي في حركة الثورة العربيــة،وكـانت قــوى اخـرى، وبخاصة المقاومة الفلسطينية،قد سبقته باشواط بعيدة،في استقطاب حماسة الجماهير وتأييدها.

في ظل هذه الاوضاع الداخلية انعقد المؤتمر القومي العاشر،لقد انعقد المؤتمر والحزب يفتقـر الى الوحدة المتراصة،والمعنويات العالية.والثقة الوطيدة بالنفس والمســتقبل،،لقـد كـانت تخيـم عليه،بظلها الكثيف،نكساته وتجاربه المرة السابقة.

واذا اخذنا بالاعتبار الاوضاع العربية والدولية التــي سـبق الحديــث عنــها فــي الفصـل الاول،والتقديرات الخاطئة حولها،فاننا نفهم،تماما،كيف ان الظروف الذاتية والموضوعية التي كانت تحيط بالحزب،لم تكن توفر،لمؤتمره القومي العاشر،المقومات الفكريــة والسياســية والتنظيميــة والنفسية السليمة،لكي يكون مؤتمرا ناجحا تماما،يخرج بنتائج ايجابيــة،توفـر للحــزب امكانيــة حقيقية،لتعزيز وحدته،وتطوير مسيرته الثورية.

ان هذه الظروف السلبية الذاتية والموضوعية التي احاطت بالمؤتمر،كانت تدفع الكثــير مــن اعضائه الى التعويض عــن الدراســة الجــادة لاوضــاع الحــزب وقدراتــه،وتحديــد مســيرته اللاحقة،بالهروب الى المبالغة والصيغ النظرية واساليب اثبات المواقف،،مما كان له اثره الخطــير على الفترة اللاحقة وبخاصة اثناء احداث ايلول ١٩٧٠ التي فجرت أزمة حادة داخل الحزب.

ــ الفصل الثالث ــ

احداث ايلول ١٩٧٠

اتخذت منظمات المقاومة الفلسطينية،بعد هزيمة حزيران،من الساحة الاردنيــــة،مســرحا اساسيا لنشاطها العسكري،والسياسي،وفي عام ١٩٧٠ بلغ تواجدها،ونشاطها في الساحة الاردنيــة مستوى واسعا جدا ,ولما كانت المقاومة الفلسطينية،في ذلك الوقــت،اقـوى مركــز للاســتقطاب الجماهيري في حركة الثورة العربية،فقد وجه الكثير من القوى الثورية العربية اهتمامه ونشــاطه نحو الساحة الاردنية.وفي ذلك الوقت كان هناك قوات عسكرية عراقية كبيرة،ارسل جزء صغــير

منها ابان حرب حزيران،ثم ازداد عددها بعد قيام ثـورة ١٧ تمـوز ١٩٦٨. وفـي اطـار هـذه الظروف،انتعشت الحركة الوطنية في الاردن،وكانت قبل الهزيمة محرومة مـن حريـة الحركـة والنشاط، وتتعرض الى اشكال شتى من الارهاب والتنكيل.

لقد كان هذا الوضع في الساحة الاردنية يحمل في طياته تناقضا خطيرا فالنظام الاردني الـذي هو نظام ملكي رجعي،وثيق الصلة بالرجعية العربية والاستعمار الجديد،، وجد نفسه، بعد الهزيمة، قد اصبحت ارضه اوسع ساحات النشاط الشعبي الثوري،واكثرها سخونة.

وفي الواقع،ان هذا النظام كان قد تعرض،بعد الهزيمة،الى ضعف شديد،وكان مضطرا، بسـبب نتائج الهزيمة،،تحت ضغط الجماهير والظروف العربية السائدة عنـد ذاك، الـى القبـول بـالامر الواقع،والسماح بالتواجد الفدائي على ساحته.كما ان النظام الاردني الـذي شـارك الـى جـانب مصر،وبالاتفاق معها في حرب حزيران،كان قد حصل عند ذاك على غطاء((وطنـي))،ولـم يكـن راغبا،في تلك الظروف،بفقدانه والعودة من جديد الى اوضاع العزلة الخانقة عن الانظمة والقـوى الوطنية،التي كان فيها في المرحلة السابقة،ولكن الامر تحول فيما بعد الى حد فقد النظـام شـيئا غير قليل من القدرة على الامساك بزمام الامور،وكان الكثير مما يجرى في الساحة الاردنية يتـم بمعزل عن ارادته،بل ضدها.

وكان هذا التناقض يشير الى حتمية الصراع بين النظام الاردنـي،وبيـن الحركـة الشـعبية الثورية،وبخاصة المقاومة الفلسطينية .وقد شهدت الساحة الاردنية اشـكالا مـن الصـدام بيـن المؤسسات النظام ومنظمات المقاومة الفلسطينية،،كما حدث في الاعوام ١٩٦٨ ــ١٩٧٠، جـرى تطويقها بالضغوط والوساطات العربية الرسمية،ولان أيا من الطرفين لم يكن مهيأ تماما في حينـه لخوض مواجهة حاسمة مع الطرف الاخر.

لقد كانت الحركة الشعبية الثورية،ومنها منظمات المقاومة الفلسطينية،وحزبنا،تلمـس هـذا التناقض الخطير في الساحة الاردنية،كما كانت،تتوقع الصدام بين الطرفين،وتتحدث عنـه وتحـذر منه،باشكال شتى.

غير ان الحركة الثورية العربية ــ بصفاتها وقدراتها التي اشرنا اليها في فصل سابق ــ لـم تبلور موقفا موحدا من هذا التناقض،ومن احتمالاته الخطيرة .فالبعض منها كان يدعو ــ علنـا ــ الى اسقاط النظام الاردني، واقامة سلطة شعبية تقدمية،،وكـان البعـض الاخـر يعـارض هـذا الاتجاه،ويدعو الى الوفاق مع النظام الاردني،بحجة ان المقاومة الفلسطينية يجب ان لا تتدخل فـي

الشؤون الداخلية للاقطار العربية،والا فقدت عطف ومساندة الحكومات العربية,كما كان آخرون يخشون من العواقب التي تترتب على محاولة اسقاط النظام،سواء ما يأتي منها من جانب الكيان الصهيوني والاستعمار او من جانب بعض الانظمة العربية.

ان هذه الخلافات في التقديرات والمواقف لم تكن اطراف الحركة الثورية العربية،ومنظمات المقاومة الفلسطينية من تحديد ستراتيجية وتكتيك موحدين في التعامل مع النظام الاردني،،سواء باتجاه المواجهة السافرة معه او باتجاه الوفاق وتجنب الصدام به او تأجيله،بل كان كل طرف منها يتصرف على هواه،ويناقض تصرفات وموقف الاطراف الاخرى حينا، ويتشابك معها حينا آخر .

ومع مرور الزمن،واستعادة الانظمة العربية التي تعرضت للهزيمة بعض مواقعها القديمة،وامتلاكها القدرة على المبادرة والتأثير،صار نظام الملك حسين يتجه الى تنظيم شؤونه،وتقوية مؤسساته السياسية والعسكرية والامنية،تمهيدا لمواجهة الحركة الثورية العربية،وقد استطاع نظام الملك حسين ان يمارس تكتيكات ذكية جدا،في التعامل مع الاوضاع العربية القائمة وفي التعامل مع المقاومة الفلسطينية،وفي الاستفادة من اخطاء عناصرها،وبعض قياداتها،وفي توريطها،والاندساس في صفوفها،تعاونه في ذلك مخابرات الدول العربية الرجعية،وصار ينتظر الفرصة المواتية لخوض المواجهة مع المقاومة الفلسطينية.

غير ان الظروف العربية والدولية لم تكن مواتية لنظام الملك حسين قبل ايلول ١٩٧٠. فالنظام المصري كان يخوض حرب الاستنزاف،وكان بحاجة الى المقاومة الفلسطينية ونشاطها العسكري والسياسي ضد العدو،وكان النظام السوري يتخذ مواقف متشددة ظاهريا، وكان له وجود في المقاومة الفلسطينية، وعلاقات واسعة معها.

وفي جوار الاردن كان هناك النظام الثوري في العراق، بموافقه المبدئية المساندة للمقاومة الفلسطينية،، وتواجده العسكري في الساحة الاردنية، ولم تكن الانظمة العربية الرجعية،عند ذاك،في وضع يشجع نظام الملك حسين على ضرب المقاومة الفلسطينية ضربة ساحقة .

ولكن عندما قبل الرئيس عبد الناصر بمشروع روجرز في تموز عام ١٩٧٠،توفرت لنظام الملك حسين الفرصة التي كان ينتظرها،لقد ادى القبول بالمشروع المذكور الى ايقاف القتال في الجبهة المصرية،وكان مطلوبا من النظام الاردني الذي قبل المشروع أيضاً،ان يوقف أي نشاط عسكري في الجبهة الاردنية ,اما الجبهة السورية فقد كانت ساكنة بالاساس، وهكذا فان ايقاف نشاط الفدائيين ونشاط القوات العسكرية العراقية في الساحة الاردنية اصبح مطلوبا،لا من النظام

الاردني وحده،وانما من النظام المصري،ومن الولايات المتحدة،ومن كل القوى العربية والدولية التي قبلت بذلك المشروع وأيدته،وكانت تريد – باشكال ودرجات متفاوتة – أن يأخذ فرصته في النجاح.

ومن ناحية اخرى فان قبول عبد الناصر بمشروع روجرز ادى الى انفجار حاد في الخلافات العربية.فلقد حدث تدهور خطير في العلاقة بين الحزب والثورة من جهة،وبين مصر من جهة اخرى،خاصة ان اعلان الرئيس عبد الناصر عن قبوله بمشروع روجرز جاء بعد وقت قصير جدا من اجتماع طرابلس في حزيران ١٩٧٠،والذي كان قد تم فيه الاتفاق بين الرفيق احمد حسن البكر،والرئيس عبد الناصر،والرئيس الليبي،والرئيس السوري،على برنامج (قومية المعركة)،الذي كان بالاساس مبادرة عراقية تبنتها ليبيا وطرحتها في المؤتمر المذكور،بصورة مشتركة مع العراق،،وكان هذا البرنامج،يقوم على اساس الالتزام بخط التحرير الكامل لفلسطين .كما ادى قبوله بمشروع روجرز الى اضطراب وهيجان في صفوف المقاومة الفلسطينية والحركة الشعبية العربية.فبعض الاطراف الفلسطينية رفض المشروع بحدة،وصار يتخذ منه مواقف متطرفة،،والبعض الاخر منها وقع في حالة مربكة من الحيرة والتردد،فهو يعارض المشروع من جانب، ولايريد الصدام مع عبد الناصر من جانب آخر،،كما كان البعض من اطراف المقاومة وقياداتها قابلا به،وان لم يكن بشكل علني،،وقد ادى ذلك الى نشوب الخلافات والتناقضات والصدامات بين الاطراف المتعددة في حركة المقاومة الفلسطينية،والحركة الثورية العربية.

لهذه الاسباب تحولت موازين القوى في الساحة الاردنية،وفي الاوضاع العربية والدولية لصالح نظام الملك حسين،الذي لم يفوت الفرصة،واقدم على ضرب المقاومة الفلسطينية.

لقد كانت احداث ايلول اول مواجهة ذات طبيعة واسعة وعنيفة جدا بعد هزيمة حزيران،بين حركة الثورة العربية من جانب، وبين القوى الرجعية الاستعمارية من جانب اخر.كما كانت ذات طبيعة مركبة ومعقدة ايضا،فهي، اولا، جاءت بعد هزيمة حزيران وما تركته في نفسية الجماهير العربية من اثر عميق وخوف على مصير القضية القومية..وهي ثانيا،جاءت في ظروف بدء انقسام داخل صفوف القوى العربية التحررية والتقدمية،وما احدثة قبول عبد الناصر لمشروع روجرز من شرخ كبير في جبهة فصائل حركة الثورة العربية. وهي،ثالثا،اخذت شكل انقضاض وحشي من القوى الرجعية على المقاومة الفلسطينية،وعلى حركة الثورة العربية، بتأييد مطلق من الاستعمار والصهيونية.

وبسبب العوامل الذاتية في حركة الثورة العربية،وفي حركة المقاومة الفلسطينية التي اشـــرنا اليها،،وبسبب الاوضاع العربية والدولية المذكورة، فان حركة الثورة منيت بالهزيمـــة فـــي تلـــك المواجهة.

ولم تكن احداث ايلول ١٩٧٠ مجرد أزمة قومية خطيرة. فلقد فجرت هذه الاحداث احـدى ادق واخطر الازمات في حياة الحزب.صحيح انها لم توازِ في نتائجها اللاحقة،الازمات الكبيرة الســابقة التي عصفت بالحزب،وانها تضاءلت مع مرور الزمن،وخفت اثارها،،الا انها مع ذلك كانت أزمـــة عصيبة،كادت ان تعرض الحزب الى خطر الانشقاق،،وثورته في القطر العراقي الى خطر السقوط.

واليوم،وبعد مرور سبع سنوات على تلك الازمة،وفي مؤتمرنا الحادي عشـــر الـــذي اكدنـــا ضرورة ان يتناول قضايا الحزب وحركة الثورة العربية بالجدية والمسؤولية،وان يكـــون نقطـــة انطلاق الى امام في مسيرة حزبنا الظافرة،لابد من دراسة تلك التجربة الخطيرة في حيـــاة حزبنـــا وتطوره،دراسة موضوعية،نحكم فيها العقل الثوري بشـــكل رصيـــن تمامـــا بـــهدف اســـتيعابها، واستخلاص الدروس النافعة منها،وتجنيب الحزب وحركة الثورة العربية الوقوع في أزمات شبيهة بها في المستقبل.

لقد كان المؤتمر الثامن لفرع الحزب في القطر العراقي أول مؤتمر حزبي ينعقد بعد احـــداث ايلول.ولما كان لتلك الاحداث موقع مهم بالنسبة الى مسيرة الحزب والثورة في القطر العراقي،فقـد تناول المؤتمر تلك الاحداث في التقرير السياسي الصادر عنه،،وقد يكون مفيـــد ان نـــورد بعـــض الفقرات التي تناولت أحداث ايلول في التقرير المذكور:

((ان النقطتين المركزيتين في الاخطاء التي وقع فيها الحزب والثورة، أثناء تأديتهما لمهماتهما القومية،تجاه المسألة الفلسطينية،وما واجههما من مصاعب وازمات،في الفترة الواقعة بين قيـــام الثورة واحداث ايلول ١٩٧٠ هما:

ان ما طرحه الحزب من شعارات وبرامج وطموح نابع من مبـــادئ الحـــزب ومـــن اســـتراتيجيته القومية الثورية البعيدة المدى،وماتعهد به من التزامات كبيرة من ناحية،ومـــا تتطلبـــه المرحلـــة الجديدة بعد هزيمة حزيران من مستويات جديدة في الفكر والعمل،ومـــا تثـــيره مـــن تحديـــات كبيرة،وقضايا متشابكة بالغة الدقة والخطورة من ناحية اخرى،كان اكـــبر بكثـــير،والـــى درجـــة شاسعة،من امكانات الحزب والثورة الذاتية المرحلية وقدراتهما الفعلية على التطبيق والوفاء بمـــا

قطعه الحزب من عهود،وما تحمله من التزامات،لا قبل تسلمه السلطة السايسية في القطر العراقي فحسب، وانما بعد تسلمه السلطة ايضا.

والنقطة الثانية:هي النقص والاخطاء التي ارتكبت في فهم وتحديد العلاقة الجدلية بين المهمات((الوطنية))التي يواجهها بعد تسلم السلطة في قطر ما، وبين المهمات ((القومية)) المباشرة.

وكانت التجربة المريرة،التي وجد الحزب نفسه فيها ابان احداث ايلول ١٩٧٠،النتيجة الطبيعية لمجمل الاخطاء والتصورات الناقصة التي وقع فيها من قبل.

فقبل تلك الاحداث وللاسباب والظروف التي سبق الحديث عنها كان الحزب قد اندفع الى الساحة القومية الخاصة بالمسألة الفلسطينية بالشكل الذي تجاوز ــ كثيرا ــ امكاناته الذاتية في تلك المرحلة، وقبل ان ينجز ويحسم،على صعيد القطر العراقي، الكثير من المهمات الوطنية الاساسية ذات الصلة المبشرة بقدرته على تأدية مهماته القومية،كتثبيت السلطة الثورية وحسم الظروف والملابسات لصالحه بصورة مرجحة،وحل المسألة الكردية بالشكل الذي يطلق يده تماما في التصرف بامكانات العراق،ومنها الامكانات العسكرية،كما اندفع الى اعطاء تعهدات كبيرة مستندا الى جانب واحد من المسألة هو تأثيراتها النفسية الايجابية المؤقتة، دون ان يحسب بشكل دقيق جانبها الاخر،وهو احتمال تطور الاحداث بالشكل الذي يضطره الى اتخاذ مواقف عملية متطابقة معها.

وفي تلك المرحلة كان العراق اكثر من خمسين الف جندي في الجبهة الشرقية (الاردن وسورية)،وكان يشترك في جميع النشاطات العربية الرسمية السايسية العسكرية الخاصة بمسألة الموجهة مع العدو،وكان الحزب يتخذ المواقف السياسية المتشددة جدا ازاء الانظمة القائمة وفصائل المقاومة الفلسطية والقضايا المطروحة،دون حساب دقيق للنتائج التي تترتب على تلك المواقف،والامكانات المتوفرة.وباختصار كان الحزب والثورة قد وضعا نفسيهما في قمة الموجة المتلاطمة في المنطقة.

وعندما اقدمت السلطة الاردنية بوحشية واسعة لم يسبق لها مثيل،على تصفية المقاومة، لتضع كل السياسات والموقف والتعهدات التي اتخذت من قبل على المحك،وجد الحزب والثورة نفسيهما،هما في قمة الموجة الصاخبة، عاجزين فعليا عن التصرف بالحجم الذي يتناسب مع جسامة المؤامرة،ومع كبر الشعارات التي رفعاها والتعهدات التي قطعت بأسمهما)).

ومن اهم ما اتصفت به احداث ايلول نشأت نتيجة ازمة قومية عصفت بحركة الثورة العربية كلها،ووضعت فصائلها،ومنها حزبنا،امام خيارات عصيبة،وتختلف ازمة ايلول، نوعيا،عن الازمات السابقة التي عانى منها الحزب.فالازمات السابقة كأزمات الريماوي والركابي و١٨ تشرين و٢٣ شباط،كانت أزمات حركتها عوامل وعناصر من داخل الحزب،وبتأثير من قوى خارج الحزب،واحيانا بالتنسيق والتواطؤ معها،،وقد انتهت بخروج تلك العناصر من الحزب وارتدادها عليه،او وقوفها ضده الى جانب القوى الخارجية .اما في ايلول ١٩٧٠ فأن الازمة القومية هي التي فجرت الازمة داخل الحزب،وبقيت عوامل الازمة في داخله.

ومن الحقائق الموضوعية الاساسية عن أزمة احداث ايلول .انها كانت في الواقع نتيجة لظروف وامكانات الحزب وحركة الثورة العربية في ذلك الوقت،،كما انها وقعت في وقت لم يكن الحزب قد شفي تماما من ازماته السابقة،فجاءت تلك الازمة لتنكأ الكثير من جراحه، ولتضعه من جديد في جو التفكك والبلبة والضعف،دون ان تتوفر القدرة الحاسمة والسريعة على لم اطراف الازمة وحل المشاكل.

ان الظروف الذاتية للحزب ولكل فصائل الثورة العربية،والظروف الموضوعية المحيطة بها في ذلك الوقت،كانت تشير الى ان الحزب، وحركة الثورة العربية،لم يكونا واقفين على أرض صلبة،ولم تكن الرؤية لديهما واضحة.

وعندما وقعت احداث ايلول كانت حادة ورهيبة ومأساوية،وكانت بحجم يهز حتى انضج الحركات الثورية واصلبها،فكيف والحزب وحركة الثورة على ذلك الوضع!! لذلك كان متوقعا ــ من الناحية الموضوعية ــ ان تعصف الاحداث بالحزب والثورة العربية عصفا شديدا.

لقد كانت الخيارات كلها عصيبة وخطيرة،ولم يكن هناك سوى شعرة دقيقة،تكاد لا ترى بين الطريق الثوري الصائب،وبين الطريق الذي يؤدي الى كارثة.

وهذه الحقائق لا تعفي الحزب من المسؤولية،فالازمة لم تكن قدرا وقع عليه من عل،، وانما كانت أزمة اشترك في مسؤوليتها حزبنا،وبقية فصائل حركة الثورة العربية.

لقد اخطأ حزبنا الحسابات،وطفا على الموجة السائدة دون تقدير للنتائج وعندما وقعت الاحداث المأساوية الكبيرة،وظهر تماما انها اكبر من قدرته على مواجهتها لم تسد عند جميع اعضاء الحزب،النظرة الثورية الموضوعية التي تحلل الوضع تحليلا سليما،وتحاول،بالسبل الحكيمة،تطويق الازمة وتحديد خط متوازن للحزب،يمكنه من تأدية اكبر قدر من التزاماته

القومية،دون ان ينجرف الى حالة المغامرة.فلقد برزت عند بعض اعضاء الحزب نزعات خطرة،بدت وكأنها تدفع بالحزب وثورته في القطر العراقي الى الانتحار،كعقوبة يوقعانها على نفسيهما لقاء اخطائهما السابقة، وبمستوى قدراتهما التي لم تكن ترقى حينئذ الى مستوى شعاراتهما وطموحاتهما.كما انتشرت في حينه،وعلى نطاق واسع،حالات خطيرة من الانفعال والتشنج، وقصر النظر.

ففي حينه لم يأخذ رفاق كثيرون بألاعتبار،حقيقة ان الوضع كله،الذي وجد الحزب وحركة الثورة العربية نفسيهما فيه،كان وليد المستوى الذي بلغه الحزب كله،وليس ثورته في القطر العراقي فحسب،ووليد المستوى الذي كانت عليه حينئذ حركة الثورة العربية،،وادعوا،دون الاستناد الى اساس موضوعي، انهم اكثر تقدماً من الثورة، واكثر منها حرصا على تأدية اساس موضوع،انهم اكثر تقدما من الثورة،واكثر منها حرصا على تأدية مهمات الحزب القومية والثورية. في ذلك الوقت كان سهلاً تماماً ان تتدفق الكلمات لادعاء مستوى ما في الحزب،أو العملية الثورية .ولكن الثورة في القطر العراقي كانت،عندئذ بحكم طبيعة أي ثورة تتسلم السلطة السايسية مقيدة بالقدرة الموضوعية،التي كانت هي قدرة الفعل المتصل بمعطيات الواقع.

وهذه الظاهرة التي انتشرت،في ذلك الوقت،على نطاق واسع هي من اخطر الظواهر التي يجب ان تتعرض للتحليل والنقد،،لان اية محاولة لا توازن بين القدرة على الكلام،والقدرة على التطبيق،وباسلوب عقلاني ثوري،تتحول الى مزايدة تتنافى مع اخلاقية الحزب ووحدته،،ومع مبدأ المسؤولية المشتركة،كما انها،بالتأكيد،لايمكن ان تشكل خطوة الى امام،وبأي شكل من الاشكال في مسيرة تطور الحزب.

وبرغم كل هذه الظواهر السلبية التي برزت اثناء الازمة وامتدت بعدها ردحا من الزمن، فأن عنصرا ايجابيا بالغ الاهمية اثبت وجوده في ذلك الحين،ثم تأكد،تماما،خلال الفترة اللاحقة،ذلك هو الحرص،بمستوى جيد،على وحدة الحزب. فبرغم كل الاخطاء والسلبيات والتناقضات والمشكلات التي حصلت خلالها وبعدها،وبرغم الكثير من الممارسات التي تتنافى مع تقاليد الحزب،ومع أسسه التنظيمية المشروعة في العمل،فانها لم تؤد ــ كسابقاتها من الازمات التي مرت بالحزب ــ الى انقسام فكري او تنظيمي فيه.

لقد بقي الحزب موحدا،واستطاع،عبر مسيرة السنوات اللاحقة ان يعزز هذه الوحدة،وان يتجاوز الازمة.

واذا كان من اهم اسباب بروز الازمة ان مستوى قدرة الحزب في حينه،لم يكن يرقى الى طموحه وشعاراته،فان المحافظة على وحدة الحزب كانت تعبر عن مستوى متقدم على اوضاع الحزب السابقة،وعلى اوضاع الكثير من فصائل حركة الثورة العربية،التي قلما استطاعت تجاوز أزمات مماثلة،والمحافظة على وحدتها الفكرية والتنظيمية.

ان الحزب كله يتحمل مسؤولية الازمة ونتائجها السلبية،كما ان للحزب كله الفضل في المحافظة على وحدته.

وكان لتطور ثورة الحزب في القطر العراقي،وللانجازات الوطنية والقومية والاجتماعية الثورية التي حققتها في السنوات اللاحقة،دور اساسي في خلق جو الثقة بالنفس في الحزب كله،وفي خلق حالة التفاؤل الثوري،وهما عاملان أساسيان في عملية صيانة وحدة الحزب واستمرارية تطوره.

ــ الفصل الرابع ــ

من ايلول ١٩٧٠ الى تشرين الاول ١٩٧٣

في السنوات الثلاث الواقعة بين احداث ايلول ١٩٧٠،وحرب تشرين الاول ١٩٧٣،حدثت تطورات في الاوضاع العربية والدولية،كان لها تأثيرها المهم على مسيرة الحزب وحركة الثورة العربية،وعلى التطور اللاحق للاوضاع والاحداث في الساحة العربية.

وفيها يلي ابرز العناصر في الاوضاع العربية والدولية في تلك الفترة:

(١) الثورة في القطر العراقي:

خلال السنوات الثلاث،انتقلت ثورة الحزب،في القطر العراقي،الى مواقع متقدمة في كثير من الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية،وشقت طريقها بعزيمة وثبات نحو التطور،كثورة بعثية تعمل بجدارة لتحقيق اهداف الحزب في الوحدة والحرية والاشتراكية،وصارت

التجربة الثورية،في القطر العراقي،تتحول الى قاعدة لحركة الثورة العربية،من خلال كونها نموذجا متقدما فيها،وقاعدة اسناد لها،ومركز اشعاع فيها.

لقد استطاعت الثورة خلال هذه المرحلة ان تنجز عددا من المهام الوطنية الاساسية،وان تحسم الظروف في القطر العراقي لصالحها، فاصبحت تمتلك قدرة اكبر على تحمل وتأدية المهمات والمسؤوليات القومية، كما استطاعت، بانجازاتها التاريخية ان تصبح قوة فاعلة في الاوضاع العربية والدولية،مما انعكس بتأثيراته الايجابية على اوضاع الحزب،وعلى حركة الثورة العربية.

ويمكن تلخيص العناصر المهمة في تطور الثورة،وذات التأثير في الاوضاع العربية والدولية بما يلي:ـ

أ ـ تأميم النفط وبدء مرحلة جديدة في الصراع ضد الاستعمار:

كنا قد اشرنا في فصل سابق الى ان الاهمية الستراتيجية الجديدة للنفط لم تكن،في المرحلة السابقة،شائعة بين الاوساط العربية ولم تكن معروفة،تماما،الا من قبل الاوساط الخاصة في اميركا واوربا الغربية،ففي تلك المرحلة كان يجري حديث،هنا او هناك،عن حاجة اميركا واوربا الغربية الى النفط وعن تأثيره على اوضاعهما الاقتصادية والعسكرية،ولكن لم يكن معروفا ان النفط قد بلغ مستوى خطيرا من التأثير على الوضع الستراتيجي لاميركا واوربا الغربية.

كما كان الكثير من الاوساط العربية والدولية يعتقد،وبرغم ما يطلقه من اقوال وحملات اعلامية،بان هيمنة الاحتكارات الاستعمارية على شتى عمليات النفط استخراجا،ونقلا،وتسويقا،ماتزال على درجة من القوة بحيث لا يمكن تحديها تحديا جذريا، وشاملا،خلال حقبة قصيرة من الزمن.

وقد جاءت خطوة الحزب التاريخية في تأميم النفط في حزيران ١٩٧٢ لتزيل هذه الصورة نهائيا،وتغير في الاوضاع العربية والدولية تغيرا تاريخيا حاسما.

ولقد اثبت الحزب وثورته ان بالامكان تحدي الاحتكارات النفطية تحديا جريئا وحاسما، وتحقيق النجاح في عملية التأميم،،فأزالت الثورة بنجاحها في هذه العملية ما كان يدعى، لسنوات عديدة،بعقدة مصدق.

وقد كشفت عملية التأميم،اكثر من ذي قبل،الحاجة الحقيقية للعالم الغربي الى النفط[1]، تلـــك الحاجة التي تزيد على الانتاج المطروح في السوق برغم ما يتعرض اليه السوق في بعض الاحيان من حالات كساد جزئية او حالات اغراق متعمدة،،وهذه الحقيقة تعني ان بالامكان كسر الاحتكـــار الاستعماري لسوق النفط،وانشاء سوق حرة لهذه السلعة الستراتيجية.

وبعد تأميم النفط في العراق،اصبح بالامكان التعامل بشكل واقعي مع شعار ((استخدام النفـط في المعركة))،وهو شعار اطلقه الحزب،وكانت تعتبره الاوساط الرجعية،وحتـــى بعـض الاوســاط التقدمية العربية والدولية شعارا اقرب الى الخيال منه الى الحقيقة،وفي اثناء حرب تشــرين الاول ١٩٧٣،صار من الممكن ادخال عامل النفط في المعركة،مما كان له اثره البـــالغ فـــي الاوضـــاع والمواقف العربية والدولية .برغم كل المؤامرات والاساليب الاحتيالية التي اتبعتها القوى الرجعيـة في ذلك الوقت.

(ب)الجبهة الوطنية:

وكان لانجاز الجبهة الوطنية اثره المهم على حركة الثورة العربية،صحيح ان هذا الاثــر لــم يبلغ،عند ذاك وفيما بعد،درجة حاسمة،ولكنه اعطى مثلا كانت،وما تزال،حركـــة الثــورة العربيــة بحاجة اليه،كي تتمكن من بلورة صيغة سليمة للتحالف الجبهوي،على صعيــد الاقطــار، او علـــى الصعيد القومي.

وتأتي قيمة الجبهة التي قامت في القطر العراقي بقيادة الحزب في عام ١٩٧٣،وأثرهـــا فـــي حركة الثورة العربية من جانبين اساسيين،اولهما:طبيعة العلاقات السابقة بين الاطراف التقدمية في القطر العراقي،تلك العلاقات التي اتسمت بالخلافـــات العميقـــة والصراعـــات الدمويـــة لســـنوات عديدة،فقيام الجبهة يعني ان بالامكان،فعلا،تجاوز الكثير من الخلافات والتناقضات والصراعات بين القوى التقدمية*،والاتفاق على برنامج للعمل المشترك.

والجانب الاساسي الثاني هو ان الجبهة قامت وقد مضى على تسلم الحزب السلطة في القطـر العراقي خمس سنوات،اجتاز خلالها الكثير من المؤامرات والمخاطر المحدقة به،وحقق منجـــزات وطنية واجتماعية وثورية كبيرة.فالجبهة اذن لم تتم على اساس سلبي،هو توفـــير قـــوى داعمـــة

---

[1] بعد التأميم ضربة الاحتكارات النفطية الاستعمارية حصارا شديدا على تسويق النفط العراقي المؤمم،ولكن الثورة في القطر العراقي،استطاعت ان تسوق النفط المؤمم بكميات اكبر مما كانت تسوقه الشركات الاحتكارية قبل التأميم.

للسلطة معرضة للخطر،وانما قامت لتوفير طاقات اضافية،وخلق اجواء صحية في العلاقة بين القوى التقدمية لانجاز مهمات وطنية وقومية.

ولهذا الجانب تأثيره المهم على مسيرة حركة الثورة العربية.فالكثير من الاطراف التقدمية العربية كان،في السابق،يبحث عن الحلفاء في اوقات الضعف والشدة،ويتخلى عنهم عندما يشعر بالقوة والاطمئنان،وكان هذا النهج القصير النظر يؤدي الى اضعاف حركة الثورة العربية،والحد من قدرتها على انجاز المهام القومية الكبيرة.

(ج) بناء الجيش:

ومن المنجزات المهمة التي لها تأثيرها على الاوضاع العربية اللاحقة وبخاصة اثناء حرب تشرين،نجاح الثورة في القطر العراقي في بناء جيش قوي،وفي توجيهه وفق مبادئ الحزب واهدافه.

ان هذا الانجاز يمثل عنصرا اساسيا،لا في تطور مسيرة الحزب والثورة في القطر العراقي فحسب،وانما في مسيرة حركة الثورة العربية، وفي التجربة الثورية في العالم الثالث. فهذا المستوى الذي بلغة الجيش في العراق سواء الثورية في العالم الثالث .فهذا المستوى الذي بلغة الجيش في العراق سواء من حيث المقدرة القتالية،او من حيث الارتباط بالحزب، والسير وفق مبادئه واهدافه،لم يتوفر في كثير من التجارب الثورية في الوطن العربي وبلدان العالم الثالث،،مما كان له الاثر السلبي البالغ على تطور حركة الثورة وحركة الجماهير، في تلك البلدان.

(د) العلاقات مع الاتحاد السوفيتي والقوى التقدمية العالمية:

خلال هذه الفترة تطورت العلاقات بين الحزب وثورته من جهة،وبين الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية والقوى التقدمية العالمية،من جهة اخرى.

لقد استطاع الحزب ان يكسر طوق العزلة الذي ضرب حوله من هذه الاطراف لسنوات طويلة،كما استطاع ان يزيل الكثير من الالتباسات والاتهامات والمواقف السلبية التي كونتها، حوله وضده،هذه الاطراف في الحقبة السابقة،مما أثر عليه تأثيراً سلبيا .وفي عامي ١٩٧٢،١٩٧٣ من هذه المرحلة صار للحزب علاقات وثيقة ومتطورة مع كل البلدان الاشتراكية،واغلب القوى التقدمية العالمية،واصبحت بغداد مركزا للنشاط الثوري والتقدمي العالمي.

وفي ٩ نيسان ١٩٧٢ تم عقد معاهدة الصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفييتي،، وهذه المعاهدة ومجمل العلاقات بين العراق والاتحاد السوفييتي، التي تكونت في تلك المرحلة وفي المرحلة اللاحقة،ليست مهمة من خلال منظور العلاقات الثنائية فحسب،وانما هي ذات تأثير مهم في الاوضاع العربية،كما تشكل عنصرا مهما من عناصر الوضع العربي.

لقد استطاع الحزب وثورته في القطر العراقي ان يقيما علاقات تعاون وثيقة مع الاتحاد السوفييتي،وان يحافظا،في الوقت نفسه،وبحرص مبدئي وعملي عال،على استقلاليتهما وخطهما المتميز في حركة الثورة العربية، وفي المحيط الدولي.وان هذا الانجاز يعطي المثل الصالح لحركة الثورة العربية في كيفية التعامل مع القوة دولية تقدمية كبرى،دون الاخلال بالموقف المبدئي لحركة الثورة العربية وخطها المستقل والمتميز،ومهامها القومية،فحركة الثورة العربية لم تشهد من قبل هذا النموذج المتكامل من العلاقة مع الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية،،مما كان ينعكس بتأثيرات سلبية على تطورها،ويعقد علاقاتها وصورتها مع هذه البلدان حينا،ومع الاطراف الدولية الاخرى حينا آخر.

(٢)الاوضاع في مصر:

اذا كانت المرحلة الواقعة بين ايلول ١٩٧٠ وتشرين الاول ١٩٧٣ قد سجلت نهوضا في المستوى الثوري في القطر العراقي،وارتفاعا في مكانه وتأثير الحزب والثورة العربية،فان الاوضاع في مناطق اخرى من الوطن العربي،كانت تتجه اتجاها معاكسا.وقد تجلى ذلك، بصورة خاصة،في مصر التي تحتل دورا مهما في الاوضاع العربية.

ففي ايلول ١٩٧٠ غابت في مصر عبد الناصر التي كانت،لفترة طويلة من الزمن، عنصرا مهما في الاوضاع والاحداث في مصر،في الساحة العربية.

وبرغم مضي ١٨ عاما على ثورة ٢٣ تموز عند وفاة عبد الناصر وما حققته من منجزات كبيرة على صعيد التحولات الاجتماعية،وفي تحرير مصر من السيطرة الاجنبية،وعلى الصعيد الوطن العربي والعلاقات الدولية،فان خط الثورة،في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية،لم يكن قد بلغ مدى عميقا جدا وثابتا،ولم يكن هناك

تنظيم شعبي حقيقي قادر على حماية التحولات التقدمية ومواصلة تطورها،،كما لم يكن قد تم تأثير نهج منسجم وثابت،في العلاقات العربية والدولية.

لذلك ما ان غاب عبد الناصر،الذي كان يمسك بيديه شخصيا،بعصا الموازن حتى اختلت تلك الموازنة،وبدات مصر تنحدر تدريجيا الى الوراء فالزعامة الجديدة صارت تختار الحلقات الضعيفة من سياسات عبد الناصر ومواقفه وتركز عليها،سواء على الصعيد الداخلي، بكل جوانبه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية،او على صعيد العلاقات العربية والدولية،وتوجيه دفة الصراع العربي ـ الصهيوني.ثم صارت هذه الزعامة طليقة اليد اكثر في تسريع الاتجاهات اليمينية في الداخل،واتجاهات التعاون مع الرجعية العربية والدول الاستعمارية على الصعيد الخارجي،وتكريس تلك الاتجاهات في السياسة المصرية،بعد تصفية اركان النظام الناصري من السلطة في ايار ١٩٧١.

وفي منتصف عام١٩٧٢،تدهورت العلاقات بين النظام المصري والاتحاد السوفييتي، وانفك عمليا التحالف المصري ـ السوفييتي الوثيق،الذي كانت له آثاره الإيجابية،بصورة عامة، على التطور التقدمي في مصر والمنطقة العربية،وعلى الصراع العربي ـ الصهيوني.

(٣)الاوضاع في سورية:

كان النظام السوري،منذ ردة ٢٣ شباط،يعاني من تناقص خطير.فهذا النظام كان نظاما عسكريا وعشائريا،ضرب الحزب ومبادئه الاساسية وتقاليده الديمقراطية الثورية،واشاع ما يسمى بمنظمة الحزب التابعة له،وفي الدولة السورية،العلاقات العشائرية والطائفية،وعلاقات الافساد اللااخلاقية والارهاب،ولكنه،كي يبرر ويغطي خيانته للحزب ومبادئه في الوحدة والحرية والاشتراكية،وكي يتمكن من ضرب الحزب والحركة الشعبية ويكسب تأييداً دولياً يسنده في صراعه مع الحزب كان مضطرا عند قيام الردة الى اتخاذ مواقف اعلامية يسارية متطرفة،ومعادية شكليا للاستعمار والصهيونية والرجعية.

ومع مرور الزمن لم تكن تلك المواقف بدون ثمن،،فبحكم حاجة النظام المرتد الملحة ليها،كان مضطرا الى القيام بمناورات ومظاهرات واجراءات تبدو وكأنها منسجمة مع مواقفه تلك.

ولما كان النظام السوري قد اندفع اندفاعا مشبوها الى تأجيج نار الحرب في عام ١٩٦٧،فان هزيمته المخزية فيها اصابته بضعف كبير.وكي يتلافى هذا الضعف وما يثير حول دوره المشبوه في الهزيمة من شكوك،،كان مضطرا الى تشديد الارهاب على الحزب والحركة الجماهيرية ومواصلة مواقفه المزورة،باتخاذ مواقف اعلامية متطرفة،،فقد رفض قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢،وأنشأ منظمة فلسطينية تابعا له،وسعى الى التغلغل في اوساط المقاومة الفلسطينية والتأثير فيها،،وواصل محاولاته لاقامة علاقات واسعة مع البلدان والحركات الاشتراكية والتقدمية العالمية.وبعد قيام ثورة الحزب في العراق وشعوره بالخطر الشديد منها،وجد نفسه مضطرا،اكثر من السابق،لاتباع مثل هذا النهج،لتغطية حقيقة اوضاعه المنحرفة،واتجاهاته المتآمرة الخبيثة.

وعندما انفجرت احداث ايلول،وجدت اوساط من النظام المرتد نفسها مضطر الى الاندفاع للتظاهر بحماية المقاومة الفلسطينية،فارسلت بعض القوات العسكرية الى الاردن، ولكن النظام السوري ما لبث ان انصاع للتحذيرات الاميركية وسحب قواته.

ان هذا التناقض بين طبيعة النظام السوري وحقيقة اتجاهاته من جهة،وبين مواقفه الاعلامية العلنية من الجهة الاخرى،كان مطلوبا منه ومن اوساط عربية ودولية عديدة،لمواجهة الحزب وثورته في القطر العراقي .وفي الفترة اللاحقة للهزيمة،وحتى قبول عبد الناصر بمشروع روجرز،لم يكن هذا التناقض ضارا بالمخططات الاستعمارية والرجعية في المنطقة،بل كان ــ من بعض الجوانب ــ مفيدا لها .ولكن بعد اعلان مشروع روجرز،وقبول عبد الناصر به واتجاه اميركا وحلفائها في المنطقة نحو ترتيب جديد للاوضاع ولموازين القوى فيها،كما عبر عن ذلك،بصورة سافرة،اقدام النظام الاردني على المجزرة الوحشية في ايلول،،لم تعد صيغة النظام السوري القائمة عند ذاك ملائمة،وكان من مصلحة ومتطلبات الستراتيجية الاستعمارية والرجعية العربية ان توجد في سورية صيغة جديدة.

وكان النظام الذي قام في ٢٣شباط قد بلغ مرحلة الازمة الخانقة داخليا،،فلقد ازدادت عزلته عن الجماهير،وانكشف الكثير من اكاذيبه وادعاءاته وازدادت

حدة ارهابه للحزب والحركة الشعبية،وتدهورت اوضاعه الاقتصادية،وتفاقمت الازمات بين اركان النظام.وفي ظل هذه الظروف والاسباب حصل انقلاب حافظ اسد،في تشرين الثاني ١٩٧٠ الذي لم يطلق فيه رصاصة واحدة وتسلم السلطة،ووضع رموز الصيغة السابقة في السجون.

ان ورقة النظام السوري المزدوجة لم تسقط ضرورتها الذاتية لاستمرار النظام،كما لم تسقط ايضا بالنسبة لاعتبارات الستراتيجية الاستعمارية والرجعية في المنطقة،ولكن كما ذكرنا،كان لابد من ايجاد صيغة جديدة لها تتناسب مع الظروف الجديدة لتلك الستراتيجية، كما كان مطلوباً ادارتها ادارة تتلاءم مع الظروف الجديدة في المنطقة.

لذلك فان النظام المرتد،بعد انقلاب تشرين الثاني ١٩٧٠،لم يسقط،نهائيا، الوجه التقدمي من تلك الورقة،مع مضيه الثابت نحو اجراء تحولات يمينية واسعة في الداخل،واقامة علاقات وثيقة مع النظام المصري والرجعية العربية،وفي مقدمتها السعودية التي كانت تقوم بدور الوكيل النشيط للاستعمار الجديد في المنطقة العربية.

ومن الجدير بالانتباه ان هذه التطورات في سورية قد رافقت التطورات التي اشرنا اليها في مصر،وسارت جميعها في اتجاه مركزي واحد من حيث النتيجة وان اختلفت الاساليب والاشكال،بحكم اختلاف الظروف وموازين القوى في كلا القطرين،والادوار المطلوبة من كلا النظامين،بالنسبة للستراتيجية الاستعمارية والرجعية في المنطقة.

ان الاوساط العربية التقدمية،وبخاصة منظمات المقاومة الفلسطينية والاوساط التقدمية الدولية وفي مقدمتها الاتحاد السوفييتي،تعاملت مع النظام السوري تعاملا غير مبدئي،وقائم على التقديرات والاعتبارات المصلحية والسطحية متجاهلا حقيقته كنظام مرتد.بل ان الاتحاد السوفييتي وكتلته أبدوا ارتياحا اكثر للنظام السوري بعد انقلاب تشرين الثاني ١٩٧٠،لان النظام المذكور صار يتجه نحو خط التسوية بوضوح اكثر،كما انه صار يتبع تكتيكات ترضي الاتحاد السوفييتي،،مثل اعلان جبهة شكلية مع الحزب الشيوعي السوري،وجهات اخرى واشراك ممثلين رسميين عن الحزب الشيوعي في الوزارة.

ان اساليب نظام الردة في سورية،التي اتسمت بالتكتيك والدهاء،قد انطلت حتى على بعض الاوساط في حزبنا،التي توهمت امكانية عودة قيادته عن نهج الردة الى حظيرة الحزب،وامكانية تعاونه مع سلطة الحزب في العراق،او حتى اتجاهه الى اقامة الوحدة بين العراق وسورية.

وكانت كل هذه التقديرات والاوهام،حول طبيعة هذا النظام،وحقيقة اتجاهاته،تزيد من فرصة في تنفيذ مخططاته التآمرية الخبيثة،ضد الحزب وحركة الثورة العربية.

(٤)الاوضاع في الاقطار الاخرى التي كانت محسوبة على الصف التقدمي العربي:

باستثناء الثورة في القطر العراقي وما كانت تعبر عنه من مواقف جذرية تجاه الاوضاع العربية السائدة والسياسات التي ينتهجها النظامان المصري والسوري،فان الانظمة في الاقطار العربية المحسوبة على الصف التقدمي،كانت في الواقع تلتقي بنسبة ملموسة مع الاتجاهات الاساسية للنظامين المصري والسوري،وحتى عندما كانت تختلف معها اختلافاً نسبياً فأنها بصورة عامة لم تقم بدور فعال ومتواصل لمقاومة تلك الاتجاهات واضعافها،وبما يؤدي الى تعزيز الاتجاهات الاكثر جذرية في حركة الثورة العربية،وتعويق مسيرة الردة التي كانت تتضح معالمها في الافق،من خلال اتجاهات النظامين المصري والسوري.

(٥) اوضاع الحركة الشعبية العربية:

باحداث ايلول ١٩٧٠ اصيبت الحركة الشعبية العربية،وبخاصة منظمات المقاومة الفلسطينية،بضربة شديدة،وخسرت اهم ساحاتها لمواجهة العدو الصهيوني باساليب الكفاح المسلح.

ان اخراج منظمات المقاومة الفلسطينية بالقوة من الساحة الاردنية واغلاق الساحة السورية بوجهها،قد ادى،اضافة الى عوامل ذاتية اخرى تتصل بمستوى تفكير وتخطيط قياداتها وبأهدافها اللاحقة الى نزوح الثقل الاكبر مما تبقى من المنظمات الى لبنان الذي كان فيه،حتى ذلك الوقت،ثقل محدود للمقاومة،وفيه ايضا كثافة سكانية فلسطينية كبيرة،قياسا الى حجم لبنان السكاني والجغرافي .

وكما كانت المقاومة الفلسطينية تستقطب اهتمام وتأيد ونشاط فصائل حركة الثورة العربية،والجماهير العربية،والقوى التقدمية والجماهير المحلية،عندما كانت في الساحة الاردنية،فان هذا الاستقطاب،بكل عناصره هذه انتقل مع انتقالها الى الساحة اللبنانية.

وقد اصبح هذا الاستقطاب اكثر اتساعا وبروزا،بحكم ظروف القطر اللبناني،،ففي لبنان توجد ظروف ليبرالية نسبيا،تسمح بالنشاط والتعبير، اكثر مما كان عليه الحال في الاردن، وفي أي قطر عربي آخر.

وقد وجدت القوى الوطنية اللبنانية،التي كانت تعاني في السابق من الضعف،في المقاومة الفلسطينية ظهيرا ومحفزا لها في نشاطها السياسي،فالتفت حولها،وتشابكت صلاتها بها بصورة اوسع واعمق مما كان عليه الحال في الاردن. وقد انخرط في العمل الفدائي، باشكال مختلفة،اعداد متعاظمة من منتسبي القوى التقدمية اللبنانية،ومن الاحزاب والحركات السياسية العربية،التي لها صلات فكرية،او تنظيمية،او سياسية،بالقوى التقدمية اللبنانية،كما انخرط في صفوف المقاومة اعداد متزايدة من الجماهير اللبنانية.

وقد بدا للكثيرين ان الحركة الشعبية العربية ومنها المقاومة الفلسطينية،التي اتخذت،هذه المرة،من الساحة اللبنانية مسرحا لنشاطها الفكري والسياسي والعسكري،قد استعادت قوتها السابقة التي كانت تمتلكها في الساحة الاردنية او تجاوزتها،وسادت من جديد الاتجاهات والتقديرات الفكرية والسياسية،التي كانت تطبع الحركة الشعبية العربية والتي اشرنا اليها في فصل سابق.

وفي الواقع،ان هذه الحركة لم تبلغ القوة التي توقعتها تلك التقديرات،كما لم تتطور نوعيا بدرجة عالية بعد انتقالها الى الساحة البنانية.ان اطراف هذه الحركة ومنظمات المقاومة الفلسطينية وبخاصة منظمة (فتح)،لم تسع الى دراسة تجربة المرحلة السابقة دراسة موضوعية جادة،لاستخلاص الدروس منها،وتأشير ستراتيجية وتكتيك اسلم للمرحلة اللاحقة،،وبقيت،كما كان عليه حالها في الساحة الاردنية،تتعامل مع الاحداث يوميا بيوم، وتطفو على سطح الموجات السائدة،،ولم تتجه الى ايجاد قواعد ستراتيجية ثابتة ومتينة في التعامل مع الحركة الوطنية اللبنانية ومع القوى التقدمية العربية.كما لم تبذل الجهد المطلوب لايجاد صيغ متوازنة من العمل والنشاط تتجنب من خلالها استفزاز السلطة اللبنانية والمتأثرين بالمنطق الرجعي الانعزالي.

وبرغم ان الجميع كانوا يتحدثون عن ضرورة وحدة فصائل المقاومة الفلسطينية،فان وحدة حقيقية لم تتم،لقد تحققت اشكال من التعاون والتنسيق،افضل مما كان عليه الحال في الساحة الاردنية،ولكنها كانت دون المطلوب بكثير،،ولم تحل دون بروز وانفجار الخلافات والتناقضات والصراعات،بشتى الاشكال والمستويات.

اما على مستوى الحركة الحرك الشعبية العربية،فان ما تحقق من اشكال التعاون والتنسيق،كان ضعيفا،ودون مستوى الاحداث بفارق شاسع.لقد قامت الجبهة العربية المشاركة في

الثورة الفلسطينية في تشرين الثاني ١٩٧٢،من تجمع لعدد من الاحزاب والقوى السياسية العربية،ومنظمات المقاومة الفلسطينية،،ولكن هذه الجبهة لم تتطور باتجاه جبهة شعبية عربية قوية وقادرة على حشد الجماهير،والقوى الثورية العربية في الخط نضالي واحد،حتى ولو كان عريضا،،كما انها لم تساعد منظمات المقاومة الفلسطينية كثيرا على الاتحاد.

ان القوى الحزبية الاساسية،التي كانت مشاركة في الجبهة،كانت مرتبطة بانظمة عربية،لم يكن بينها الحد المطلوب من التعاون والانسجام.مما أثر تأثيرا سلبيا بالغا على فعالية الجبهة وقدرتها على التطور،ومن الناحية الاخرى فان القاعدة التي استندت اليها الجبهة هي القوى التقديمية اللبنانية وزعامتها،،التي لم تكن متحدة او منسجمة سياسيا،وكان بعضها مرتبطا،هو الآخر بهذا الشكل او ذاك،بالانظمة والقوى العربية والدولية،،ولم يكن باستطاعة القوى التقدمية اللبنانية وزعامتها ان توفر قاعدة صلبة،وزعامة مقبولة لحركة الثورة العربية.

ان التقدير العام لقوة الحركة الشعبية العربية،ولمنظمات المقاومة الفلسطينية كان يشير، برغم الضجيج الاعلامي والسياسي،الى قدر من الانحدار في التأثير في الاوضاع والاحداث العربية،، وكانت الانظمة العربية بالحسابات النهائية،اكثر تأثيرا في الاوضاع والاحداث العربية من الحركة الشعبية،وازداد تغلغلها وتأثيرها في صفوف المقاومة الفلسطينية،كما ازداد تغلغل وتأثير الاوساط الدولية فيها.

لقد كان واضحا،منذ البداية،ان القوى التقليدية اللبنانية،وبخاصة القيادات الطائفية منها في الجانب الانعزالي ــ اليميني،عازمة على ضرب المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية،، وقد حاولت السلطة اللبنانية التي تقودها هذه الاطراف ان تصطدم بالمقاومة الفلسطينية اصطداما مسلحا عدة مرات في الاعوام ١٩٦٩،و١٩٧٠،غير ان تلك المواجهات اثبتت ان تلك الاطراف من السلطة اللبنانية لم تكن تمتلك القوة العسكرية والسياسية الكافية لتصفية المقاومة،ومن الناحية الاخرى،فان الظروف العربية والدولية،وهي عامل مهم جدا بالنسبة لهذه القضية لم تكن مواتية لها،،فالنظامان المصري والسوري لم يجدا في ذلك الوقت مصلحة بينة لهما في تصفية المقاومة الفلسطينية،بالشكل الذي كانت تريده الزعامات اللبنانية المذكورة. لقد كان النظامان المصري والسوري يسعيان ــ في ذلك الوقت ــ الى تجميع العناصر اللازمة للوصول الى التسوية،،وكانت التسوية في ذلك الوقت بعيدة،،ولم تكن احتمالات الحرب،كما تأكد ذلك فيما بعد،قد اسقطت نهائيا،لذلك كانت مصالحهما،ومعهما الانظمة الرجعية العربية،تتطلب ــ في تلك المرحلة ــ موازنة

دقيقة بين استمرار وجود المقاومة،كعنصر مطلوب من عناصر الموقف ــ بشتى احتمالاته ــ وبين منع ازدياد قوتها وتأثيرها،ومنع التحامها الوثيق والواسع مع الحركة الشعبية العربية.

لذلك فان النظامين المصري والسوري،ومعهما بعض الانظمة العربية المتحالفة معهما،لم تكن تشجع القيادات اللبناني المذكورة للمضي في مغامرتها الى النهاية.

وقد ادى هذا الوضع الى زيادة تأثير النظامين المصري والسوري،وبقية الانظمة الرجعية على المقاومة الفلسطينية،والى زيادة قدرتها على احتوائها وابتزازها.

(٤) تطورات الصراع العربي ــ الصهيوني:

في هذه المرحلة بدأت مسيرة الصراع العربي ــ الصهيوني تتخذ اشكالا جديدة.

لقد قبلت مصر بمشروع روجرز،وقبلت به الاردن،وكان النظام السوري موقفا عليه ضمنيا، وساندت ذلك كل القوى الرجعية العربية.

وقد ادى القبول بمشروع روجرز الى سكون الجبهة المصرية،وكانت الجبهة السورية ساكنة بالاساس،وبعد احداث ايلول،واخراج المقاومة من الاردن بالقوة،سكنت الجبهة الاردنية ايضا،فتوقف عمليا الصدام المسلح مع العدو،على صعيد الانظمة والجيوش النظامية، وتضاءت الفرص الجغرافية أمام العمل الفدائي،الذي لم يبق امامه غير جنوب لبنان،يمارس منه غارات ضد العدو الصهيوني،وأن كانت هذه الغارات محدودة العدد والجدوى ــ خصوصا بعد ان ضيقت السلطة اللبنانية على اجتيازه الحدود وقيامه بمثل هذه الغارات ــ وفرص محدودة جدا،وفي ظروف السرية من الجبهات الاخرى.

غير ان مشروع روجرز لم يجد طريقه الى التطبيق ،ولم تحقق الانظمة المعنية اية خطوة على طريق التسوية برغم تهالكها عليها.فاميركا والكيان الصهيوني لم يجد،في ذلك الوقت،ما يدفعهما الى بذل جهود حثيثة جادة لانجاز التسوية.

وقد وجد النظامان المصري والسوري نفسيهما في مأزق شديد،،فهما قد اوقفا القتال على الجبهات،وحددا فرص العمل الفدائي،ولم يتقدما خطوة ملموسة على طريق التسوية.

في هذه الظروف سعى النظامان المصري والسوري اللذان توثقت علاقتهما،وتنسقت خطوتهما، الى حد كبير،الى سلسلة من المناورات والتظاهرات السياسية،بقصد ايهام الجماهير

بانهما يعدان العدة للتحرير،،وقد اقام النظامان المذكوران مع النظام الليبي في ايلول ١٩٧١ اتحادا شكليا،سمي بـ(اتحاد الجمهوريات العربية)،وحاولوا اظهاره بمظهر الخطوة التي تمهد للتحرير.

ولفترة غير قصيرة انشغل النظام المصري بمشاكله الداخليـــة،وبعلاقاتـــه المضطربـــة مـــع ليبيا،،وكانت هذه القضايا تحتل اهتماما واسعا من الاوساط السايسية والاعلامية،وتشغل الجمـــاهير عن قضايا المعركة.

وفي آذار ١٩٧٢ اعلن الملك حسين مشروعه المعروف بـــــ(مشـــروع المملكـــة العربيـــة المتحدة)،، وكان واضحا من هذا المشروع انه يستهدف تصفيـــة القضيـــة الفلســـطينية تصفيـــة نهائية، لانه يحصر القضية الفلسطينية في اطار الضفة الغربية،التي احتلت بعد حزيـــران ١٩٦٧، وما يعنيه ذلك من تخل عن كل فلسطين،واعادة هذه الضفة الى سلطته باطار جديد.

وبرغم خطورة هذا المشروع على القضية الفلسطينية فانه لم يقـــابل،مـــن اوســـاط عربيـــة عديدة،برد الفعل المطلوب.

بعد اعلان ذلك المشروع الخطير،قررت قيادة الحزب والثورة القيـــام بمبـــادرة ذات طبيعـــة حاسمة، لقد قررت،واعلنت ذلك للجماهير،مفاتحة مصر وسورية لاقامة وحدة بين الاقطار الثلاثـــة، العراق،سورية،مصر،تستند على برنامج كفاحي سياسي، واقتصادي، وعســـكري طويـــل الامـــد، وتستهدف تحقيق التحرير الكامل ضمن ستراتيجية مرسومة ومتفق عليها،لا تنفي امكانية اللجـــوء من جانب الاقطار الثلاثة، او بعضها، الى سياسات مرحلية وتكتيكات معينة، قد تفرضها الظـــروف الموضوعية، والاوضاع الدولية،ولكن بشرط ان تكون تلك السياسات المرحلية والتكتيكات جزء من الستراتيجية الاساسية،وغير منفصلة عنها،وغير متناقضة معها.

وقد ارسلت قيادة الحزب وفدا برئاسة الرفيق صدام حسين الى دمشق والقاهرة،لبحـــث هـــذه المبادرة مع النظامين السوري والمصري.

طرح وفد الحزب على قادة النظام السوري هذه المبادرة،كما عرض عليـــــهم قـــرار القيـــادة باستعداد العراق،في حالة عدم الموافقة على الوحدة،لاقامة أي مستوى مـــن التعـــاون السياســـي والعسكري والاقتصادي،بشرط ان يستند الى الاسس المشار اليها،كما طرح عليهم برنامجا اعدتـــه القيادة لوحدة الحزب[1] .

---

[1] لقد كان برنامج وحدة الحزب الذي اقرته القيادة،وطرحه وفد الحزب على قيادة النظام السوري برنامجـــا مبدئيا مرنا،في الوقت نفسه،فقد استند على طي صفحة ٢٣ شباط والاحداث التي تلتـــها،وعلـــى اعتبـــار ›

غير ان النظام السوري اتخذ من البرنامج الذي طرحه عليه وفد الحزب موقفا مراوغا،وركز على المشكلات والقضايا الثانوية،سواء على صعيد وحدة الحزب،او وحدة القطرين،وفي نهاية المباحثات اشار الى انه لا يستطيع ان يبت بالبرنامج،قبل التشاور مع النظامين المصري والليبي،ودعا العراق الى الانضمام الى اتحاد الجمهوريات العربية،من دون أي تغيير في محتواه،ومن دون تحديد واضح لموقعه ومهماته في النضال من اجل التحرير.

وقد اتخذت القيادة المصرية،من مبادرة الحزب والثورة،موقفا مشابهاً،واكدت بصورة واضحة ان نهج التسوية بالنسبة اليها ليس منهجا تكتيكيا تفرضه ظروف المرحلة وامكاناتها، وانما هو منهج ثابت، وانها مستعدة،في حالة الوصول الى التسوية،للاعتراف بالكيان الصهيوني.

ان وقوف النظامين السوري والمصري هذا الموقف من مبادرة الحزب والثورة في القطر العراقي،كان يعني،بكل وضوح،اصرارهما على السير في اقامة نهج التسوية وانهاء الامال التي كانت تسود في ذلك الوقت،حول امكانية اقامة جبهة عربية قوية،تواصل النضال من اجل التحرير،،وكان لذلك تأثيره الحاسم على ستراتيجية الصراع العربي ـ الصهيوني، فلقد كان نقطة افتراض حقيقته،بين قوى الثورة العربية المناضلة من اجل التحرير الكامل،وبين النظامين السوري و المصري وحلفائهما،الذين يسعون الى تسوية تستند الى الاعتراف بالكيان الصهيوني.

غير ان هذه الحقيقة الجوهرية لم تفهم،على وجه صحيح ودقيق من جانب الكثير من الفصائل التقدمية العربية،ومنظمات المقاومة الفلسطينية التي كانت تفتقر الى الرؤية الواضحة،وتتأثر كثيرا بتكتيكات انظمة التسوية واعلامها المضلل،والتي سعت بكل الوسائل، والمباشرة وغير المباشرة،الى التعتيم على مبادرة الحزب،والتقليل من اهميتها،وتشويه مقاصدها، او تشويه طبيعة المحادثات.

‹المؤتمر القومي الثامن آخر مؤتمر شرعي للحزب،كما استند على تشكيل قيادة مؤقتة للحزب،من القيادة القطرية في العراق والقيادة القطرية في سورية،تقوم بالاشراف على توحيد منظمات الحزب كافة،وتجرى انتخابات جديدة فيها،ويجري انتخاب مؤتمر تحضره كافة القيادات المنتخبة سابقا،من مؤسساتها قبل وحدة الحزب .ويقوم المؤتمر القومي ـ عندئذ ـ بتقييم ما يرى ضرورة لتقييمه من اوضاع الحزب،ويضع برنامجا جديدا للمرحلة المقبلة،وينتخب قيادة قومية جديدة،وبذلك يتم توحيد الحزب نهائيا،كما يتم توحيد القطرين العراقي والسوري.

اما الاوضاع والمواقف الدولية،من خلال صلتها بالصراع العربي ـ الصهيوني،فقد حدثت فيها تطورات مهمة.

فاقدام النظام المصري في تموز عام ١٩٧٢ على فك علاقات مصر الوثيقة بالاتحاد السوفييتي، اضعف موقف الاتحاد السوفييتي، ومواقفه في المنطقة العربية، وتغيرت موازين القوى بينه وبين اميركا فيها لصالح الاخيرة،وقد اتسمت تلك المرحلة باتساع الحملات على الاتحاد السوفييتي، من جانب الاوساط الحكومية والاعلامية المصرية ومن جانب بعض الانظمة المحسوبة آنذاك،على الصف التقدمي.

اما النظام السوري،فانه،برغم احتفاظه بعلاقته مع الاتحاد السوفييتي،كان يقيم أوثق الصلات مع الاطراف التي تشن الحملات عليه،مما يؤكد تواطؤه معها في هذا الخط.

اما الولايات المتحدة،،وبعد قبول الانظمة العربية بمشروع روجرز وتوقف المجابهة العسكرية على الجبهات الثلاث،واضعاف المقاومة الفلسطينية،فانها تواصل اهتمامها باجراء التسوية.لقد كان همها في ذلك الوقت بقاء الجبهات العربية ساكنة،ودفع النظامين المصري والسوري باتجاه المواقع والمواقف اليمينية،على الصعيد الداخلي،وتقوية علاقاتهما بالانظمة الرجعية، وبخاصة السعودية،وزيادة اعتمادهما عليها،،كما كان همها الاساس ضمان تدفق النفط من المنطقة العربية باسعار وكميات مناسبة.

وفي الوقت نفسه كان الاستعمار الجديد يسعى،بنشاط،الى التآمر على النظام الثوري في العراق،من خلال مساعدة زمرة ملا مصطفى الرجعية العميلة،والى عزله وتقليل تأثيره في منطقة الخليج العربي وفي باقي المواقع في الساحة العربية.

وكانت خلاصة الموقف الاميركي هي محاولة ترتيب الاوضاع في المنطقة العربية لصالحها،ولصالح حلفائها الرجعيين،وتجميد الصراع العربي ـ الصهيوني،مما يعني ابقاء احتلال الكيان الصهيوني للاراضي العربية،واستمراره كأكبر قوة عسكرية في المنطقة.وفي ذلك الوقت كانت الولايات المتحدة غارقة في مشاكلها في فيتنام،وفي محاولة ترتيب علاقاتها مع الصين والاتحاد السوفييتي.

لم تكن الظروف تسمح للنظامين المصري والسوري،عندئذ، باقامة علاقات مباشرة وعلنية مع اميركا،،وكتمهيد لهذه العلاقة التي برزت في المرحلة ما بعد حرب تشرين،نشط هذان النظامان

نشاطا واسع النطاق،لتوثيق علاقاتهما مع بلدان اوربا الغربية،سواء منها ذات الاتجاهات المستقلة،او تلك التي لها علاقات وثيقة جدا بأمريكا.

وبالمقابل فان بلدان اوربا الغربية هذه زادت من اهتمامها بالصراع العربي ــ الصهيوني،وبما يسمى بمشكلة الشرق الاوسط،وصارت تتودد الى النظامين المصري والسوري،وتسعى الى تحسين مواقفها السابقة تجاه البلدان العربية وتأدية ادوارها في عملية التسوية في المنطقة العربية.

وفي تلك الفترة ايضا زادت،نسبيا،مبادرة التأييد من جانب بلدان العالم الثالث للقضية العربية،وفي اطار مفهوم التسوية السلمية،،فقد شهدت المحافل الدولية الكثير من الاجتماعات والقرارات التي تدين الكيان الصهيوني لاستمراره في احتلال الاراضي العربية،وتساند النظام المصري في مواقفه في تلك المحافل.

***

في عام ١٩٧١ تحدث النظام المصري،بصوت عال،عن المعركة مع العدو،واعطى وعودا لم يتمكن من تنفيذها،مما انعكس عليه بالضعف،واصبح موضع سخرية في الداخل والخارج.

وفي عام ١٩٧٣ بدأ النظامان المصري والسوري يكرران الحديث بلغة الحرب،،وكثرت مبادرات التنسيق السياسية والعسكرية فيما بينهما من جهة،وبينهما وبين الانظمة الرجعية وفي مقدمتها السعودية،من الجهة الاخرى.

وقد تعامل الكثير من الاوساط العربية والدولية مع هذه الظواهر بعدم الجدية، وواعتبروها استمرارا لما كان يقوله النظام المصري في عام ١٩٧١،والذي تحول الى اضحوكة.

غير ان قيادة الحزب كانت تراقب الاوضاع والتطورات بدقة،وقد اكتشفت،في وقت مبكر،ان النظامين المصري والسوري،انما يعدان العدة لشكل من اشكال الصدام العسكري المحدود مع العدو،هدفه تحريك الموقف الجامد في المنطقة،وتحفيز اهتمام القوى الدولية بما يسمى بأزمة الشرق الاوسط، وانعاش محاولات التسوية،ولم تستبعد القيادة وجود شكل من اشكال التنسيق في ذلك مع اميركا،بصورة مباشرة،او غير مباشرة.

وقد وردت هذه التوقعات في تقرير خاص اعدته القيادة القطرية للحزب في القطر العراقي، بتاريخ تشرين الثاني ١٩٧٢ وصادقت عليه القيادة القومية ونشر فيما بعد بكراس عنوانه(كيف نواجه مؤمرات الامبريالية والثورة المضادة)،كما نشرت على اساس ذلك التقرير ــ سلسلة مقالات في جريدة الحزب اليومية(الثورة)تحت عنوان،، ((المنطقة ماذا،والى اين)).

ـ الفصل الخامس ـ
حرب تشرين الاول/١٩٧٣
وتطورات الصراع العربي ـ الصهيوني

ان حرب تشرين الاول ١٩٧٣ من اكبر واهم احداث الوطن العربي،في العصر الحديث، وفي الصراع العربي ـ الصهيوني الطويل.وكان للحرب تأثيرات بالغة الاهمية،وفي الجوانب السايسية،والعسكرية،والاقتصادية والنفسية في الوطن العربي،كما كان لها آثارها الدولية البارزة.

في المرحلة التي سبقت حرب تشرين،كان النظامان المصري والسوري يعانيان من ازمة شديدة، بسبب ركود الاوضاع المحيطة بالتسوية،والتي سميت آنذاك بحالة (اللاسلم واللاحرب)، وكان مصيرهما،بسبب ذلك معلقا على كف القدر،ولم يكن امامهما، وامام حلفائهما في المنطقة،وفي مقدمتهم السعودية،سوى خيارين:فأما الاستسلام والعجز الكامل عن تحريك الموقف،باتجاه التحرير الجزئي، او باتجاه التسوية. وهذا يعني حتما تعرضهم للسقوط،، واما السعي الى تحريك الموقف بصدمة عسكرية محدودة لدفع عجلة التسوية الواقفة،، وهذا الخيار كان ينسجم تماما مع طبيعتهم واتجاهاتهم الاساسية،، وهو ما توقعته قيادة الحزب في وقت مبكر،كما اشرنا في الفصل السابق.

ان النهج المركزي للنظامين المصري والسوري،وحلفائهما في الصراع العربي ـ الصهيوني هو نهج التسوية المبنية على اساس القرار ٢٤٢،وما كان يسمى حينئذ بـ(ازالة آثار العدوان)، وكما ذكرنا في الفصول السابقة،،فان فرص الحل السلمي التي كان يمكن ان يقبل بها النظامان المصري والسوري وحلفاؤهما في ذلك الوقت،من دون ان يجابهوا بمعارضة شعبية عارمة قد تؤدي الى سقوطهم،كانت معدومة تماما.فالعدو الصهيوني الذي كان منتشيا بانتصاره في ٥ حزيران ١٩٦٧،والذي يشعر بانه قوة كبرى في المنطقة،لايمكن لانظمة الهزيمة تحديها،لم يكن مستعدا ـ باي شكل من الاشكال ـ للدخول في تسوية تؤدي الى انسحابه من الاراضي التي احتلها. وكانت آراؤه ومشاريعه حول التسوية غير ممكنة القبول،من جانب الانظمة.وفي تلك

الظروف،وبحكم انشغال اميركا في الحرب الفيتنامية، وبـــترتيب علاقاتـــها بالاتحــاد الســوفييتي والصين،وبسبب الظروف وموازين القوى التي كانت قائمـــة فـــي المنطقـــة العربيـــة فـــي ذلــك الوقت،ومنها استمرار تأمين مصالحها في المنطقة،وفي المقدمة منها مصاحها النفطية،لم يبد على اميركا انها كانت مستعجلة في دفع الامور المالية باتجاه التسوية.

ولم يكن باستطاعة الاتحاد السوفييتي،او بلدان العالم الثالث او اوربـــا الغربيـــة،وحدهـــم او مجتمعين،دفع عجلة التسوية الى امام،بدون مشاركة اميركا في ذلك .

ومن ناحية اخرى فان الخيار الذي عزم عليه النظامان المصري والسوري وحلفاؤهما كـــان خيارا مرضيا، او غير مرفوض،لاطراف عربية ودولية عديدة.

ان شن حرب محدودة،واحاطتها بهالة الحرب التحررية يمكن ان يوفر للنظـــامين المصـــري والسوري مواقع سياسية ونفسية جديدة،تخرجهما من الازمة الخطيرة التي كانا فيها،وتظـــهرهما بمظهر الساعيين للتحرير،وتمكنهما من اتخاذ مواقف باتجاه التسوية،لـــم يكونـــا قـــادرين علـــى اتخاذها، وهما في حالة ضعف،ومعرضان الى شتى اشكال الاتهامات والشكوك.

كما كان مثل هذا الخيار مرضيا ومناسبا لحليفتهما السعودية وبقية الانظمة الرجعيـــة، لانـــه خيار ذو تكاليف محدودة من ناحية،ويؤمن لها،من الناحية الاخرى،الظهور بمظهر المشارك فـــي معركة التحرير،،فتنزاح عنها كوابيس الاحتمالات الخطرة في المنطقة،كما يؤدي الى تقوية مركزها السياسي، لما ستقدمه من اسناد مالي،ولما تطلبه مثل هذا الخيار من تعامل مع حليفها الاســـتعمار الاميركي.

وكان هذا الخيار مناسبا ايضا للانظمة العربية الاخرى،التي كانت ستجد نفســـها فـــي حـــرج شديد،في حالة قيام حرب تحررية بعيدة المدى،لانه لا يكلفها التزامات سياســـية او عســـكرية او مالية باهظة،ويمكنها،في الوقت نفسه،من ان تدلي بدلولها فيه بشكل او بأخر،وتقطف شـــيئا مـــن ثماره.

اما الاتحاد السوفييتي،فبحكم كونه قوة كبرى وذات مصالح في المنطقة العربية،ولا يمكـــن ان ينعزل عما يجري من احداث وتطورات فيها،ولما كانت سياسته تجاه الصراع العربي ــ الصهيوني تقوم بالاساس على السعي للوصولا الى تسوية في اطار القرار ٢٤٢، ولما كان هذا الخيار يمكـــن ان يدفع بالتسوية الى امام،ولايرتـــب علـــى الاتحـــاد الســـوفييتي تكـــاليف ماليـــة وعســـكرية وسياسية،كالتي تترتب على حرب تحررية بعيدة المدى،ويعزز،بحكم حاجة البلـــدان العربيـــة الـــى

سلاحه في المعركة العسكرية،دوره في المنطقة،،فانه يشكل بالنسبة اليه ــ بصورة عامة ــ خيارا مناسبا.

ولم يكن مثل هذا الخيار مناقضا لمصالح وسياسات بلدان اوربا الغربية ايضا،،او بعضها على اقل تقدير .فبلدان اوربا الغربية كانت تريد تسوية الازمة في المنطقة العربية،وضمان الاستقرار فيها،لما في ذلك من انعكاسات ايجابية على اقتصادها،بل على مجمل اوضاعها. وبرغم علاقات اغلب بلدان اوربا الغربية الوثيقة بالكيان الصهيوني،فان تلك البلدان لم تكن متحمسة لبقاء الاحتلال الصهيوني للاراضي العربية،بالشكل الذي يريده الكيان الصهيوني.

اما بلدان عدم الانحياز والعالم الثالث فان اغلبيتها كانت تساند النظام المصري،المطالب بتطبيق القرار ٢٤٢،ومثل هذا الخيار ينسجم مع هذا الموقف.

ومن الضروري اعطاء اهتمام خاص لموقف اميركا من هذا الخيار،ودورها فيه،لما لذلك من اهمية في فهم حرب تشرين،والاحداث والتطورات التي اعقبتها،حتى هذا اليوم.

ان الكثير من الدلائل تشير الى ان اميركا لم تقف ضد ذلك الخيار وكانت على علم باحتمالات الحرب اكثر من الاتحاد السوفييتي.

صحيح ان اميركا تعتبر الكيان الصهيوني حليفها .وركيزتها الاساسية في المنطقة العربية، وانها شجعته وساندته في عدوان ١٩٦٧،وكانت،طيلة الفترة الواقعة بين العدوان وذلك الوقت،تدعمه بكل الوسائل السياسية والعسكرية والاقتصادية،ولكنها،من الناحية الاخرى، لا تجد مصلحة اكيدة في احتفاظ الكيان الصهيوني بكل الاراضي التي احتلها عام ١٩٦٧،كما يريد ذلك هو والصهيونية .ان ما تريد ان تضمنه اميركا هو بقاء الكيان الصهيوني قويا وقادرا على توجيه ضربات عسكرية لاي من بلدان المنطقة،عندما تتطلب مصلحتها ذلك،، وهي لا تشترط لذلك بالضرورة ان يبقى احتلال الاراضي على ما كان عليه الى الابد. كما ان اميركا،التي تحرص على مصالحها الحيوية في المنطقة العربية،لابد ان تفكر بان استمرار الاحتلال،بالشكل الذي يريده الكيان الصهيوني، لابد ان يؤدي الى مضاعفات خطيرة، منها احتمالات نمو المد الثوري العربي،وتعاظم قوة الاطراف الداعية الى التحرير،وزيادة نفوذ الاتحاد السوفييتي في المنطقة،، مما يعرض مصالحها تلك الى خطر كبير،، لا سيما ان بدايات سياسات الانفتاح على اميركا ستسمح للاستعمار الاميركي،في حالة حصول تقدم عربي،ولو محدود،في مثل هذا الخيار،بان يستثمر جانبا منه،عن طريق الايحاء بان الانفتاح على اميركا كان هو السبب الاساسي في احراز هذا

التقدم،،وبذلك تؤمن اميركا اساسا اكثر ثباتا لتعزيز نفوذها في المنطقة،على حساب الاتحاد السوفييتي الذي حصلت هزيمة حزيران في ظل نفوذ قوي له في الاقطار التي تعرضت للهزيمة سنة ١٩٦٧.

ومن الامور الحساسة التي كانت تضعها اميركا في حسابها اوضاع البلدان المنتجة للنفط، وبخاصة السعودية.وكان مفهوما،ان استمرار الكيان الصهيوني في احتلال الارض التي استولى عليها في عدوان حزيران ١٩٦٧،وركود الموقف السياسي يعرض كل انظمة التسوية،ومنها النظام السعودي وغيره من الانظمة النفطية الرجعية،الى اخطار شديدة.

ومن هذه النقطة الاخيرة يمكننا ان نفهم الدور الخطير الذي بات يحتله عامل النفط في السياسة الاميركية،وصلة ذلك بالصراع العربي ـ الصهيوني،، بعد ان انكشفت الحقائق الاساسية عنه،أثر خطوة التأميم التاريخية التي انجزها الحزب وثورته في حزيران ١٩٧٢. ان اميركا، التي كانت تعرف كل الحقائق عن مسألة النفط في السابق،كانت مطمئنة الى انها حقائق غير مكشوفة تماما على نطاق واسع،وبالتالي لا يمكن ان تستثمر .ضد مصالحها الستراتيجية .اما بعد التأميم وانكشاف تلك الحقائق وتوجيه الانظار والاهتمام اليها،والى ما تعنيه من نتائج ستراتيجية خطيرة،فان الاسلوب السابق الذي اعتمدته اميركا لم يعد صالحا،،وكان عليها ان تفكر باساليب جديدة في التعامل مع مسألة النفط،ومن ضمن ذلك،اساليب التعامل مع السعودية والبلدان المنتجة له،وسبل حمايتها من احتمالات السقوط والوقوع في الستراجيات المضادة.وهذا يفسر الكثير من الجوانب الجديدة في الموقف الاميركي ازاء المنطقة العربية، قبل حرب تشرين وخلالها وبعدها.

ولم تكن اميركا لتعارض خيار النظامين المصري والسوري المشار اليه،ما دام صداما عسكريا يمكن السيطرة عليه. فهي ـ قياسا على تجربة حرب حزيران ١٩٦٧، ولمعرفتها بالكثير من امكانات الانظمة العربية العسكرية ـ لم تكن تخشى من اصابة الكيان الصهيوني بهزيمة شديدة.وكانت مطمئنة ايضا،وبالاستناد الى عوامل عديدة،الى ان مثل هذا الصدام لن يتحول الى حرب تحررية طويلة الامد،لان مجمل السياسات والمواقف التي اتخذها النظامان المصري والسوري،وبخاصة بعد عام ١٩٧٠،كانت تشير الى انهما لا يريدان اكثر من تحريك الازمة والوصول الى تسوية،وكانت هناك، بالطبع،السعودية بدورها الرئيس في العملية كلها،وهي حليف اساسي لاميركا في المنطقة .فما دامت العملية محصورة بين الاطراف الثلاثة،مصر وسورية والسعودية،فالسيطرة على الصراع تبقى في نظرها،ممكنة، بل اكيدة.

وهذه النقطة تفسر جانبا اساسيا من رفض القيادتين المصرية والسورية لمبادرة العراق الوحدوية في عام ١٩٧٢،لان وجود العراق كقوة مركزية مشاركة في عملية الحرب، تخطيطا وتنفيذا وقيادة، من خلال الصيغة الوحدوية التي اقترحت،لايمكن الاطراف العربية والدولية المعنية من السيطرة على زمام الصراع .

واذا كانت كل هذه الدلائل تشير الى ان اميركا لم تكن لتعارض هذا الخيار،فان السؤال الذي يرد الى اذهان هو :هل كانت اميركا تعرف بمخطط حرب تشرين ...وهل كان لها دور فيه ..

ان الكثير من الدلائل تشير الى ان اميركا،وعلى اقل تقدير،لم تكن خارج الصورة تماما.

ان عملية الحرب كانت مصممة بالاساس،لتحريك الموقف وحث القوى الدولية الكبرى، وخاصة اميركا،على اهتمام المباشر بما يسمى بازمة الشرق الاوسط،والسعي الى ايجاد الحل لها،لذلك فان مصممي هذه الحرب اذا كانوا يطلبون من اميركا ان تأتي ،اثناء الحرب او بعدها،لتضطلع بدور مهم في التسوية،فليس من المنطقي عزلها،تماما،عن مخطط الحرب ومقدماتها.

وقد رأينا فيما بعد ان اميركا سارعت،بعد اندلاع الحرب مباشرة،الى الاهتمام الشديد بالازمة، وتصرفت هي وقادة النظامين المصري والسوري، بعد وقف اطلاق النار،وكأنهم كانوا جميعا على موعد.

وهناك دور السعودية التي كانت طرفا اساسيا في مخطط حرب تشرين،،فالسعودية،في تلك المرحلة لم تعد،مجرد نظام رجعي وثيق الصلة باميركا،بل كانت قد اصبحت،بما تمتلكه من امكانات مالية هائلة،وفي ظل الظروف العربية التي اشرنا اليها،قيادة ميدانية للاستعمار الاميركي،في منطقة الشرق الاوسط وافريقيا،وليس من المنطقي ان تشارك السعودية في قضية كبيرة مثل الحرب،من دون تنسيق مع اميركا،او مع بعض الاوساط الحاكمة فيها، على اقل تقدير.

ومن الامور التي يجب ان تؤخذ بنظر الاعتبار بهذا الصدد ما كان يصدر، في ذلك الوقت،من تلميحات من قبل بعض المسؤولين الاميركان،ومنهم وزير الخارجية كيسنجر، وبعض المسؤولين في اوربا الغربية للمسؤولين في انظمة التسوية، بضرورة عمل (شيء ما) لتغيير الموقف الراكد.

وعند تناول هذا الجانب من دور اميركا،فان من المفيد التطرق الى بعض الظواهر المهمة السياسية في العصر الراهن،لان فهم هذه الظواهر لا يساعدنا على فهم حرب تشرين،وما تلاها

من احداث وتطورات بالغة فحسب،وانما يساعدنا ايضا على فهم الكثير من الاحداث والمواقف العربية والدولية في عصرنا الراهن.

ان اسلوب العمالة القديم،عندما كان الساسة والحكام في البلدان الخاضعة للنفوذ الاستعماري يرتبطون ارتباطا مباشرا،وعلى طول الخط بالدول الاستعمارية، لم يعد اسلوبا شائعا في العصر الراهن، بعد زوال القديم،وظهور ظروف مختلفة في الوضع الدولي،وما اعقب ذلك من ظهور الاستعمار الجديد،وتطور الاساليب الاستعمارية الحديثة.

ففي العصر الراهن لا يشترط،دائما،ان يكون الارتباط بالمخططات والمصالح الاستعمارية صريحا ومباشرا،على طول الخط.فهذا الارتباط قد يكون في حالات كثيرة غير مباشر،بل حتى غير واضح ـ احيانا ـ للمراقب العادي،ويمكن ان تتعرض العلاقات بين الاستعمار،والقادة والانظمة المرتبطة بمصالحه ومخططاته،في حالات كثيرة،الى اشكال متعددة من التباعد،او التناقضات الجزئية،او حتى الازمات حول قضايا معينة ولاوقات معينة،، دون ان ينفي ذلك الارتباط او ينهيه ..وقد يتم هذا الارتباط من خلال اطراف وسيطة، تسعى للربط بين طرفين لا تسمح لهما ظروفهما،او ظروف طرف منهما في حالات معينة، بالتعامل المباشر والعلني مع الطرف الاخر.كما يمكن ان يتم الارتباط بالمصالح والمخططات الاستعمارية،،او الوقوع في شركها،من خلال اسلوب استعماري حديث وخبيث جدا، وهو ان يعمد الاستعمار بوسائل شتى،ومن خلال شبكة من العلاقات المنظورة،او غير المنظورة، الى الايحاء لسياسي ما،او نظام ما،بالتصرف باسلوب معين، او ينمحه فرصا ما، فيجد نفسه،بعد حين،وقد ارتبط به، او وقع في شركه،بصورة مباشرة او غير مباشرة.

وتؤدي العلاقات الشخصية للزعماء والدوائر المحيطة بهم،بشتى اشكالها في بلدان العالم الثالث،دورا مهما في هذه العملية .

وخلاصة القول ان العصر الراهن يحفل باشكال واساليب عديدة،تؤدي الى الارتباط والوقوع في شرك المخططات والمصالح الاستعمارية.واستنادا الى طبيعة النظامين المصري والسوري اليمينية والفاسدة،والى طبيعة قياداتهما،وشبكة العلاقات المحلية والعربية والاجنبية المشبوهة المحيطة بتلك القيادات،،والى طبيعة النظام السعودي وعلاقاته،وعلاقات اركانه المتشابكة مع اميركا،لابد ان يكون لاميركا،او لبعض الاوساط الحاكمة فيها على اقل تقدير، دور ما في العملية،هذا اذا لم يكن دورها فيها مباشرا واساسيا.

لقد اندلعت الحرب في اطار هذا المخطط،وهذه الظروف،،ولكن،كما توقعت قيادة الحزب،عند اتخاذها قرار المشاركة فيها،كانت الحرب عملية كبيرة،ليس من السهل السيطرة على كل عناصرها،،وكان محتملا ان تسفر عن نتائج عرضية،غير مقدرة سلفا،من الممكن ان تؤثر تاثيرا مهما على مجرى الاحداث.

وعلى اساس هذا التقدير،وتقديرات اخرى،وردت في تقرير خاص عن حرب تشرين، صدر عن المؤتمر القطري الثامن لفرع الحزب في القطر العراقي،واقرته القيادة القومية،فقد تم اتخاذ قرار المشاركة الواسعة والفعالة في الحرب بميدانيها السياسي والعسكري باجتماع مشترك للقيادتين القومية والقطرية ومجلس قيادة الثورة .

ان المستوى الذي كان قد بلغه الحزب وثورته في القطر العراقي،في تلك المرحلة، والذي سبقت الاشارة الى عناصره الاساسية،مكنه من القيام، وعلى الفور،بدور مهم جدا في المعركة، وفي التطورات اللاحقة.

فبعد اندلاع الحرب قرر الحزب اشعال نار المعركة السياسية،بتأميم حصة اميركا في شركة نفط البصرة،وهذه الخطوة المهمة فتحت ملف قضية النفط باسلوب ساخن .وبرغم محاولات الانظمة العربية والاستعمار طمس هذه الخطوة المهمة،لابعاد الانظار عن مسألة النفط،،ظل الحزب يؤكد،تأكيدا ملحا وشديدا،على ضرورة استخدام النفط كسلاح اساسي في المعركة،وشن حملة تعبئة شعبية واسعة،واجرى على الفور اتصالات مباشرة مع الانظمة العربية المعنية لتحقيق هذا الهدف .ومع استمرار الحرب وتصاعدا لمد الجماهيري المطالب باستخدام النفط في المعركة،كانت الانظمة الرجعية المنتجة للنفط وبخاصة السعودية،تجد نفسها في وضع حرج جدا.وقد حاولت تلك الانظمة،في البداية،الالتفاف على القضية، وامتصاص قدر من الضغط الجماهيري،من خلال قرارات تافهة،صدرت عن اجتماع عقد في الكويت لوزراء النفط العرب يوم ١٧-١٠-١٩٧٣.ولكن الحزب تصدى لتلك القرارات،وفضح تفاهتها،قياسا الى حجم المعركة ومتطلباتها،،وبعد ايام اضطرت السعودية والانظمة الاخرى الى اتخاذ قرار بقطع النفط عن اميركا واوربا واليابان [١] وكان هذا القرار ينطوي على تواطؤ خطير،بين السعودية والنظام المصري والانظمة الرجعية من جهة،وبين اميركا من الجهة الاخرى.

---

(١)بعد اندلاع حرب تشرين الاول ١٩٧٣ وتزايد الضغط الجماهيري الذي اشرنا اليه، بادرت الامانة العامة لمنظمة الاقطار العربية المصدرة للنفط(اوابيك)الى الدعوة لعقد مؤتمر استثنائي للمنظمة في الكويت.وقد

انعقد الاجتماع الاستثنائي لوزراء النفط العرب في صباح يوم ١٩٧٣/١٠/١٧في الكويت وظهر فيه اتجاهان متناقضان:

الاتجاه الاول:_

وهو الاتجاه الذي مثله وفد العراق،وقد طالب باعتبار الدول التي تساند العدو الصهيوني في حالة حرب ضد العرب،وعدوا مباشرا يستحق استخدام سلاح النفط ضده بالطرق التالية:

اولا ــ تصفية المصالح الاقتصادية الاميركية،وبصورة خاصة النفط منها عن طريق التأميم.

ثانيا ــ سحب الارصدة المالية العربية التي تستثمرها بعض الدول العربية في اميركا، لما تتمتع به هذه الارصدة من اهمية خاصة في دعم الاقتصاد الاميركي.

ثالثا ــ قطع العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية بين الدول العربية المنتجة للنفط واميركا.وفي الوقت نفسه طرح وفد العراق برنامجا بديلا لمعاقبة اميركا عند الحدود الدنيا،في حالة تعذر تطبيق الموقف الاول،وهو الموقف المبدئي المتكامل،ويتلخص برنامج الحد الادنى في منع تصدير النفط الى الولايات المتحدة الاميركية،باعتبار ان النفط مادة استراتيجية لابد من منع تصديرها للعدو في حالة الحرب.

الاتجاه الثاني:

دعا الى اتباع خطة تعتمد على التخفيض التدريجي لمجموع الانتاج العربي بغض النظر عن كونه سيصدر الى اوربا الغربية والشرقية واليابان،ويبدأ التخفيض ابتداء من اتخاذ القرار حتى انسحاب قوات العدوان الصهيوني من الاراضي العربية المحتلة.ويتم التخفيض التدريجي شهرا بعد شهر،بشكل متزايد،ويبدأ التخفيض الاول في شهر تشرين اول بنسبة (٥ %)بالنسبة لما كان عليه في ايلول،ثم تصبح النسبة(١٠ %)في تشرين ثاني وهكذا.ومبرر هذا الطرح هو الرغبة في اعطاء اميركا فرصة اخرى بعدم اتخاذ مواقف (متطرفة).

وقد طرح هذا الاتجاه الوفد السعودي.

وعند ختام الاجتماع اتخذ مؤتمر الكويت قرارا بخفض الانتاج (٥ %) على ان تزداد النسبة شهريا بنسبة (٥ %)لحين انسحاب العدو الصهيوني،واستعادة حقوق الشعب الفلسطيني.وفي اليوم الثاني لقرارات مؤتمر الكويت التي صدرت يوم ١٩٧٣/١٠/٧،من النفط للولايات المتحدة الاميركية.وحذرت من ان هذا الاجراء سيطبق بحق كل دولة تساند الكيان الصهيوني مستقبلا .وكانت ابو ظبي تصدر انذاك للولايات المتحدة حوالي (١٢ %)من انتاجها اليومي البالغ مليونا ونصف مليون برميل.واعقبت ابو ظبي ليبيا التي اوقفت تصدير نفطها الى اميركا يوم ١٩٧٣/١٠/١٩ .ولم تقطع حكومة قطر النفط كلية عن اميركا،بل لجأت الى ،

فلقد التفت الانظمة المذكورة على المد الجماهيري العارم،الذي كان يركز على ضـــرب المصـــالح الاستعمارية الاميركية،والذي لم يكن في مقدورها تجاهله،بقطع النفط عن اوربا واليابان ايضا،ممـا ادى الى تخفيف التركيز على اميركا،والى الحاق اضرار لامبرر لها باوربا واليابان،وتعزيز نفـوذ اميركا عليهما ويكشف هذا القرار،هو الاخر جانبا من التواطؤ بين الانظمة التي صممـت عمليـة حرب تشرين وبين اميركا،، ومما يعزز هذا الاستنتاج موقـف النظـام المصـري مـن المسـألة .فالمفروض ان يكون النظام المصري اشد من غـيره الـى اسـتخدام النفـط،كعـامل ضغـط او تهديد،لصالح المعركة العسكرية التي كان يخوضها،،ولكنـه نشـط لاتخـاذ قـرار فـي اجتمـاع الكويت،حيث طالب بتخفيض الانتاج بنسبة (١٥ %)فقط وساند موقف السعودية المشار اليه.

والى جانب هذا الدور السياسي البارز،الذي لعبه الحزب وثورته في القطر العراقي، شـارك مشاركة مقداما وواسعة النطاق في المعركة العسكرية،ففي الجبهة المصرية كانت هناك قوة جويـة عراقية اسهمت في المعركة اسهاما بطوليا،منذ ساعاتها الاولى.اما على الجبهـة السـورية فقـد ارسلت على الفور قوة جوية عراقية ضاربة،كما تدفقت قوات برية عراقية كبيرة،في ظروف هـي في غاية الصعوبة والتعقيد،بسبب بعد المسافة بين امكنة تواجد هذه القوات والجبهة.وعدم وجـود تنسيق مسبق مع السلطات العسكرية السورية والموقف المراوغ للنظـام السـوري،فضـلا عـن الاوضاع المتدهورة في الجبهة السورية.

فعند وصول طلائع القوات العراقية كانت قوات النظام السوري في حالة تراجع يقـرب مـن الانهيار،وكانت قوات العدو تقـترب مـن دمشـق،وتـهددها بـالاحتلال.وقـد تمكنـت القـوات العراقية،بروحها المقدام،وبالتعاون مع المقاتلين في جيش سـورية العربـي مـن صـد قـوات العدو،وحماية دمشق من الاحتلال.

‹اعتبار نسبة التخفيض الابتدائية (١٠ %) بدلا من (٥ %)وذلك في يوم ١٩٧٣/١٠/١٩،لكنها اضطـرت يوم ١٩٧٣/١٠/٢١،الى وقف ضخ النفط الى اميركا.

وفي يوم ١٩٧٣/١٠/٢١ اوقفت الجزائر ضخ النفط الى اميركا وهولندا،وتبعتها السعودية في نفس اليوم فقطعت النفط عن اميركا،بعد ان اتخذت نفس القرار ابو ظبي وليبيا والجزائر وقطر.

وفي نفس اليوم ١٩٧٣/١٠/٢١ قررت البحرين وقف تصدير النفط الى اميركا.

ان مشاركة القوات العراقية،بهذا الحجم وبهذه السرعة،ادخلت عـــاملا جديـــدا ومـــهما فـــي الموقف.

لقد كان النظامان المصري والسوري وحلفائهما حريصين على ابقاء كل خيوط العمليـــة فـــي ايديهم،لذلك سعوا،كما سبق قد واشرنا،بكل السبل الى عزل العراق عن المعركة العسكرية. وكـــانت مصر قد طلبت قوة جوية محدودة من العراق قبل اشهر من اندلاع الحـــرب، لاســـباب عســـكرية فنية،لم يكن باستطاعتها تأمينها من أي مصدر اخر،فتم تلبية طلبها.

وعلى الجبهة السورية كانت الانظمة المعنية تتوقع ان لا يشارك العراق مشاركة مهمة فـــي الحرب عند قيامها،وبذلك لن يكون قادرا على التأثير في مجرى الاحداث،بل ان النظام الســـوري عمد،قبل الحرب بفترة قصيرة،الى تسخين حملته الاعلامية على الحـــزب والثـــورة فـــي القطـــر العراقي،بصورة ملفتة للنظر تماما.

وقد فاجأ قرار القيادة بالمشاركة الفورية وواسعة النطاق في الحرب، النظام السوري وبقيـــة الانظمة،،ولم يكن باستطاعة النظام السوري،عند ذاك، الحيلولة دون تلك المشاركة،، فـــهو،بحكـــم اضطراره الى اضفاء هالة الحرب التحررية على هذه الحرب،لم يكن قادرا على رفـــض مشـــاركة عربية فيها،بهذا الحجم والمستوى،،كما ان تدهور اوضاعـــه العســـكرية،بعـــد ايـــام قليلـــة مـــن الحرب،اضطره الى قبول مشاركة العراق.

لقد ادت هذه المشاركة الى تقييد حركة النظام السوري نسبيا،،فقد اضطر الى تأجيل موافقتـــه على قرار وقف اطلاق النار،الذي صدر يوم ٢٣ تشرين الاول،يوما واحدا،وعندما اعلن موافقتـــه في اليوم التالي،برر ذلك بموافقة مصر وتوقف القتال على الجبهة المصرية، وبانه غير قادر علـــى مواصلة المعركة بمعزل عن مصر.

كما ان وجود العراق الى جوار النظام السوري وتوطد قاعدة الحزب الثوريـــة فيـــه،وهـــذه المشاركة الكبيرة قد ادت الى تقييد حركة النظام السوري نسبيا فيما بعد باتجاه التسوية،واضطرته الى سلوك مسالك غير مباشرة،والى تغطية موقفه بشتى اشكال التظاهرات، وهو جانب مهم مـــن جوانب الاحداث والتطورات في المرحلة اللاحقة.

ان اساليب القتال التي اعتمدتها قيادات النظامين المصري والسوري السياسية والعســـكرية، في حرب تشرين،والتطورات التي حدثت اثناء المعركة،كـــانت تـــأكيدا عمليـــا للطبيعـــة المحـــددة للمعركة،التي صممتها الانظمة والقيادات المصرية والسورية والسعودية.

فلقد اندفعت القوات السورية الى منطقة الجولان اندفاعا غير محسوب،حققت فيه،في البداية، تقدما ملموسا في العمق،،ولكنها اصيبت بخسائر جسيمة،اضطرت على اثرها الى التراجع امام قوات العدو .ان هذا الاسلوب يعني ان النظام السوري اراد من الحرب ان تكون خاطفة،تحقق اهدافها خلال ايام،،وبالطبع،لم تكن متوقعا ــ ابدا ــ ان تؤدي مثل هذه الحرب الخاطفة،وبحكم موازين القوى العسكرية القائمة،الى تدمير شامل لقوات العدو، وبالتالي الى تحرير هضبة الجولان المحتلة،،لذلك لم تستطع قوات النظام السوري حتى انجاز تقدم جزئي على طريق تحرير الارض،، وانتهت الحرب عمليا،بتراجع تلك القوات الى ما وراء خطوط وقف اطلاق النار،لعام ١٩٦٧،،وعندما تكامل تحشد القوات العراقية على الجبهة السورية اعدت خطة لاجتياح الجولان وتحريرها،وكان متفقا على المباشرة بتنفيذها يوم ٢٣ ــ ١٠،ولكن رئيس النظام السوري اجل التنفيذ،ثم وافق على وقف اطلاق النار في اليوم التالي،،مما يؤكد تماما،ان النظام المذكور لم يكن يستهدف التحرير الذي توفرت له،عند ذاك،فرصة تاريخية مهمة، كما يؤكد انحراف وقصور القيادة السياسية والعسكرية للنظام السوري،التي لم تستطع،بالرغم من الدعم الفعال من قبل الجيش العراقي،ان تحقق حتى الاهداف والمكاسب الجزئية والمحدودة التي خاضت الحرب من اجلها.

اما على الجبهة المصرية فقد اندفعت القوات العسكرية المصرية بعنفوان كبير، لاجتياز القناة،وتحطيم دفاعات العدو على الجانب الشرقي منها،،والسيطرة عليها،،ولكنها ما ان انجزت هذه المهمة حتى وجدت نفسها بدون خطة للتقدم باتجاه الممرات وعمق سيناء،ويعني ذلك،ــ عمليا ــ انه لم يكن مطلوبا منها اكثر من اجتياز القناة،واحتلال شريط على ساحلها،وقد ادى هذا الاسلوب النابع من الهدف المحدود للمعركة،الى عدم الاستعداد لإحتمالات استمرار القتال،وما يمكن ان يحصل فيه من تطورات مفاجئة،،الامر الذي سهل على العدو امكانية الاختراق المعاكس للقناة،واحتلال مواقع مهمة جدا على الضفة الغربية منها،وتطويق اعداد كبيرة من القوات المصرية.

غير ان اندلاع الحرب خلق وضعا ثوريا رائعا،،فلقد حارب المقاتلون العرب على كل الجبهات ببسالة وكفاءة،وحطموا كل الدعايات المغرضة التي صنعتها الاوساط الاستعمارية والصهيونية والاوساط العربية المشبوهة،او المخدوعة،عن قدرة المقاتل العربي،وعبرت الجماهير عن استعداد رائع للصمود والتضحية.

وقد اصبح هذا الوضع الثوري الذي نشأ عن الحرب،وهي مطلب جماهيري قومي ملح، يضغط على الانظمة وقياداتها باتجاه المضي في معركة التحرير.

ومع ان الانظمة حاولت ان تستفيد من هذا المد الشعبي،في الايام الاولى من المعركة،لدعم الجهد العسكري،ولكي تحصل على الشعبية التي كانت تفتقر اليها وتحتاجها لترتيبات المرحلة اللاحقة،فان النظامين المصري والسوري وحلفاءهما،واطرافا دولية عديدة باتوا يخشون من افلات زمام الموقف،وصاروا جميعا يسعون لوقف اطلاق النار وتطويق الصراع.

ولما كان النظامان المصري والسوري وحلفاؤهما قد رسموا للمعركة هدفا محدودا،هو تحقيق الصدمة لتحريك الموقف الراكد،باتجاه التسوية وان هذاالهدف كان قد تحقق،فقد اوجدت حالة اهتمام واسعة النطاق على الصعيد الدولي،واهتمت بها القوى الكبرى اهتماما مباشرا، وعلى مستوى عال .كما ان عامل النفط ـ وان جاء متأخرا،وفي اطار الخطة الخبيثة التي اشرنا اليها ـ دفع اميركا ودول اوربا الغربية واليابان،وبلدانا عديدة اخرى في القتال مناقضا لطبيعة النظامين المصري والسوري وحلفائهما، ولاصل المخطط الذي وضعوه للمعركة،،فما ان اتفقت اميركا والاتحاد السوفييتي على ترتيب وقف اطلاق النار في ٢٣ـ١٠، حتى سارع النظام المصري الى الموافقة عليه ووافق عليه بعد يوم واحد النظام السوري ايضا،وايدتهما في ذلك الرجعية العربية،وبعض الانظمة الاخرى.

لقد وقف الحزب وثورته في القطر العراقي،موقفا صلبا ضد وقف اطلاق النار .اما الجماهير الشعبية في مصر وسوريا،وكل انحاء الوطن العربي فقد اصيبت بخيبة امل شديدة لوقف المعركة،وعدم الاستمرار فيها.

ان موقف الجماهير هذا،،وموقف الحزب وقوى ثورية عديدة قد وضع النظامين المصري والسوري في موقف حرج،،ولكي يتلخصا من هذا الموقف،صارت اوساطهما تروج الاقاويل،والشائعات،بان وقف اطلاق النار قد فرض عليهما باتفاق الدولتين العظميين،فلم يعد بامكانهما تحدي ارادة تينك الدولتين،والاستمرار بالقتال،وبرر النظام المصري موقفه بانه بات في الايام الاخيرة من الحرب يحارب اميركا مباشرة، في الوقت الذي لم يكن الاتحاد السوفييتي مستندا لدعم الجانب العربي بنفس المستوى من الدعم الاميركي للعدو!.

اما النظام السوري فقد حاول ان يلقي تبعة وقف اطلاق النار على النظام المصري،، ولكن النظام المصري كشف احد اسرار الحرب المهمة،وهو ان النظام السوري كان قد طلب من الاتحاد

السوفييتي السعي لوقف اطلاق النار بعد ايام قليلة من اندلاع الحرب،عندما بدأت قواته بـــالتراجع من المواقع التي احتلتها في عملية الاندفاع الاولى،وهذا ما كان معروفا من قبلنا في حينه.

لقد شهدت المرحلة اللاحقة لحرب تشرين اكبر واخطر عملية تلفيق وتزوير في تاريخ العـرب المعاصر،،بل في التاريخ العربي كله،وهي ما تزال مستمرة حتى اليوم .وكان النظامان المصـــري والسوري في مقدمة الذين صنعوا هذه العملية،ولكنهما لم يكونا وحدهما، فقدشاركت اوساط عربية عديدة،متواطئة معها،او سطحية،جرفتها الموجات الدعائية السائدة، او جبانة لـــم تتصـــد لكشـــف الحقائق بشجاعة،كما شاركت فيها ـــ بشكل او بآخر ـــ اوساط دولية عديدة،ذات مصلحـــــة فـــي التسوية،او في ترتيب اوضاع المنطقة.

ومن الامور الاساسية التي احيطت بشتى اشكال التلفيق والتزوير مســـألة الوفـــاق الدولـــي، والعلاقات بين الاتحاد السوفييتي واميركا،وصلة ذلك بوقف اطلاق النار ومجرى التسوية.

وكما اشرنا،فان النظامين المصري والسوري ادعيا،في خضم ادعاءاتهما العديدة والمتناقضـــة في احيان كثيرة،بان اميركا والاتحاد السوفييتي، اللذين يجمعهما الوفاق الدولي، هما اللذان اجبرا الطرفين المتصارعين على تحديد الصراع،ومن ثم وقف اطلاق النار،، وهما اللذان فرضا التسوية من خلال القرار رقم(٣٣٨) .كما شاع على نطاق واسع في تلك الفترة بـــان اميركـــا والاتحـــاد السوفييتي،اتفقا اثناء زيارة كيسنجر لموسكو ابان الحرب، على كل شيء في المنطقة،،وكانت هذه المسألة تتخذ مبررا من النظامين المصري والسوري ومن حلفائهما،ومن الاوساط للتخلـــي عـــن منهج الكفاح التحري،،والقبول بالمشاريع والتسويات المشبوهة،او عدم معارضتـــها فـــي احســـن الاحوال.

لقد كان من الطبيعي ان يهتم الاتحاد السوفييتي،والولايات المتحدة بالحرب فـــي منطقـــة الشـــرق الاوسط وبتطوراتها،لصلتهما باطراف النزاع من ناحية اخرى،ولاهمية هذه المنطقة بالنسبة اليهما من ناحية اخرى،،كما ان استمرار النزاع المسلح في المنطقة العربية كان ينطوي علـــى احتمـــال الصدام بينهما للاسباب المذكورة.

ولكن الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة لم يتوصلا الى اتفاق وقف اطلاق النار،الا عندمـــا وجدا ـــ معا ـــ ان من مصلحتهما الوصول اليه، وان الاطراف ذات العلاقة راغبة بذلـــك،،ففـــي البداية حاولت اميركا ان تستصدر قرارا من مجلس الامن بوقف اطلاق النـــار، وعـــودة القـــوات

وكان التاريخ يقف على مفترق طريق،فاما ان تقود قوى الثورة العربيـــة عمليـة الانتقـــال التأريخية تلك،او تتولاها قوى الردة،لاجهاضها وتحويلها عن مسارها القومي الثوري. واســتثمار نتائجها لصالح تعزيز موقعها، وتعزيز مواقع الاستعمار .وهذا ما حصل فعـــلا،، فقـوى الثـورة العربية لم تكن قد بلغت المستوى الكافي من النضج والقوة الذي مكنها من الامساك بزمام المبادرة التاريخية،فامسكت بها قوى الردة.

ومن اخطر الازمات التي كانت تعاني منها حركة الثورة العربية،ان قاعدة الحزب الثورية فـي القطر العراقي،ليست مجاورة لفلسطين المحتلة،، ولم تكن قادرة على الامساك بزمام المبادرة فـي المعركة العسكرية،وفي الكثير من الانشطة السياسية،لتطويرها ضمن خط الثورة العربيـــة،،ممـا سهل كثيرا على القوى الردة الامساك بزمام المبادرة .

بعد حرب تشرين اصبح الاتجاه نحو التسوية اتجاها سائدا في الموقـــف العربـي.وصـارت الانظمة تستغل نتائج حرب تشرين الايجابية لتقديم التنازلات على اعتبـــار انـــها اصبحـت،بعـد الحرب،تتحدث وتتصرف من ((مركز القوة))!!.وقد قبل النظـــام الســوري الــذي كــان يقـف، موضوعيا،مع اتجاه الحل السلمي،ويعارضه ـ شكليا ـ قبل حرب تشرين،بالحل الســلمي، شـكلا ومضمونا،بعد الحرب،سواء من خلال قبوله القرار ٣٣٨،الذي يستند على القـــرار ٢٤٢،او مــن خلال التطبيق العملي.

اما قيادة منظمة التحرير،التي كانت قبل الحرب،تعارض الحــل الســلمي،وان كـــانت بعـض اوساطها القيادية متواطئة مع انظمة التسوية،فقد باتت،بعد الحرب من ان تلك القيادات كانت قـــد قبلت،في الواقع،بخط التسوية وصارت تتصرف وتقيم العلاقات والاتصالات على هذا الاساس.

ومن العوامل الجديدة والمهمة التي نشأت في الموقف،بعد الحرب، اطلاق فكرة اقامة دولـــة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة،وقد استندت قيادات المقاومة تلك على هذه الفكرة،لتعزيز اتجاهها نحو القبول بالتسوية وتبريره،وقد عزز هذا الاتجاه قرار مؤتمـــر القمـــة العربـي فـــي الرباط،الذي اعتبر منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد للفلسطينيين.

وقد ادت مواقف بعض قيادات المقاومة الفلسطينية هذه الى تعزيز الانقســـام فـــي صفـــوف المقاومة الفلسطينية،واتخاذه طابعا اكثر علانية،فنشأت جبهة الرفض التي ضمت القوى الفلسطينية الرافضة لخط التسوية.

وانساقت وراء موجة القبول هذه اطراف عربية وطنية عديدة،على صعيد الحكومات وعلـــى الصعيد الشعبي،وبررت انسياقها هذا تارة بانها لابد ان تؤيد مصـــر وســورية فـــي مواقفــهما، باعتبارهما صاحبتي الشأن بهذه القضية،،وتارة اخرى بالقول بانـــها تســـاند منظمـــة التحريـــر الفلسطينية،في أي موقف تتخذه،باعتبارها صاحبة القضية ايضا.كما كانت تبرر مواقفها تلك بـــان هذا النهج يحظى بتأييد القوى التقدمية الدولية،،وفي مقدمتها الاتحاد السوفييتي،وبانه نهج متفـــق عليه بين الدولتين الاعظم،وليس بالامكان معاكسته،مادامت كل هذه الظروف والعوامل لصالحه.

ولفترة غير قصيرة من الزمن كان اغلب هذه الاطراف يتصور،بل يتصرف علـــى اســـاس ان بالتسوية قد اصبحت وشيكة،،وقد ادى هذا التصور والتصرف الى اضعاف مقاومـــة الكثـــير مـــن الاطراف،التي لم تكن بالاساس مندفعة بهذا النهج،لتوهمها بان التسوية اصبحت امرا واقعا لا مفر منه.

لقد كان الحزب في مقدمة الاطراف التي حذرت من الانسياق وراء هذه التيارات والاتجاهات والتحليلات،،وقد اكد،بمختلف اساليب التعبير،ان هذا الموقف سيعزز مواقف الانظمة السائرة فـــي خط التسوية،كما سيسهل امر تنفيذ المخطط الاستعماري،،ونبه برؤية تاريخية صائبة،الى ان امـــام التسوية الكثير من العقبات والصعاب،التي لا يمكن اجتيازها بسهولة وسرعة،، وان على قـــوى الثورة العربية ان لا تضعف وتستلم للموجة،بل ان عليها ان تعد العدة لمواجهة الموقف الجديد.

ـ الفصل السادس ـ

من حرب تشرين الى اتفاقية سيناء

كانت القوى التقدمية،كما اشرنا في فصل سابق،منقسمة الى اتجاهين عريضين، اولـــهما، يرفض التسوية مع العدو الصهيوني،والاعتراف بكيانه في فلسطين المحتلـــة،ويعتـــبر التســـوية استسلاما للقوى الاستعمارية والصهيونية والرجعية،وارتدادا عن خط الثورة العربية. وثانيـــهما: لا يجد تناقضا بين التسوية وبين النهج التحرري والتقدمي المعادي للاستعمار والرجعية،، ولا يؤمن بتحرير فلسطين كلها،ولا يمانع بالقبول،او الاعتراف بالكيان الصهيوني.

وقد كان للاتحاد السوفييتي دور اساسي في خلـــق الاتجـــاه الثـــاني،وفـــي تـــبريره فكريـــا وسياسيا،كما ادى دورا مهما في تقويته ازاء الاتجاه الاول.

فالاتحاد السوفييتي لم يتبع التسوية،بحكم كونه دولة كبرى لا تستطيع سوى اتخاذ مواقف معتدلة فحسب،،وانما كان متمسكا بهذا الاتجاه وداعيا له، وقد وضع،في احيان كثيرة ثقله السياسي والفكري والاعلامي وراءه،وفي احيان عديدة شن حملات مباشرة او غير مباشرة، على القوى الثورية المناهضة للتسوية،واصفا اياها بالتطرف واللاواقعية،وغير ذلك من الاوصاف.

وانسياقا مع موقف الاتحاد السوفييتي هذا،تبنى،هذا النهج اغلب الاحزاب الشيوعية والاوساط المتأثرة بها.وسخر لخدمته امكاناته السياسية والفكرية والاعلامية،،وقد ادى هذا من جانب،وقبول عبد الناصر بمنهج التسوية من جانب آخر،الى تشويش اوساط عربية جماهيرية وتقدمية واسعة حول هذه المسألة،،كما ادى،مع عوامل اخرى،الى تشجيع بعض القيادات والاوساط الفلسطينية على الانسياق وراء هذا النهج،برغم ان المقاومة الفلسطينية نشأت اصلا على مبادئ واهداف التحرير الكامل لفلسطين،،وغالبا ما كانت تلك القيادات والاوساط الفلسطينية تبرر مواقفها هذه بموقف الاتحاد السوفييتي،ومن يسير معه من القوى التقدمية العربية والدولية في هذا الاتجاه.

وفي الفترة التي اعقبت حرب تشرين،وبسبب دور الاتحاد السوفييتي فيها، من حيث تزويد الانظمة المتحاربة بالسلاح،ولمشاركته في صنع قرار وقف اطلاق النار،والقرار رقم ٣٣٨،وما أشيع،عندئذ،من افكار ومشاريع وشائعات عن طبيعة التسوية،وعن كونها امرا وشيكا،وعن احتمال اقامة دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية وغزة،وبعد انضمام النظام السوري رسميا الى القابلين بخط التسوية،،اكتسب هذا الاتجاه قوة كبيرة،وصار يتخذ موقف اكثر هجومية على القوى القومية الثورية المطالبة بالتحرير الكامل.

ان هذا الاتجاه من جانب،،واندفاع القوى الاستعمارية والرجعية من جانب آخر، لتكريس نهج التسوية جعل من هذا النهج السمة الاساسية الغالبة على الاوضاع العربية،بعد حرب تشرين.

غير ان ما كان يؤكد عليه الحزب باستمرار.من ان التسوية ليست مجرد حل لما يسمى بازمة الشرق الاوسط.وانما هي رديف للردة،ولسيادة القوى الاستعمارية،بدأ يتأكد،وبعد حرب تشرين بصورة اكثر وضوحا من أي وقت مضى.

وكان النظام المصري اكثر صراحة في تأكيد هذه الحقيقة، فاندفع اندفاعا شديدا نحو التعامل مع اميركا،وتسليم مقدرات الامور لها،كما سارع الى اتخاذ سياسات ومواقف يمينية مكشوفة في جميع الميادين السياسية والاقتصادية في الداخل،،وعلى الصعيد العربي كان تحالفه الاساس مع

الانظمة الرجعية وفي مقدمتها السعودية،،وقد رافقت هذه الاتجاهات سعيه الى تخريب العلاقات مع الاتحاد السوفييتي.

اما النظام السوري .الشريك الاساسي في هذه العملية كلها،فان ظروفه الخاصة،، ووجود العراق الى جواره لم تكن تسمح له بالاندفاع في تلك السياسات، كما كان يفعل النظام المصري،، وكان يمارسها بقدر من الحذر،وبكثير من التغطية والتبرير،،وكانت القوى الاستعمارية والرجعية لا تمانع في اتباع النظام السوري هذه الاساليب في ادارة دفة سيره نحو التسوية،وباتجاه المخطط الاستعماري والرجعي،بل ان اوساطا منها كانت تمنحه ـ في ذلك ـ ما يحتاج من غطاء.

وقد ادى قصر نظراوساط عربية ودولية تقدمية عديدة،والدوافع المصلحية لبعضها وموقفها السلبي من الحزب والثورة في القطر العراقي،وعدم رغبتها في بروز دورهما في الساحة العربية، لا الى عدم فهم طبيعة هذه السياسات والتظاهرات،التي اتبعها النظام السوري فحسب،، بل الى منحه غطاء تقدميا،اسهم اسهاما ضارا في تشويش نظرة الجماهير العربية وبعض القوى التقدمية، الى المضمون الحقيقي للتسوية،وساعد كثيرا على توفير الفرص للنظام السوري وللاستعمار والرجعية،لاضعاف حركة الثورة العربية،،وتنفيذ المخطط الاستعماري والصهيوني والرجعي في المنطقة .

ومن الحقائق الجوهرية التي تأكدت بعد حرب تشرين، بفترة من الزمن، أن التسوية التي روجت الأوساط العربية والدولية الساعية اليها، وعلى نطاق واسع، بأنها وشيكة الوقوع،، لم تكن كذلك،، بل كان امامها طريق طويل جدا،ومليء بالمصاعب والعقبات.فالذي حصل بعد حرب تشرين،وبرغم الاهتمام الدولي الواسع بالحرب ونتائجها،هو ان المحادثات التي جرت برعاية وزير الخارجية الاميركية كيسنجر،بين الانظمة المعنية بالتسوية،وبين العدو الصهيوني لم تنصب،مباشرة،على ما يسمى بالحل الشامل، بل انصبت،ولفترة طويلة من الزمن على نقطتين فحسب،اولاهما فصل القوات على الجبهتين المصرية والسورية،والثانية مسألة اعادة ضخ النفط.

لقد استغلت اميركا والكيان الصهيوني النتائج العسكرية الفنية التي افرزتها حرب تشرين، وهي عبور القوات الصهيونية الى الضفة الغربية لقناة السويس،ومحاصرتها اجزاء مهمة من القوات المصرية واحتلالها مزيدا من الاراضي خلف خطوط عام ١٩٦٧ في الجبهة السورية ـ وركزا عليها،،واستسلم لذلك النظامان المصري والسوري،ولم تركز على الجوانب الايجابية، السياسية والعسكرية والاقتصادية و النفسية التي صنعتها الحرب والتي كانت في صالح الجانب

العربي،والتي تفوق في قيمتها تلك الجوانب الفنية التي استثمرها العدو الصهيوني وحليفته اميركا.

وقد كشف هذا الموقف،في الواقع،تهافت الانظمة والجهات السائرة في طريق التسوية، وهزال السياسة تجاه اميركا والكيان الصهيوني،بينما كانت تحاول،بشتى السبل،فرض الارهاب والابتزاز على الجماهير العربية وقواها الثورية.

ان انكشاف هذه الحقيقة الخطيرة،وبخاصة من خلال اساليب النظام المصري المتهافتة، دفع النظام السوري الى تنظيم مسرحية اسماها بـ((حرب الجولان))وهي عبارة عن صدامات مستكنة بالمدفعية،استمرت بضعة اسابيع،حاول النظام المذكور ان يخفي،تحت ضجيجها ودخانها،تلك الحقيقة الخطيرة،وان يحصل على مواقع جزئية افضل في مفاوضات فصل القوات، وان يؤشر نوعا من التمايز بينه وبين النظام المصري،الذي كانت سياساته المفضوحة، وهو الشريك الاساسي في العملية،توقع النظام السوري في حرج شديد،غير ان هذه المسرحية لم تلبث ان انتهت،،ووقع النظام السوري، شأنه في ذلك شأن النظام المصري،على اتفاقية لفصل القوات مع العدو،لم تأت الا بنتائج جزئية تافهة،ليس من وجهة نظر القوى الثورية العربية المناضلة من اجل التحرير فحسب،بل حتى من وجهة نظر منهج التسوية نفسه،على مافيه من تفريط واستسلام.

وخلال هذه الفترة،ومن خلال مفاوضات فصل القوات التي امتدت عدة اشهر،بدأ المخطط الاميركي يتضح اكثر فأكثر،،فالنظامان المصري والسوري والانظمة الرجعية،وفي مقدمتها السعودية،ومعها اوساط عربية ودولية،حاولت ان توحي بعد حرب تشرين،بأن اميركا،قد غيرت موقعها المنحاز للعدو تغيرا جذريا،وعزمت نهائيا على احلال التسوية في المنطقة،،وكانت اميركا،من ناحيتها،توحي بمثل هذا الانطباع باساليب متنوعة،حتى ان اطرافا عديدة توهمت،كما اشرنا،ان التسوية باتت وشيكة، وصار البعض منها يهيء نفسه لمرحلة ما بعد التسوية.

غير ان اميركا،كانت تخطط باتجاه آخر:

اولا:ان اميركا لم تكن مستعدة لاجراء التسوية في ظل النتائج الايجابية غير المحسوبة التي جاءت بها حرب تشرين،حتى ولو توفرت عناصر احلال التسوية في ذلك الوقت،لانها لم تكن لتقبل الربط المباشر بين تلك النتائج، وبين تحقيق التسوية، على كل ما تنطوي عليه التسوية من تنازلات خطيرة من الجانب العربي .فاجراء التسوية في ذلك الوقت كان يعني منح النظامين المصري والسوري والنظام السعودي،وكل المجموعة العربية السائرة معهم، قوة سياسية ومعنوية

كبيرة.وقد يبدو للنظرة السطحية ان من مصلحة اميركا ان تمنحهم تلك القوة،، ولكن اميركا،في الواقع،تقدر ان منح هذه الانظمة، مثل هذه القوة،برغم انها حليفة لها وتنفذ مخططاتها في المنطقة،لابد ان ينعكس على الموقع السياسي والمعنوي للامة العربية في الوضع الدولي،،وهذا ما لا تريده اميركا والصهيونية،كما ان اميركا،برغم حاجتها الماسة الى دعم تلك الانظمة امام احتمالات نهوض حركة الثورة العربية،كانت غير واثقة من استمرارها،لذلك فان اية قوة سياسية ومعنوية تعطى لها،او لاي منها،لابد ان تقع في ايدي حركة الثورة العربية،عند سقوط هذا النظام او ذاك،وهذه واحدة من اهم الحقائق في الموقف،والتي تفسر الكثير من السياسات والمواقف الاميركية في المنطقة،،فاميركا كانت،وستبقى، توازن بين ضرورات دعم الانظمة السائرة في ركابها،كي تنفذ لها مخططاتها، وبين العاملين اللذين اشرنا اليهما.

ثانيا:ان اميركا كانت،وما تزال،تقرن التسوية بضمان مصالحها الستراتيجية في المنطقة .وفي تلك المرحلة كانت مسألة ضمان تدفق النفط عليها،بكميات واسعار مناسبة،هي القضية الاولى في مصالحها الستراتيجية،لذلك،فان سلم الاولويات في المنطقة بالنسبة لها هو الكيان الصهيوني اولا،لانه ركيزتها الاساسية في حماية مصالحها في المنطقة، والسعودية وبقية الدول العربية الرجعية المنتجة للنفط ثانيا.اما مصر وسوريا،بالنسبة اليها،فليس لهما اهمية كبيرة خاصة،كما كان عليه الحال في العقود السابقة،وانما ترتبط اهميتها،بمقدار تأثيرها على مسألة النفط،وعلى موازين الصراع بين القوى التقدمية العربية والقوى الرجعية،وعلى موازين القوى القائمة بينهما وبين الاتحاد السوفييتي في المنطقة، والعالم.

وبعد الحرب مباشرة،وبعد ان تجاوزت اميركا احتمالات الصدام المباشر مع الاتحاد السوفييتي،كان همها الاساس اعادة ضخ النفط، وكان النظام السعودي الذي اضطر،تحت ضغط الهبة الجماهيرية،الى قطع النفط، عاجزا عن اعادة ضخه بمجرد وقف اطلاق النار،، لذلك ركزت اميركا تركيزا شديدا على تحقيق خطوات جزئية واستعراضية في المنطقة وعلى ترويج الادعاءات بأنها قد غيرت موقفها المنحاز الى الكيان الصهيوني،كي تجعل من ذلك مبررا تستند اليه السعودية لاعادة ضخ النفط،،وهذا ما حصل فعلا،،فبعد عقد اتفاقيتي فصل القوات على الجبهتين المصرية والسورية،أعيد ضخ النفط.

بعد ذلك لم يعد هناك ما يلح على اميركا لانجاز التسوية،،وكان واضحا تماما ان ما تحرص عليه في سياستها،وقبل انجاز التسوية،هو ترتيب الاوضاع في المنطقة العربية، بصورة لا تعود

فيها خائفة على مصالحها الستراتيجية اذا ما انسحب العدو الصهيوني بقدر او بآخر،من الاراضي التي احتلها عام ١٩٦٧.

وبرغم كل تأثيرات مسألة النفط عليها،بعد وقف اطلاق النار،كانت اميركا تعمل،بدون كلل،لربط اية خطوة تجاه التسوية،مهما كانت جزئية،بهذا الاتجاه..فهي قبل ان تعمد الى فصل القوات،حصلت من النظام المصري على تنازلات كثيرة،مثل التفاوض المباشر،وغير المباشر مع الكيان الصهيوني،في الكيلو ١٠١وفي جنيف،كما حصلت من النظام السوري على الموافقة على التسوية، وعلى حضور مؤتمر جنيف من حيث المبدأ،كما كانت تلح على النظامين المذكورين وتدفعهما باتجاه الارتداد في الداخل،وتوثيق صلاتها بالرجعية العربية وبالقوى الاستعمارية.

وعلى اساس هذا المخطط،وبرغم كل الضجيج الذي يثار في الاوساط العربية والدولية، لم يتحقق من التسوية عام ١٩٧٤كله شيء يذكر،وبقي الاحتلال الصهيوني شبه كامل.

وخلال ذلك العام كانت اميركا،والقوى الرجعية وقوى الردة،تدفع بالاوضاع،في المنطقة العربية، بأتجاه تركيز خط التسوية وتسريع الاتجاهات اليمينية وتقوية مكانة السعودية والدول الرجعية،وزيادة تأثيرهما في المنطقة وبالتالي زيادة نفوذها وتأثيرها هي.

وبدفع من اميركا والرجعية العربية وقوى الردة شغلت الانظمة السائرة في ركاب التسوية الجماهير،وعلى نطاق واسع،بالمشكلات الداخلية،،وبخاصة المشكلات الاقتصادية كما في مصر، وما يدعى بالانفتاح،وروجت الاوهام عن المساعدات الاسطورية من اميركا واوربا الغربية واليابان،والسعودية والبلاد الرجعية الاخرى.

وشاع في اوساط التسوية في ذلك الوقت،وعلى نطاق واسع،القول بان المشكلات الداخلية في اميركا ــ وبخاصة فضيحة (ووترجيت) ــ قد اضعفت قدرتها على المضي في التسوية،، وكانت تلك الاوساط تدعو الى ((مساعدة))اميركا وقيادتها، لمواجهة تلك المشكلات،، لتتمكن من الاهتمام بالتسوية والضغط على الكيان الصهيوني،، وكان هذا احد المبررات المهمة التي اعطيت حينئذ،لقرار السعودية باعادة ضخ النفط.

وفي تلك الفترة كانت اميركا وحلفاؤها الرجعيون يسعون،بكل الوسائل الى تصفية القوى الثورية او اضعافها،او عزلها عن التأثير في الساحة.

وكانت ثورة الحزب في القطر العراقي اكثر المستهدفين في تلك الخطة الاستعمارية الرجعية،فالثورة في العراق كانت قد تحولت الى مركز تأثير قوي في الثورة العربية،وقاعدة اسناد

لها،، وكان دورها في حرب تشرين قد عزز موقعها هذا،ثم ان العراق ليس مجرد بلـــد تقدمـــي، وانما هو قاعدة لحزب ثوري قومي،يعتبره الاستعمار من ألد اعدائه،،وهو ايضا واحد مـــن اهـــم الاقطار ومن اكثرها تأثيرا فيها،والى جانب ذلك كله،فان العراق بلد مهم مـــن البلـــدان المنتجـــة للنفط،،وهو صاحب عملية التأميم التاريخية.

لكل هذه الاسباب،كان رأس الثورة مطلوبا في المخطط الاستعماري الرجعي.

وفي آذار عام ١٩٧٤دفع الاستعمار والقوى الرجعية في المنطقة،العميل مصطفى البـــارزاني الى اعلان تمرد عسكري واسع النطاق في شمال العراق،وامداه بحجـــم كبـــير مـــن المســـاعدات العسكرية والمادية،ومنحاه تغطية سياسية واعلامية واسعة.

لقد كان المخطط الاستعماري الرجعي،الذي اسهم فيه النظام السوري بدور خبيث[1]،يســـتهدف استنزاف طاقات النظام الثوري في العراق في حرب داخلية طويلة الامد،مما يؤدي الـــى تســـهيل مهمة اسقاطه،او على اقل تقدير،انهاكه،وشل تأثيره في المنطقة،،مما يسهل تنفيذ مخطط ترتيـــب الاوضاع فيها،غير ان الثورة كانت منتبهة،ومنذ وقت مبكر،الى كل عناصر هذا المخطط،فاســـتعدت له استعدادا سياسيا وعسكريا كافيا،،فما ان اقترب موعد تطبيق الالتزام باعلان الحكم الذاتي فـــي ١١ آذار ١٩٧٤،حتى اعلنت قانون الحكـــم الذاتـــي،وعملـــت علـــى تطبيقـــه،تـــأكيدا لمواقفـــها المبدئية،ولسحب البساط من تحت اقدام الرجعية والاستعمار،وحرصت حرصا شديدا علـــى اتخـــاذ تدابير متوازنة،في جميع الميادين ذات الصلة بالقضية، لتجنب الوقوع في اخطـــاء فنيـــة يمكـــن تضخيمها واستثمارها ضد الثورة.

ثم خاضت الثورة معركة عسكرية ناجحة،قاتل فيها الجيش العراقي ببسالة،وحشدت لها الثورة قوى جماهيرية كردية،كان لها في المعركة دور مهم.

وبعد ان تحولت موازين القوى بين الثورة،وبين قوى الردة في الداخل لصالح الثورة،وبعـــد ان وصلت تلك الموازين بينها وبين ايران،التي كانت تضطلع بالدور الاساس في تموين وتســـليح القوى الرجعية المتمردة،وتؤمن لها القواعد الخلفية،الى مستوى التعادل، وجدت الثورة ان الوقـــت قد حان للوصول الى تسوية متكافئة للمشاكل مع ايران.

---

[1] في بداية التمرد الذي قام به العميل البارزاني،كان يتلقى مساعدات عسكرية مباشرة من النظام السوري لتواجد عناصره في منطقة غرب شمال العراق الى ان تمت تصفية تلك العناصر من تلك المنطقة.

وعلى هذا الاساس اصبح الاتفاق المتوازن بين الطرفين ممكنا،فتم توقيع اتفاقية الجزائر في آذار ١٩٧٥.

وبعد هذه الاتفاقية،وتوقف ايران عن امداد العصاة بالمساعدة،انهارات الحركة الرجعية انهيارا سريعا وتاما.ولم يؤد صمود الثورة الى بقائها واستمرار تأثيراتها في مواجهة المخطط الاستعماري الرجعي فحسب،وانما كان عامل تشجيع واسناد لبقية القوى التقدمية في المنطقة،للاستمرار في مواجهة ذلك المخطط.

ولم تواصل اميركا مساعيها من إجل تحقيق خطوة جديدة على طريق التسوية الا في عام ١٩٧٥،عندما حاول وزير خارجيتها،في آذار من ذلك العام،ترتيب فصل ثان للقوات، ولكن محاولته تلك فشلت،،وعاود الكرة مرة اخرى،فتم التوصل،في شهر آب،الى فصل ثان للقوات على الجبهة المصرية،وهو ما عرف باتفاقية سيناء الثانية.

وبهذه الاتفاقية بدأت مرحلة جديدة من الاحداث والتطورات الخطيرة في المنطقة.

فقد ادت اتفاقية سيناء هذه الى مزيد من كشف الطبيعة الحقيقية للتسوية،التي يسير اليها النظامان المصري والسوري وحلفاؤهما.

لقد تضمنت الاتفاقية تجميد الصراع مع العدو ووضع قوات رقابة اميركية بين القوات المصرية والقوات الصهيونية والسماح بمرور السفن التابعة للكيان الصهيوني في قناة السويس،اضافة الى تعهدات سرية أخرى،، كل ذلك مقابل تراجع القوات الصهيونية الى ما وراء الممرات في شبه جزيرة سيناء،مع ابقائها تحت سلطة قوات الرقابة الاميركية،واعادة حقول نفط ابو رديس(وهي حقول ذات انتاجية صغيرة)الى مصر،وفتح قناة السويس امام الملاحة الدولية، فاذا كان هذا هو الثمن الذي دفع لقاء هذه الاتفاقية،التي لم يحصل فيها النظام المصري الا على مكاسب جزئية من منظور التسوية،فاي ثمن سيرتب على النظامين المصري والسوري،اذا ما جعلت اميركا الكيان الصهيوني ينسحب من الاراضي التي احتلتها في عام ١٩٦٧؟.

كما كشفت اتفاقية سيناء وعلى نطاق واسع الصراعات والمنافسات الداخلية بين انظمة الردة والتسوية.فهذه الانظمة التي فرطت بالمصالح والحقوق الوطنية والقومية الاساسية،لم تكن تتورع عن التصرف بشكل اناني، وعلى حساب شركائها،عندما كانت تجد في ذلك مصلحة مباشرة لها. ولم يكن يجمعها في الواقع سوى الخطر المشترك الذي يتهددها من الجماهير وقوى الثورة العربية،والسير المشترك على طريق الاستسلام.

ان النظام المصري،الذي يعاني من ازمات اقتصادية خانقة،كان يرى بان تحقيق أي خطوة جديدة،على طريق التسوية سيؤدي الى تخفيف تلك الازمات. ومن ناحية اخرى فان وضع النظام المصري من الناحية العسكرية الفنية،تراجعت قواته وراء خطوط الهدنة لعام ١٩٦٧،، لذلك فان النظام المصري كان يستطيع ان يصور اية خطوة جديدة على طريق التسوية،يستعيد من خلالها جزء جديدا من الارض المحتلة على انها((مكسب)).الامر الذي لم يكن متاحا للنظام السوري..ففي الجولان تختلف الظروف كثيرا،ومرونة العدو تجاه الانسحاب منها كانت اقل،بكثير من مرونته تجاه الانسحاب من سيناء،لذلك فان النظام المصري كان اكثر استعجالا من النظام السوري باتجاه تحقيق خطوات جزئية .اما النظام السوري فقد كان مضطرا،تحت ضغط هذه الحقيقة وظروفه السياسية المعروفة الى سلوك سياسة طويلة ومعقدة على نفس الطريق،،مما كان يثير الضيق والتبرم لدى النظام المصري،الذي ما لبث ان اندفع الى اتفاقية سيناء،بصورة انفرادية.فانفجر الخلاف بين النظامين المذكورين على نطاق واسع،وبدأت بينهما حملة شديدة من الاتهامات والتشهير، كشفت الكثير من اسرار تواطئهما مع اميركا،والرجعية العربية.

وفي ذلك الحين اصدرت القيادة القومية بيانا تحليليا وافيا،عن الاتفاقية ومخاطرها على النضال العربي،وشرحت مواقف كل من النظامين المصري والسوري وابعادها،وحذرت بشدة من المخططات الخطيرة،التي توقعت ان يقدم النظام السوري على تنفيذها[1].

بعد فصل القوات الاول على الجبهتين المصرية والسورية،لم يعد للنظامين المصري والسوري ما يضغطان به على اميركا،لدفعها،او دفع العدو، الى التعجيل بالتسوية،اما عامل النفط فلم يكن في ايديهما اصلا،بل كان بأيدي السعودية التي استأنفت ضخه وجمدت اثره في الموقف.

ومن الحقائق الاساسية في الموقف،ان العدو برغم محاولاته للتملص من الانسحاب، كان، في ذلك الوقت،يبدي مرونة للانسحاب من سيناء،اكثر مما كان يبديه في الجولان،بل ان مرونته هنا كانت شبه معدومة،لصغر المنطقة،ولانها ذات تأثير خطير عليه.

لذلك،واذا كان النظام المصري،وبعد انتظار دام اكثر من سنة ونصف السنة،قد استطاع ان يحقق شيئا على طريق التسوية،من خلال اتفاقية سيناء،ويغطي تنازلاته بالتطبيل لاستعادة حقول النفط،واعادة فتح القناة،فان النظام السوري لم يكن قادرا على الحصول على شيء من هذا النوع،وخرج من العملية صفر اليدين.

---

[1] نشر البيان بتاريخ ٣ ايلول ١٩٧٥ بعنوان ((التحليل السياسي للاوضاع العربية الراهنة)).

وقد استثمرت اميركا والرجعية العربية مآزق النظام السوري هذا على اوسع نطاق، واستخدمت النظام،المذكور لتنفيذ اخطر مخططاتها في المنطقة.

وهذه المرة ايضا لم تستمع اوساط تقدمية عربية ودولية عديدة ـ واوساط مهمة في المقاومة الفلسطينية ـ الى تحذيرات الحزب المبكرة،مما كان يعده النظام السوري من مخططات،بتشجيع من الاستعمار الاميركي والرجعية العربية وبتنسيق معهما،وانساقت وراء مصالحها الضيقة وتقديراتها السطحية الخاطئة.

ـ الفصل السابع ـ

الاحداث اللبنانية

ان المازق الذي وجد النظام السوري نفسه فيه بعد اتفاقية سيناء وخروجه من مساعي التسوية صفر اليدين،دفعاه الى تنفيذ مخطط تآمري خطير.

وكانت عناصر ذلك المخطط هي:

(١) التحالف مع النظام الاردني على طريق التسوية .

(٢) اخضاع المقاومة الفلسطينية لارادته،وتصفية القوى المناهضة لسياسته الخيانية بين صفوفها.

(٣) ضرب الحركة الوطنية اللبنانية،والتخلص من تأثيراتها على سياساته واوضاعه الداخلية المهزوزة،واستخدام الورقة اللبنانية لتعزيز موقعه في التسوية .

وبتنفيذ عناصر هذا المخطط كان النظام السوري يستهدف امرين اساسيين،،اولهما:ان يصبح قوة اقليمية مهمة في المنطقة،مما يعزز موقفه التفاوضي في اطار التسوية،ويمكنه من الحصول على ما لم يكن قد استطاع الحصول عليه من الارض الجولان المحتلة. وثانيهما :التخلص من مشروع الدولة الفلسطينية المستقلة الذي كان يعارضه الكيان الصهيوني بشدة،مما كان يحول دون تقدم عملية التسوية،وتصفية القضية الفلسطينية في اطار يشبع مشروع الملك حسين التصفوي المسمى بـ(المملكة العربية المتحدة).

وكان هذا المخطط يلتقي مع مخططات ومصالح اطراف عديدة.

فلقد كان يلتقي مع مصالح اميركا ومخططاتها،لان تصفية المقاومة الفلسطينية واخضاعها لارادة النظام السوري،وتصفية الحركة الوطنية اللبنانية تزيل من المنطقة بؤرة ثورية نشيطة،تعرقل تنفيذ مخطط ترتيب الاوضاع فيها.

كما كان هذا المخطط يلتقي مع سياسة الكيان الصهيوني،لانه كان يرفض منح الفلسطينيين دولة مستقلة في الضفة الغربية وغزة.مهما كانت طبيعة تلك الدولة،ولكن يؤكد بان اقصى ما يمكن ان يقبل به هو اجراء ترتيبات معينة لاجزاء من الضفة الغربية مع النظام الاردني.

وكان النظام الاردني يجد في هذا المخطط مصلحة كبيرة له،،وخلاصا من المأزق الذي وجد نفسه فيه،بعد مؤتمر الرباط الذي انعقد في ٢٦ تشرين اول ١٩٧٤،والذي اتخذ قرارا باعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد للشعب العربي الفلسطيني، مما يعنى حرمانه من الضفة الغربية،في حالة ايجاد ترتيب لها ضمن التسوية .

كما كان هذا المخطط يلتقي مع مصالح ومخططات القيادات الرجعية الطائفية في لبنان، التي كانت تجد في بقاء المقاومة الفلسطينية وقوتها،وتحالفها مع الحركة التقدمية اللبنانية خطرا شديدا عليها.

وكان التحالف بين النظام السوري والاردني امرا سهلا،وسار النظامان على هذا الطريق،، ولكن المشكلة الاساسية كانت في كيفية اخضاع المقاومة الفلسطينية، وضرب الحركة الوطنية اللبنانية. ان اساليب المراوغة والخداع التي اتبعها النظام السوري في السابق، لاحتواء المقاومة الفلسطينية والسيطرة عليها. ومنها دعوة منظمة التحرير الفلسطينية الى اقامة قيادة سياسية وعسكرية معه،لم تحقق الاغراض التي كان يستهدفها،، وكان لابد من اخضاع المقاومة بالقوة .

في هذه الاجواء انفجرت الاوضاع في لبنان،بشروع القيادات الرجعية الطائفية في توجيه الضربات الى المقاومة الفلسطينية في نيسان /١٩٧٥.

لقد كانت القوى الاستعمارية والصهيونية والقيادات الرجعية الطائفية في لبنان،تظن بأن تلك القيادات قادرة وحدها على انجاز ضرب المقاومة الفلسطينية،معتمدة على قواها المسلحة،وعلى اجهزة السلطة اللبنانية على ان يكون دور النظام السوري في العملية مساندا،من خلال ما يقدمه لها من مساعدات وتسهيلات وأسناد سياسي،ومن خلال منظمة الصاعقة العميلة له، والمندسة بين صفوف المقاومة،، واية طريقة اخرى تتطلبها الظروف،، كما كانت تتصور بان الامر لن يأخذ وقتا طويلا.

غير ان استمرار المعارك بين القيادات والاوساط الرجعية الطائفية من جهة،وبين المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية من جهة اخرى،لن يؤد الى تصفية المقاومة والحركة الوطنية،بل اصيبت تلك القيادات والاوساط بخسائر جسيمة،وبدأت اجهزة السلطة اللبنانية تتفكك،ويفلت الزمام من ايدي السلطة العليا،المتمثلة برئيس الجمهورية وقيادة الجيش .

ومع تطور الاحداث في لبنان بهذا الشكل،كانت الحاجة تزداد الى تدخل النظام السوري،بشتى الصور،بدعم الاوساط الرجعية الطائفية،والاستمرار في مخطط تصفية المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية،،فالوفود السياسية والعسكرية السورية كادت تتدفق على لبنان باستمرار،وفي مطلع عام ١٩٧٦ اعلن ماسمي في حينه بالمبادرة السورية، وهي صيغة تسوية جاءت لتكريس مصالح القوة التقليدية،،وبعد فشل هذه المحاولات دخلت في نيسان ١٩٧٦ قوات عسكرية سورية الى مناطق في لبنان مثل عكار وطرابلس والبقاع،،ولكن كل ذلك لم يحقق النتائج المطلوبة، بل على العكس تطورت المجابهة العسكرية في لبنان الى هزائم متكررة للاوساط الرجعية الطائفية والسلطات اللبنانية، واصبحت المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية في موقف عسكري قوي ازاء الطرف الاخر.

ان هذا التطور غير المحسوب كاد ان يقلب، رأسا على عقب،المخطط الذي عمل له النظام السوري والقيادات الطائفية والنظام الاردني، لتشجيع من اميركا والعدو الصهيوني والرجعية العربية،،وكان ذلك يعني تهديد مخطط التسوية،،ومخطط ترتيب الاوضاع في المنطقة تهديدا خطيرا .

عند هذه النقطة الحاسمة اضطر النظام السوري الى الاسفار عن كامل حقيقته،كنظام يؤدي دورا مشبوها في المنطقة،،عندما شن،في مطلع حزيران ١٩٧٦،حملة عسكرية واسعة النطاق على المقاومة الفلسطينية الحركة الوطنية اللبنانية،،فقد كشفت هذه الحملة بما لا يقبل الشك،تواطؤ النظام السوري في لبنان علنا،ويكشفها تنسيقهما معه .

وقد ظنت الاوساط الاستعمارية والصهيوينة والرجعية،واوساط عديدة اخرى ان النظام السوري سينجز الحملة خلال ايام قلائل،لما كان يناله من التأييد الذي اشرنا اليه،فضلا عن ان بدء حملته العسكرية اثناء وجود رئيس الوزراء السوفييتي في دمشق اعطى الانطباع بان الاتحاد السوفييتي ــ هو الاخرــ يساند النظام السوري في حملته هذه،،مما جعل اوساطا عربية ودولية عديدة تسكت عن الغزو العسكري للبنان .ولكن هذا الظن لم يتحقق ايضا،،فلقد لقى النظام

السوري مجابهة شديدة من جانب المقاومة الفلسطينية والجماهير اللبنانية،وقواها التقدمية،وتكبد خسائر مهمة.

وفي الواقع ان الحزب كان هو الطرف الوحيد،تقريبا،الذي قدر،منذ بداية الحرب العسكرية لنظام الردة في سورية،بانها لن تتمكن من تحقيق اغراضها بسرعة .

لقد كانت المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية تسيطران على جزء كبير من لبنان، ومن المناطق الستراتيجية فيه،،وخلال فترة القتال الطويلة،كان قد نشأ مد جماهيري ثوري واسع النطاق، وكانت الروح القتالية عالية بين صفوف الجماهير الفلسطينية واللبنانية،كما كان الاستعداد للتضحية كبيرا،،وطيلة فترة القتال كان الحزب وثورته في القطر العراقي يمدان المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية بالاسلحة والعتاد والتموين وبالدعم المادي والمعنوي،وعلى نطاق واسع،مما مكنهما من الصمود ومواصلة الكفاح،،فقد قامت منظمة الحزب في لبنان بدور باسل في الاحداث، وسارك ومناضلو الحزب ومناضلو جبهة التحرير العربية في المعارك مشاركة فعالة،وقدما مئات الشهداء،فاتسعت قاعدتهما وازداد دورهما في الاحداث،،كما كان الحزب وفي خضم المعركة التي كثرت فيها الاجتهادات والاخطاء،، يؤكد على النهج القومي،ويحذر من الانجرار الى صيغ الصراع الطائفي .وكان للحزب،من خلال منظمته في لبنان وجبهة التحرير العربية،ومن خلال قيادته السياسية،وثورته في القطر العراقي علاقات واسعة مع اوساط عديدة في المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية،،وكان يؤكد باستمرار، ضرورة التماسك والعمل المشترك بين الاطراف الوطنية وبينها وبين المقاومة الفلسطينية. فقد وفرت هذه العوامل، مجتمعه، ظروفا جيدة نسبيا لتعزيز ارادة الصمود عند المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية.

وعند دخول قوات النظام السوري الى لبنان،بادر الحزب الى تحمل مسؤولياته القومية الثورية في هذه المعركة واضطلع بدور مهم جدا في الاحداث.ونشطت الثورة نشاطا عربيا ودوليا واسع النطاق،سواء على الصعيد الجماهيري وصعيد الاحزاب والمنظمات[1]،او على صعيد الحكومات لدعم المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية وفضح ابعاد المؤامرة الخطيرة

---

[1] دعا الحزب الى عقد المؤتمر الشعبي العربي لنصرة المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية في لبنان،في حزيران عام ١٩٧٦ كجزء من حملة التعبئة الشعبية الواسعة التي حشدها ضد تدخل النظام السوري في لبنان،كما دعا الى مؤتمر دولي عقد في اثينا لنفس الغاية.

التي كاد ينفذها النظام السوري،،وقد ادى هذا النشاط الى تكوين رأي عام واسع ومؤثر في الاوساط العربية والدولية التقدمية،ضد غزو قوات النظام السوري للبنان .

كام اتخذت القيادة قرارا مهما،لارسال اعداد كبيرة من المتطوعين المقاتلين الى لبنان،،وبالفعل تدفق المتطوعون المقاتلون على الساحة اللبنانية،وشاركوا في المعارك مشاركة بطولية،الى جانب رفاقهم البعثين، ومناضلي المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية.

واستفاد الحزب والثورة،بذكاء وصبر.من علاقاتهما العربية والدولية،ومن التناقضات القائمة في الساحة العربية،وعلى الصعيد الدولي لتأمين الاسناد السياسي،والعسكري، والمادي للمقاومة والحركة الوطنية اللبنانية.

ولابد هنا من الوقوف عند نقطة مهمة،في خريطة الموقف العربي والدولي،تجاه ما كان يجرى في لبنان في ذلك الوقت،لما لذلك من اهمية في تطور الاحداث وفي المنطقة العربية.

لقد كان النظام السوري يحظى،في تنفيذ مخططه بدعم اميركا والكيان الصهيوني، وكان النظام الاردني يقف الى جانبه بقوة،فضلا عن تعاونه مع الاوساط الرجعية الطائفية في لبنان.

اما في الانظمة الرجعية العربية،وفي مقدمتها السعودية،فانها كانت تدعم النظام السوري دعما ماديا وسياسيا قويا،وكانت تشيد بدوره في لبنان.

وفي الجانب الاخر وقبل اقدام النظام السوري على الاجتياح العسكري الشامل للبنان، كانت اوساط مهمة في قيادات المقاومة الفلسطينية،وبعض القيادات في الحركة الوطنية اللبنانية تتعامل مع النظام السوري،بل كان بعضها يسعى الى اقامة علاقات جيدة معه، ويشيد به، برغم دوره الواضح حتى قبل الاجتياح العسكري، في مساندة الطرف الرجعي الطائفي، كما كانت الانظمة العربية المحسوبة على الصف التقدمي،وبرغم ما كانت تشعر به،وتعبر عنه احيانا،من ضيق وشكوك بسياسات النظام السوري،تقف منه،بشكل عام، مواقف ايجابية.

اما الاتحاد السوفييتي،وحتى اقدام النظام السوري على اجتياح لبنان والاصطدام المفضوح بالمقاومة والحركة الوطنية اللبنانية،فانه كان يقف موقفا ايجابيا منه،ويمنحه غطاء من التأييد المعنوي.

وقد استفاد النظام السوري من تحالفاته الوطيدة مع المعسكر الاستعماري والصهيوني والرجعي من جانب،ومن تلك المواقف قصيرة النظر والانتهازية،التي وقفتها منه بعض القوى التقدمية العربية والدولية من جانب اخر،لتغطية مواقفه،والمضي في تنفيذ مخططه التآمري.

ولكن بعد اقدامه على الاجتياح العسكري في لبنان،في حزيران ١٩٧٦،ونشوب معركة ضارية بينه وبين المقاومة الفلسطينية،وبعد ان تأكد تماما بان عمليته هذه لن تنتهي في ايام،كما كان متصورا ومخططا لها، لم يعد بالامكان طمس الفضيحة او غض النظر عنها.

لقد اضطرت الاوساط التي كانت تقف موقفا انتهازيا -ن النظام السوري،وبين صفوف قيادات المقاومة والحركة الوطنية اللبنانية،ان تخضع للموجة الجماهيرية القوية،الداعية الى اتخاذ موقف الصمود والاستبسال، ضد غزو ذلك النظام.

اما الانظمة المحسوبة على الصف التقدمي فقد كانت مواقفها من جريمة النظام السوري هذه تتسم بالتردد والتذبذب وعدم اتخاذ موقف حازم وصريح،،فهي كانت تمنح المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية اسنادا سياسيا واعلاميا جزئيا،وتنتقد باساليب مخففة وغير منتظمة اعمال النظام السوري،وكان البعض منها،يقدم للمقاومة وللحركة الوطنية اللبنانية بعض المساعدات المادية والعسكرية،وفي الوقت نفسه كان يحرص على البقاء على الجسور مع النظام السوري والتعامل معه،واتخاذ مواقف الوساطة بينه وبين المقاومة والحركة الوطنية اللبنانية تحت ذرائع شتى.

ومهما كانت تلك الذرائع فان المحصلة النهائية لتلك المواقف قد اضرت بالمقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية،ومنحت النظام السوري ما كان بأمس الحاجة اليه من الفرص لتكسير النقمة الشعبية المتراكمة ضد جريمته الخيانية في داخل سورية،وفي لبنان، وفي الساحة العربية،وكذلك في لاوساط التقدمية والدولية.

اما الاتحاد السوفييتي، وبعد فترة[1]من اقدام النظام السوري على الاجتياح العسكري للبنان،فقد صار ينتقد هذا العمل بصورة تصاعدت تدريجيا،واتخذت في بعض الاحيان لهجة حادة نسبيا،غير ان موقفه الاساس كان يتحدد بالالحاح على ايقاف الصدام وتطويق ما يسمى بالازمة بين النظام السوري والمقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية،مع ابقاء الجسور قائمة مع النظام السوري،، وبصورة عامة فان موقفه كان يشبه،في كثير من اوجهه،الموقف الذي اتخذته الانظمة المحسوبة على الصف التقدمي العربي.

---

[1] اقدم النظام السوري على توقيت اجتياحه العسكري الواسع للبنان في الوقت الذي كان يدور يزور دمشق رئيس الوزراء السوفييتي.

وفي الجانب الاخر،وبرغم اسناد القوى الرجعية للنظام السوري فان تدخله في لبنان لصالح القوى الانعزالية لفترة طويلة،واصطدامه الدموي العنيف بالمقاومة والحركة الوطنية اللبنانية أوقع تلك الانظمة في حرج شديد.فالنظام السعودي مثلا،كان يلاقي حرجا امام الرأي العام في السعودية،لدعمه موقف النظام السوري،الذي كان يقاتل الى جانب القوى الطائفية في لبنان ضد المقاومة والحركة الوطنية اللبنانية التي كانت غالبيتها من المسلمين، في الوقت الذي يدعي هذا النظام بانه حامي الاسلام.

وكانت الانظمة الرجعية الاخرى تواجه حرجا شديدا للسبب ذاته، اضافة الى عدم قدرتها على مواجهة عطف الجماهير على المقاومة الفلسطينية بوجه خاص،،فلقد باتت الفضيحة كبيرة جدا،وقذرة،واستمرت وقتا طويلا،بحيث لم يعد ممكنا التعاضي عنها.

وكان للنظام المصري دور خاص في تلك الاحداث،،فقبل اتفاقية سيناء وقبل بروز التحالف بين نظام الردة في سورية والقوى الرجعية الطائفية اللبنانية على النحو الذي كشفته الاحداث فيما بعد،كان للنظام المصري علاقات حسنة مع تلك القوى،وبعد ان انفجر الخلاف بين النظامين السوري والمصري،بعد اتفاقية سيناء،والذي كان النظام السوري خلاله يشن الحملات الشديدة والمقذعة ضد النظام المصري،وقف النظام المصري ضد مواقف وسياسات النظام السوري تجاه لبنان والمقاومة الفلسطينية،،فشن من جانبه حملات واسعة على النظام السوري ومواقفه وسياساته وسعى الى مجاملة المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية، وحاول من خلال ذلك، ان يحسن صورته، بعد ان شوهتها كثيرا اتفاقية سيناء كما صار ينتقد مواقف بعض القيادات الرجعية الطائفية اللبنانية. وقد وسعت الثورة في القطر العراقي الى الاستفادة من هذا التناقض بين النظامين المصري والسوري ــ رغم معرفتها بانه تناقض ثانوي ومؤقت ــ لدعم المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية، وبالفعل وافقت الحكومة المصرية على تقديم تسهيلات لنقل المتطوعين والاسلحة من العراق الى لبنان،بعد الاجتياح العسكري لقوات النظام السوري للبنان،وفي وقت كانت المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية بأمس الحاجة الى الدعم العسكري، بالرجال والعتاد.

ان فهم اسباب الخلاف بين النظامين المصري والسوري في تلك المرحلة أمر مفيد، لفهم اسباب انتهاء الخلاف فيما بعد،،في مؤتمر الرياض في ٦ تشرين اول ١٩٧٦،ولفهم الاوضاع في المنطقة العربية.

ان اميركا ــ برغم حاجتها الى تحالف النظامين المصري والســوري،فيمــا بينــهما وبيــن السعودية وبقية الانظمة الرجعية،لتنفيذ مخططها في المنطقة، وفي مواجهة القوى الثورية فيــها ــ تضع في حسابها ان يكون هناك قدر من التنافس بين النظامين، كلما كان ذلك يخدم مصالحــها اكثر،، وهذا ما كان عليه الحال حينذاك،، فبرغم الشتائم المقذعة التي كــان يتبادلــها النظامــان المصري والسوري فيما بينهما،كان كل واحد منهما يحاول ان يثبت للاستعمار الاميركي،انه اقــدر من الاخر على خدمة مصالحه ومخططاته،كي ينال لديه خطوة اكبر، بالتالي يحصل على حصــة افضل من التسوية،،والواقع،ان اميركا التي كانت قد ضمنت،عند ذاك وقوع النظام المصري بشكل كامل في مخططها،كان من مصلحتها ان تدعم النظام السوري دعما خاصا،كي يقع،اكثر فأكثر،في ذلك المخطط،،ثم ان النظام السوري وحدة،بحكم موقعه الجغرافي وبحكم ورقة ((التقدمية)) التــي يلعبها في المجالين العربي والدولي،كان اقدر من أي نظام آخر على تأدية الدور القذر، في ضرب المقاومة والحركة الوطنية اللبنانية، وفي التآمر على الثورة في القطــر العراقــي، وكــان هــذا الموقف الاميركي من النظام السوري يثير حنق قيادة النظام المصري وحسدها. وما ينطبق على الاستعمار ينطبق ايضا على حليفته ووكيلته السعودية،والانظمة العربية الاخرى.

فكلا النظامين المصري والسوري كان يحاول ان ينال خطوة اكبر لدى السعودية، للحصــول على نصيب افضل من مساعداتها المالية،،كما كانا في بعض الاحيان يتفقان معا ضدها، لابــتزاز المزيد من الاموال منها،لذلك فأن السعودية كانت تشجعها على الوفاق، عندما تلوح فــي الافــق اخطار تهدد المخطط الاستعماري الرجعي .وتشجعهما على الخلاف لزيادة هيمنتها غليهما،وعلــى شؤون المنطقة.

وقد استمرت هذه اللعبة اشهرا عديدة،،ولكن المقاومة الباسلة التي واجهت قــوات النظــام السوري في لبنان،وتعاظم دور الحزب وثورته في المعركة وارتفاع حدة الغضب الجماهيري فــي كل الساحة العربية،،هذه العوامل،مجتمعة،جعلت الاستعمار الاميركي،والســعودية،وكــل القــوى الرجعية تخشى افلات زمام الموقف من ايديها،فسعت الى تجميد تلك اللعبــة وتطويــق الحريــق الكبير،ولم شمل اطراف التسوية من جديد .

وعلى هذا الاساس ضغطت السعودية،ومعها الكويت وبقية القوى الرجعيــة،علــى قيــادة النظامين المصري والسوري،وعلى قيادة منظمة التحرير الفلسطينية ضغطا شديدا، حتى جمعتــهم في الرياض ودفعتهم الى تسوية المشاكل،،والعمل لاســتئناف مســيرة التســوية، خاصــة وان

الانتخابات الاميركية كانت على الابواب،وكان متوقعا ان يبدأ بعدها نشاط اميركي جديد بأتجاه التسوية.

وبعد اتفاق الرياض،والغطاء العربي الذي حصل عليه من اجتماع مؤتمر القمة في القاهرة [1]،سعت تلك الاطراف الى ترميم المشاكل القائمة فيما بينها،وتوثيق تعاونها على اساس السير معا،بخطى مشتركة،باتجاه التسوية،وبالشكل الذي يحصل فيه الجميع على نتائج مرضية لهم.

وعلى هذا الاساس ايضا انطلقت الدعوات الى المصالحة بين النظام الاردني وقيادة منظمة التحرير،كما انضم النظام المصري الى الداعين لاقامة علاقات خاصة،بين النظام الاردني ومنظمة التحرير،في اطار التسوية المنتظرة.

وهكذا بدأت،بعد اتفاق الرياض،وبعد مجيء الادارة الاميركية الجديدة مرحلة اخرى في الصراع العربي ـ الصهيوني .

وهنا لابد من الوقوف،بعد وقفة خاصة،عند الاحداث اللبنانية.

ان ما ذكرناه عن الاحداث اللبنانية،وصلتها بالاوضاع والتطورات في المنطقة انما يشكل احد جوانبها الخطيرة .غير ان للاحداث اللبنانية أوجها اخرى تنطوي على نتائج واحتمالات خطيرة على الاوضاع في الوطن العربي،وعلى الصراع العربي ـ الصهيوني، كما ان اهداف النظام السوري من تدخله في لبنان،لاتقف عندما ذكرناه،فاه الى جانب ذلك أهداف اخرى.

لقد كان النظام اللبناني نظاما فريدا من نوعه في الوطن العربي،، ويشكل حالة استثنائية فيه.كانت فيه اشكال النظام الديمقراطي الليبرالي،كالبرلمان والصحافة والاحزاب والمؤسسات العامة والجمعيات وغيرها،ولكن برغم هذا الشكل الذي كان يبدو متقدما،والذي كان يخفي حقيقة النظام وتناقضه الشديدة،فان النظام اللبناني كان يقوم،على قاعدتين:الاولى،هي قاعدة التقسيم والتمييز بين المسلمين والمسيحين،وبين طوائف كل منهما، والقاعدة الثانية :هي قاعدة العلاقات والنفوذ الاقطاعي والعشائري والعائلي،ونفوذ اصحاب رؤوس الاموال،كما كان للمؤسسة العسكرية اللبنانية نفوذ خاص نشأ،بصورة خاصة،منذ عهد الرئيس السابق فؤاد شهاب.

وكان اغلب التكوينات السياسية التقليدية قائما على هاتين القاعدتين،اما التكوينات السياسية التقدمية فكانت على نوعين :نوع محلي لم يسلم هو ايضا من التأثر،بشكل او بآخر، بالقاعدتين المذكورتين،برغم اختلافه الفكري والسياسي عن التكوينات التقليدية، والنوع القومي ـ كحزبنا

---

[1] ٢٥ تشرين اول ١٩٧٦

ـ الاممي كالحزب الشيوعي.وكان هذا النوع الاخير متكونا وفق اسسه واتجاهاته الفكرية والسياسية .

كان النظام اللبناني نظاما شبه اقطاعي،وشبه رأسمالي،يغلب عليه الطابع الكومبرادوري،ويعتمد اعتمادا واسعا في اقتصاده على السياحة والسمسرة والخدمات المصرفية،وكان لبنان،ومنذ وقت طويل جدا،مركزا لتجميع رؤوس الاموال العربية الرجعية ونشاطها،كما كان،منذ وقت طويل جدا،اهم مركز لنشاط المخابرات الدولية في المنطقة.

وكان لبنان يعيش،في الواقع،على اساس موازنة دقيقة جدا بين هذه المجموعة المعقدة والمتشابكة من الظروف والتناقضات والمعادلات، التي سميت لفترة طويلة بـ((الضيغة اللبنانية))،، ولكن تلك الصيغة،وبرغم اشتهار مقدرة القيادات التقليدية اللبنانية في الحفاظ عليها،كانت،في الواقع،قلقة،وغير مقنعة للاغلبية الساحقة من اللبنانيين .وقد اكدت الاحداث المعاصرة ان الاوضاع العربية المحيطة،والقوى الدولية الفاعلة في المنطقة تؤثر تأثيرا مهما في تلك الصيغة .فبعد قيام الوحدة المصرية ـ السورية في عام ١٩٥٨، وتغير موازين القوى في المنطقة على اثرها،تعرضت تلك الصيغة للاختلال،وانفجر في لبنان صراع ساخن واسع النطاق،،ولكن ما لبثت القيادات التقليدية اللبنانية، وبمعاونةالاستعمار الاميركي الذي دخلت قواته المسلحة الى لبنان،ان طوقت الصراع،وحافظت على تلك الصيغة، مع تعديلات طفيفة،،وقد حظى في حينه بموافقة دولة الوحدة المصرية ـ السورية .

وفي الظروف العربية القلقة والمتغيرة والمتفجرة،بعد هزيمة حزيران واحداث ايلول في الاردن،وحرب تشرين الاول،كانت الصيغة اللبنانية اكثر تعرضا للاختلال والاهتزاز.

فبرغم موقف القوى التقليدية الطائفية اللبنانية المعادي لحركة التحرر العربية،وبرغم امتناعها عن المشاركة المباشرة في أي شكل من اشكال الصراع العربي ضد العدو الصهيوني،انفتحت الساحة اللبنانية،وضد ارادة تلك القوى،وعلى نطاق واسع جدا،امام قوات المقاومة الفلسطينية، بعد اخراجها من الساحة الاردنية،حتى اصبحت المقاومة قوة مسلحة هائلة بالقياس الى حجم لبنان،واجهزته العسكرية والامنية،كما اصبحت قوة سياسية مهمة جدا،ومركز استقطاب لشبكة واسعة من التحالفات والعلاقات سواء مع القوى التقدمية اللبنانية،او مع اوساط عديدة،سياسية واجتماعية ودينية واعلامية وجماهيرية.

ان وجود المقاومة الفلسطينية بهذا الشكل في لبنان،قد رافق من ناحية، وسبب من الناحية الاخرى،او ساعد على بروز اوضاع جديدة،وعلى اشتداد وتفاقم ازمات وتناقضات قديمة فيه،وبدأت الصيغة اللبنانية القلقة تتعرض الى خلل واهتزاز خطيرين.

ان دخول المقاومة الفلسطينية،ادى،كما ذكرنا،الى تشجيع الحركة الوطنية اللبنانية، والى تصاعد المد الجماهيري،وازدهار في النشاط الفكري والسياسي التقدمي.كما ان القوى التقدمية التي كانت،حتى قبل سنوات عنصرا ضعيفا وقليل الاثر في الاوضاع اللبنانية، بدأت تشعر بالقوة وتنازع القوى التقليدية في مواقعها السياسية والاجتماعية،كما صارت تطالب،بقوة بالتغيير السياسي والاقتصادي والاجتماعي .ومع ان الحركة الوطنية كانت تظهر بأكبر من حجمها الحقيقي،فأن تلك الظروف أدت،في الواقع الى تغيير ملموس في موازين القوى،بين القوى التقدمية في لبنان من جهة،وبين القوى التقليدية كلها من الجهة الأخرى،مما بات يهدد مصالح الاخيرة ونفوذها،بشكل لم تألفه من قبل .

ومن ناحية اخرى فان هذا التطور ادى الى تغيير ملموس في موازين القوى التي كانت سائدة،من قبل،بين الطوائف اللبنانية.فمن المعروف ان الحركة الوطنية اللبنانية كانت أكثر انتشارا بين الاوساط الاسلامية، فأعتبرت القيادات التقليدية الطائفية المسيحية،وبخاصة المارونية منها، هذا الوجود الكبير والقوي للمقاومة الفلسطينية،ونهوض الحركة الوطنية اللبنانية بالشكل الذي ذكرناه ترجيحا لكفة المسلمين،وبالتالي،تهديدا لسلطتها، ونفوذها، اللذين استمرا منذ عهد الاحتلال الفرنسي،حتى ذلك الوقت.

وقد نشأ عن ذلك تناقضات وتشابكات فريدة من نوعها في الاوضاع اللبنانية،فالقوى التقليدية الطائفية الاسلامية كانت تشارك القوى التقليدية الطائفية المسيحية تبرمها وقلقها من وجود المقاومة الفلسطينية، ونهوض الحركة التقدمية اللبنانية، ولكنها – في الوقت نفسه – كانت مضطرة الى اعلان عطفها على المقاومة الفلسطينية،والمبادرة الى تقليل حدة الضربات التي كانت توجه اليها من السلطة والقيادات الطائفية المارونية، للحفاظ على قواعدها الانتخابية الاسلامية،التي كانت تتعاطف مع المقاومة الفلسطينية،، ومن ناحية اخرى فان بعض هذه القيادات التقليدية الطائفية الاسلامية وجد،في تلك الاوضاع، ظروفا ملائمة للحصول على مواقع افضل في المعادلة الطائفية،وبالتالي في المغانم السياسية والاجتماعية والاقتصادية الناشئة عنها.

وكانت الاطراف العشائرية في الصيغة اللبنانية،بوجه خاص،مسلحة بالاساس، وتمارس العنف والارهاب في بسط سلطانها على الجماهير، وفي تصفية خلافاتها مع منافسيها .وبعد دخول المقاومة الفلسطينية،بتسليحها الكثيف وتعاون القوى الوطنية معها، وميلها نحو التسلح،وانخراط اعداد كبيرة من الشباب في صفوف المقاومة،وتعاملهم مع السلاح،انتشرت ظاهرة التسلح في لبنان على نطاق واسع،وازدهرت تجارة السلاح،،ومما زاد الحاجة اليه، حتى من قبل المواطنين العاديين،التدهور المستمر في الاوضاع الامنية، واتساع نطاق الجرائم،وانتشار العصابات،، وقد ادى انتشار السلاح،من ناحية،الى تفاقم هذه الظواهر تفاقما خطيرا،، فاسهمت، هي الاخرى،في زيادة تدهور الاوضاع.

ولفترة طويلة كان لبنان يبدو من اكثر البلدان العربية ازدهارا من الناحية الاقتصادية، وكانت معدلات المعيشة فيه مرتفعة عن مثيلاتها في اغلب البلدان العربية،كما كانت قد تراكمت فيه ثروات هائلة للبنانين،والعرب المقيمين في لبنان،،غير ان ذلك الازدهار، الذي كان ازدهارامصطنعا ومستندا الى الطبيعة التجارية الكومبرادورية،وعلى السمسرة والصفقات المشبوهة والدخول السرية،بدأ يهتز امام المتغيرات الجديدة في الوضع الاقتصادي العربي والدولي،،ففي ذلك الوقت ارتفعت مداخيل كثير من البلدان المصدرة للنفط،بمعدلات عالية،ولم يعد لبنان،كما كان في السابق، يكفي كمسرح لنشاطها الاقتصادي،كما انعكست اثار التضخم والغلاء في الاقتصاد الدولي على لبنان انعكاسا حادا.وبسبب الطبيعة الطبقية الاستغلالية للنظام اللبناني،وهيمنة الطبقة الثرية على مقدرات البلاد الاقتصادية والسياسية،اتسعت الفوارق بين الطبقات،وازدادت حدة التناقض الطبقي،كما أدى فساد جهاز الدولة،وعجزه الذي تفاقم في الظروف الجديدة،الى شل اية محاولة لايجاد أي علاج لمشكلات التضخم والغلاء، والاحتكار الفاحش،والبؤس المستشري. وقد برزت الفوارق الطبقية في تلك الفترة بروزا حادا جدا،وكانت تؤججها ت يوميا ـ التصرفات المستهترة للطبقة المترفة،والتي كانت مادة للصحافة ومظهرا مألوفا ومشاهدا في الحياة اللبنانية.

وصارت الجماهير تقترب بسرعة من حافة الادقاع،وكانت قد تكونت، بخاصة بعد الهجرة من الريف البقاعي والجنوبي ـ حول العاصمة خاصة،مجمعات سكانية في حالة شديدة من البؤس .ولم تقف الازمة الاقتصادية عند حدوث التأثير على الجماهير الكادحة،بل انتقلت بتأثيرها الحادة الى الطبقة الوسطى،والتي كانت واسعة العدد والنفوذ،فأصبحت تواجه ظروفا معاشية صعبة،بعد

ان كانت تلك الطبقة في السابق تعيش في بحبوحة،وتشكل صمام امـان،وعـامل اسـتقرار فـي الاوضاع اللبنانية،السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ان هذه الظروف افزعت القيادات التقليدية اللبنانية كلها،،وجعلت القيادات الطائفية المارونية منها،بوجه خاص،تعمل،ومنذ وقت مبكر،لمواجهتها بخطين،،الاول :هـو الاسـتعانة بمؤسسـات السلطة،وبخاصة الرئاسة وقيادة الجيش والاجهزة الامنية،للتصـدي للمقاومـة الفلسـطينية وحلفائها،والثاني هو التسلح والاعداد للصدام المباشر مع المقاومة، من خلال تشكيلات طائفيـة منظمة ومسلحة على مستوى جيد،،وقد استعانت تلك القوى بضباط الجيش اللبنـاني والرتزقـة الاجانب والعناصر الصهيونية،كما قدم لها النظام الاردني مساعدات وخدمـات عسـكرية وفنيـة واسعة،وقدم لها النظام السوري الكثير من التسهيلات.

وفي السنوات ١٩٦٩ ــ ١٩٧٣ حاولت الزعامات التقليدية الطائفية المارونيـة اسـتخدام السلطة وامكاناتها بصورة مباشرة،لضرب المقاومة الفلسطينية،ولكن تلـك المحـاولات فشـلت، بسبب ضعف السلطة وتعدد اطرافها،وتناقض مصالح وسلوك تلك الاطراف تجاه القضية،وبسـبب تدخلات الاطراف العربية،،وقد ادى ذلك الى ترجيح الخط الثاني،وهو الاعتماد،بشكل اكـثر،علـى التشكيلات الطائفية المنظمة والمسلحة.

ومن ناحية اخرى،كانت تلك القيادات تعمل باتجـاهين،،الاول :محاولـة تصفيـة المقاومـة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية واستعادة سيطرتها على كل لبنان،كما كان عليه الحال فـي السابق.

والثاني:هو الاستعداد للانفصال واقامة كيان مسيحي مستقل،بقيادة طائفة مارونيـة،اذا مـا فشلت المحاولة الاولى.

لقد بقي هذان الاتجاهان سائدين في الساحة اللبنانية حتى هذا اليوم، وكان الثـاني يرجـح على الاول،كلما ضعفت آمال القيادات التقليدية الطائفية المارونية باستعادة سلطتها السابقة علـى كل لبنان.

ولكن مسألة الانفصال كانت مرتبطة ارتباطا وثيقا بمواقف الاطراف العربية والدولية المؤثرة في لبنان،وفي الوضع العربي كله،كما كانت مرتبطة بالمخطط الصهيوني في المنطقة.

وقبل الدخول في هذا الجانب،لابد من الوقوف عند اوضاع المقاومة الفلسطينية والحركـة الوطنية اللبنانية،ومواقفها من الاوضاع والتطورات في لبنان.

في الفترة التي سبقت انفجار الصراع في لبنان،وفي المراحل الاولى منه،حذرت قيادة الحزب المقاومة الفلسطينية والقوى الوطنية اللبنانية من مغبة الانجرار الى الصراع المسلح مع السلطة اللبنانية والقيادات الطائفية،ومن توفير المبررات للطرف الاخر لتفجيره.وكان تقدير القيادة يقوم على اساس ان المقاومة والحركة الوطنية اللبنانية ليس لديهما هدف ستراتيجي من مثل هذه المعركة،فلاهما راغبتان في اسقاط السلطة في لبنان،واحلال سلطة جديدة محلها،ولا هما بقادريين على ذلك حتى وان رغبتا،.لذلك،فان المبادرة ستكون دائما في ايدي الطرف الاخر،الذي سيسعى،في الوقت المناسب له محليا وعربيا ودوليا،الى اشعال الصراع او تجميده.

وكان رأي قيادة الحزب ان تسعى المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية،بكل سبيل ممكن،الى تغليب الاسلوب السياسي في الصراع،لانه الاسلوب الوحيد المناسب لهما،والذي يجنبهما الضربة المحتملة.

غير ان المقاومة الفلسطينية لم تكن موحدة الرأي والارادة،،ولم يكن لديها ستراتيجية واضحة، ولا تكتيكات مبرمجة ومتفق عليها،لمواجهة الاوضاع في لبنان واحتمالاتها الخطرة، فوجدت نفسها هي والحركة الوطنية اللبنانية،يوما بعد آخر،منجرة الى الصراع وغارقة في تفاصيله.

وكانت السمة الغالبة على موقفها في الاحداث اللبنانية ــ وكما توقعت قيادة الحزب ــ هي سمة رد الفعل والدفاع،وان اتخذ دفاعها،في بعض الاحيان،مواقف بدت وكأنها ذات طابع هجومي،،وبقي زمام المبادرة، بشكل عام في ايدي الطرف الرجعي الطائفي والاطراف العربية والدولية المحركة للصراع.

ان القوة العسكرية الكبيرة التي كانت تمتلكها المقاومة الفلسطينية وفشل السلطة اللبنانية الذريع في مواجهتها في السنوات السابقة،والتأييد الذي كانت تلقاه من الجماهير اللبنانية والقوى التقدمية،وجو المجاملة والتملق، الذي كانت تحيطها به الاوساط اللبنانية،على اختلاف منابعها الطائفية،سواء بدوافع انتهازية،أو بهدف احتوائها،،كل ذلك جعل المقاومة الفلسطينية عموما تبالغ في تقدير قوتها بين موازين القوى في لبنان،بل ان بعض اوساطها وقياداتها، وكما حصل في الاردن،وصل الى درجة عالية من الغرور في تقديراته،ولم تقدر تلك الاوساط والقيادات تقديرا صحيحا الاضافات التي يمكن ان تطرأ على موازين القوى القائمة لصالح الطرف الآخر،من جانب قوى عربية ودولية عديدة في حالة انفجار الصراع.

وكان لارتباط قيادة منظمة التحرير الفلسطينية بمسار التسوية،وسوء تقديرها لحقيقة الموقف السوري من جميع الجوانب،تجاهها هي،وتجاه لبنان بوجه خاص،أثر بالغ في اضعاف حركة المقاومة وانزلاقها الى المخطط المرسوم،ولم تنفع تحذيرات الحزب لها من نوايا النظام السوري ومخططاته المشبوهة،بل على العكس،فان تلك القيادة التي اندفعت وراء مخططات التسوية،كانت شديدة الاقتراب من النظام السوري،وظلت تتعامل معه،حتى آخر لحظة،قبل الاجتياح العسكري في حزيران ١٩٧٦،،وحتى بعد ذلك الاجتياح بقيت اطراف عديدة منها،ومن (فتح)بالذات،تتعامل مع النظام المذكور،،مما سهل كثيرا تنفيذ مخططاته، واضاع على المقاومة فرصة الاستعداد وتجنب المزالق .وقد كان للنظام السوري في داخل المقاومة،جيب مهم هو منظمة (الصاعقة)،التي كانت تؤمن المعلومات عن اوضاع المقاومة وموقفها،وينفذ تحت ظلها مخططاته ومؤمراته باثارة الفتن واشعال النار،واجهاض التحالفات،واثارة التشويش والتوتر،والاساءة الى سمعة المقاومة الفلسطينية، وتخريب علاقاتها بالجماهير،من خلال جرائم السرقة والابتزاز والاغتصاب،واسعة النطاق، التي كانت تمارسها المنظمة المذكورة والتي انجرت اليها أوساط كثيرة من سائر فصائل المقاومة،من دون ان تنتبه قيادة المقاومة بقدر كاف الى خطورة دورها هذا، وارتباطه بالمخطط المشبوه الذي يجري تنفيذه ضدها وضد القضية العربية، على يد النظام السوري، والقوى الاستعمارية والصهيونية والرجعية والطائفية .

ومن ناحية اخرى،فان استمرار وجود المقاومة الفلسطينية في لبنان بظروفه السياسية والاجتماعية والاعلامية المعروفة،وسيادة اساليب الافساد والارتزاق،والسمسرة،والتملق، والتحالفات الانتهازية،في كثير من جوانب الحياة السياسية والاجتماعية فيه،اغرت بعض القيادات والاوساط السياسية اللبنانية،باقامة شبكة واسعة من العلاقات السياسية والاجتماعية والظهور في المجتمع اللبناني،وفي السلطة اللبنانية بمظهر الوجهاء والمتنفذين.

وقد ظنت قيادات المقاومة الفلسطينية انها،من خلال ذلك،تستطيع ان تعزز نفوذها في لبنان، وبالتالي تتجنب الضربة،ولكنها لم تدرك ان هذه اللعبة ذات حدين،فاذا لم يمتلك اللاعب فيها ارادة موحدة، ورؤية واضحة،ستراتيجية وتكتيكا مبرمجا،فان اللعبة يمكن ان تنقلب عليه فيتضرر منها اكثر مما ينتفع،وهذا ما حصل بالفعل،،فلقد كان الطرف الاخر يحقق، من هذه اللعبة،منافع اكثر بكثير مما كانت تحققه المقاومة من خلال تغلغله فيها، واحتوائه لبعض قياداتها،واوساطها،وتأثيره فيها،وتوريطها في مواقف وتصرفات تسيء الى سمعتها، وقد افادت

هذه اللعبة ايضا دعايات الطرف الاخر التي تقول،بان المقاومة الفلسطينية قد تجاوزت حدود واجباتها، وبدأت على حد تعبيره،تتدخل في الشؤون الداخلية للبنان، وتهدد سيادته،، وكان ذلك يوفر له غطاء ومبررات مضافة للتآمرويجعله يحصل على تأييد متسع من الاوساط اللبنانية المتضررة من هذه الحالة،والتي استثيرت نزعاتها وغرائزها الاقليمية والطائفية.

اما الحركة الوطنية اللبنانية فقد كانت تتكون من مجموعة كثيرة العدد،من الاحزاب والحركات والتنظيمات والافراد،من اتجاهات فكرية وسياسية متعددة،،وكانت عرضة لشتى التأثيرات من اطراف المقاومة الفلسطينية،على ما بينها من تناقضات وخلافات،ومن أنظمة عربية كثيرة،وجهات دولية عديدة.

والى جانب ذلك كانت الحركة التقدمية اللبنانية تعاني من أزمة خطيرة جدا،انعكست على مجمل الاوضاع في لبنان.

ان اغلب الاحزاب والحركات والتجمعات التقدمية اللبنانية كانت تفتقر الى القاعدة الجماهيرية المتوازنة في الواقع اللبناني الذي يتسم بالانقسام الطائفي ..فتفاوتت مديات تأثيرها في هذا الواقع بشكل خطير.

وقد نبه حزبنا الى خطورة هذا التكوين في البنيان السياسي التقدمي في لبنان على مستقبل الحركة القومية التقدمية فيه،ودعا الى العمل الجاد والصبور لتغييره،وجعله بنيانا وطنيا وقوميا،يشمل الجماهير من كل الطوائف في البلاد،ويقوم بالاساس على الغاء الطائفية،وتصفيتها من الحياة السياسية في لبنان.

غير ان اطرافا عديدة في الحركة التقدمية اللبنانية ـومنذ وقت طويل ـ وقعت في شراك اللعبة الطائفية،سواء بسبب تكوينها الفكري غير القومي، أو لدوافع انتهازية،وبهدف الوصول الى مغانم سريعة في المنافسات السياسية،ولوقت طويل جدا شجعت مصر الناصرية هذا النهج،وركزت علاقاتها بالزعامات التقليدية الطائفية الاسلامية،،وفي المقابل كانت الزعامات التقليدية الطائفية المسيحية تعبيء الجماهير المسيحية تعبئة مغرضة ضد القومية العربية،والوحدة العربية والمبادئ التقدمية،بهدف عزلها عن التيار القومي الوحدوي،واستثارة شكوكها وعدائها تجاهه،وكانت القوى الاستعمارية والصهيونية والاوساط المشبوهة،والمندسة على نطاق واسع في الجانبين تتحرك وفق هذه الاتجاهات.

وعند انتقال المقاومة الفلسطينية الى الساحة اللبنانية كان هناك أمل كبير بتغير هذا الوضع،،فتكوين المقاومة الفلسطينية كان تكوينا قوميا وكانت القضية الفلسطينية ذات تأثيرات معنوية على كل الجماهير العربية،بصرف النظر عن انتماءاتها الطائفية،، وبالفعل، بدأ هناك،تحول تدريجي في الموقف، وبدأت اعداد متزايدة من الشباب في الوسط المسيحي تدعم المقاومة الفلسطينية،وتنخرط في صفوفها وصفوف الحركة الوطنية،وتساهم في نشاطاتها،وكان لهذا الاتجاه جذوره التاريخية في لبنان،،فمنذ القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين قامت بعض القيادات والاوساط المسيحية بادوار فكرية وسياسية مهمة في الدعوة الى القومية العربية،،كما كان حزبنا يركز منذ نشوءه في لبنان،،وفي اثناء الاحداث على هذا الجانب وعلى عروبة لبنان بكل سكانه.غير ان هذا التحول كان بطيئا،ولم تبذل قيادات المقاومة والحركة الوطنية جهدا جادا ومتواصلا لتسريعه وتطويره،واكتفى البعض منها في الغالب باساليب المجاملات والمواقف المظهرية،لافتقاره الى الموقف الفكري المتكامل والى الستراتيجية،والى تحديد الهدف الحاسم من الصراع، بل ان اطرافا عديدة منها لم تسلم،هي الاخرى،من الوقوع في شرك اللعبة الطائفية،تحت شتى التأثيرات الاستعمارية والصهيونية، وبدوافع انتهازية وقصيرة النظر.

اما القوى التقليدية الطائفية،ومن ورائها الاستعمار والصهيونية،فقد كانت تشعر بخطورة هذا التحول عليها،لانه ينتزع من بين ايديها ورقة اساسية من اوراق مخططها التآمري، فصارت تركز،بشكل محموم،على الفوارق الطائفية،وتشحن الجو بالحقد الطائفي.

ان هذه الازمة الخطيرة في الحركة التقدمية اللبنانية،أثرت تأثيرا حاسما على أوضاع لبنان وتطوره، وكان واضحا تماما انه ما دامت الحركة التقدمية اللبنانية لا تمتلك قاعدة من التأييد المتوازن بين شتى الطوائف،وما دامت بعض اطرافها منغمسة في اللعبة الطائفية،فان وصولها الى السلطة في لبنان،أمر مستحيل.

, وهذا ما حصل في الواقع .فخلال الصراع بلغت المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية درجة مهمة من القوة العسكرية،وسيطرت على اجزاء كبيرة من لبنان.وفي أي بلد آخر كان مثل هذا التطور سيؤدي حتما الى تسلم السلطة من جانب القوى التقدمية،ولكن الحركة الوطنية اللبنانية لم تكن قادرة على تسلم السلطة،للاسباب التي أشرنا اليها،فلو انها تسلمت

السلطة لاعتبرت تلك السلطة ذات طابع اسلامي،مما يجعل التقسيم امرا واقعا، ورسميا،وهو يناقض مبادئها وسياساتها.

وهكذا فقدت الحركة الوطنية،في الواقع،زمام المبادرة التاريخية فما دامت غير قادر على الاستفادة من المد الجماهيري وتطور الاحداث وموازين الصراع لصالحها،بشكل كامل، فقد كان طبيعيا وفي ظل الظروف العربية والدولية القائمة ان تراوح في مكانها حينا،ثم تتعرض الى الضعف التدريجي.

ومن العناصر المهمة التي أدت الى هذه النتيجة،واثرت تأثيرا مهما على موازين القوى بين الحركة الوطنية اللبنانية من جهة،وبين القوى الرجعية الطائفية من جهة اخرى،ان المقاومة الفلسطينية كانت هي القوة السائدة،من الناحية العسكرية،وليس الحركة الوطنية اللبنانية، وكان الهم الاول لقيادة فتح ومنظمة التحرير الفلسطينية من الصراع هومحاولة البقاء في لبنان قوية وفعالة،كي تتمكن من مواصلة العمل باتجاه قضاياها هي،، لذلك لم يكن تحالفها مع الحركة الوطنية اللبنانية ذا بعد ستراتيجي متكامل،يستهدف في النهاية تغيير الاوضاع في لبنان تغييرا جذريا لصالح الحركة الوطنية،الامر الذي ادى الى ابقاء زمام المبادرة بأيديها، وليس بأيدي حليفها اللبناني،والى توجيه الصراع بالشكل الذي يحقق اهدافها هي،لا أهداف حليفها اللبناني،مما رجح كفة الطرف الرجعي الطائفي،الذي كان يمتلك قوته العسكرية الخاصة،ويمتلك زمام المبادرة من جانبه لتوجيه الصراع لصالحه.

اما مسألة الانفصال في لبنان،فلقد كانت،وما تزال،بالغة التعقيد،وهي احتمال خطير، يعتمد على اوضاع ذاتية تخص لبنان وموازين القوى فيه،وعلى مواقف ومصالح الاطراف العربية والدولية المعنية بالصراع.

ان القوى الرجعية الطائفية المارونية،كما ذكرنا،كانت تعمل في خطين،اولهما محاولة السيطرة على كل لبنان واستعادة نفوذها السابق عليه،من خلال تصفية المقاومة الفلسطينية وضرب الحركة الوطنية اللبنانية،واعادتها الى حجم صغير،،والثاني :هو اقامة كيان سياسي مستقل في حالة فشل الخط الاول.

ومن الناحية العملية،لم يكن باستطاعة هذه القوى تأمين مستلزمات الخيار الثاني الا بعد معارك شرسة،للحصول على مواقع جغرافية معينة،تجعل اقامة هذا الكيان السياسي امرا ممكنا. هذا بالاضافة الى شروط ومستلزمات سياسية واقتصادية واجتماعية عديدة اخرى.

وبرغم تلويح تلك القوى بالتقسيم لفترة طويلة،بعد انفجار الاحداث في نيسان ١٩٧٥، كان واضحا انها عاجزة في ذلك الوقت عن تنفيذه،لان المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية كانتا تسيطران على اجزاء مهمة في لبنان،تفصل المناطق التي تسيطر عليها القيادة الرجعية الطائفية عن بعضها،وقد سعت القيادة الرجعية الطائفية طيلة فترة الصراع، وبشتى الاساليب الوحشية،الى تصفية التداخل السكاني الذي كان قائما في العاصمة وضواحيها خاصة، وفي مناطق اخرى كي تتوفر لها قاعدة جغرافية وسكانية مترابطة، لاقامة الكيان الطائفي،،ولكن،برغم الخطوات الكبيرة التي حققتها على هذا الطريق،لم تتمكن من الوصول الى نتيجة حاسمة،، حتى جاء الاجتياح السوري في حزيران ١٩٧٦،الذي هدم الحصار الشديد الذي كانت تفرضه المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية عليها، ومكنها من تحقيق تواصل جغرافي وسكاني شبه كامل،يتيح لها امكانية اقامة كيان سياسي طائفي، اذا ما استقرت الامور نهائيا على هذا الخيار .

ومن الجوانب المهمة التي حرصت عليها القوى الانعزالية،ان يكون بين مناطقها وبين فلسطين المحتلة اتصال جغرافي على الارض،بالاضافة الى امكانات الاتصال في البحر، لان ذلك يساعد على اقامة كيانها السياسي الطائفي،ويشكل عنصر بقاء وحماية له عند قيامه.

والواقع ان استمرار الصراع في لبنان وبلوغه درجة عميقة وواسعة من الحدة،وتراكم الاحقاد والضغائن بصورة مروعة فيه،وسيادة الدمار في المناطق التي كانت مسرحا للمعارك، وانهيار جهاز الدولة،عزز كثيرا،المشاعر والاتجاهات لانعزالية في صفوف اللبنانين عموما،وبين الاوساط الطائفية بوجه خاص،والتي تدفع الامور بهذا الاتجاه الى اقصى مدى،، ولكن القرار النهائي يعتمد،الى حد كبير،على المواقف العربية والدولية ازاءه.

فالقيادات الرجعية الطائفية،برغم اندفاع البعض منها بهذا الاتجاه،وتكريسها له من وجوه،كثيرة،اذا لم تضمن دعما دوليا جديا،وظروفا عربية مناسبة،بحيث يمكن للدولة الطائفية ان تعيش وتستمر في منطقة حافلة بالاخطار والمتغيرات والمصالح والستراتيجيات المحلية والدولية المتصارعة.

اما الفئة الحاكمة في سورية فان موقفها من عملية الانفصال في لبنان يشبه، من حيث الجوهر،موقف القيادات الطائفية اللبنانية،وهي بذلك تسير في خطين،،فهي لن تشجع اقامة كيان في لبنان اذا استطاعت ان تضمن استمرار سيطرتها هي على كل سورية والوصول الى تسوية

مقبولة مع الكيان الصهيوني تساعدها في هذا الاستمرار،، ولكن الاوضاع في عام ٧٦،٧٥ كانت تنبيء باحتمالات خطيرة فالتسوية لم تكن مضمونة، والاوضاع في لبنان كانت في غاية الخطورة،وكانت الزمرة المتسلطة على سورية تخشى من انفجار الاوضاع ضدها في سورية،لذلك فان من مصلحتها ان لا تسقط نهائيا احتمال الانفصال في لبنان،، الا اننا يجب ان لا نستبعد كليا احتمال ان تلجأ هذه الزمرة الى مؤامرة مماثلة في سورية،،بأن تلجأ الى اقامة دولية على أساس طائفي في جزء من سورية،اذا وصلت الى حد اليأس من التسوية،ومن الاستمرار في حكم كل سورية،كي تحمي نفسها من النهاية البشعة،، وليس سرا ان الزمرة الحاكمة في سورية قد انتهجت منذ سنوات عديدة منهجا خبيثا ومشبوها في تأجيج النعرات الطائفية باستغلال فئة قليلة من الاعوان والمنتفعين والمشبوهين، من ابناءالطائفة العلوية لتدعيم سلطتها باسلوب الارهاب والابتزاز،وجني الامتيازات الهائلة بكل الوسائل غيرالمشروعة،،وذلك بصورة تتناقض تناقضا صارخا مع تقاليد العمل الوطني والقومي في هذا القطر العربي،الذي كان مشعلا للمبادئ القومية العربية، والذي رفضت كل طوائفه مخططات الاستعمار الفرنسي في تفتيت سورية،باقامة دويلات طائفية مصطنعة،وناضلت ضدها نضالا باسلا حتى احبطتها واقامت الجمهورية السورية الموحدة والمستقلة،واستأنفت نضالها من أجل الوحدة العربية.

هذا، وفي الوقت الذي تضمر الحاكمة في سورية هذه النوايا الخبيثة، فان العلاقات بينها وبين القيادات الطائفية في لبنان لا تخلو من الخلافات التي تتراوح في درجاتها حسب الظروف. فبعض هذه القيادات يندفع احيانا للتسريع بمخطط التقسيم في لبنان،في وقت لا تجد الزمرةالحاكمة في سورية نفسها مهياة او مضطرة للتوافق معه على الساحة السورية، فهي تعرف بان الصيغة الا ضمن لها، لتنفيذ اهدافها الشريرة باقامة دويلة طائفية في سورية هي ان يتم ذلك في توافق من حيث الزمن والظروف مع حصول التقسيم في لبنان،وليس بعده بفترة طويلة.

والى جانب ذينيك الخطين كان هناك خط آخر، لا يستبعد تفكيرالنظام السوري فيه في حينه،،وهذا الخط هو انه اذا ما نجحت القيادة الرجعية الطائفية المارونية في اقامة

الانفصال،واصبح ذلك امرا واقعيا ونهائيا،واذا لم تدفعه الظروف الى اللجوء الى اقامة الدويلة الطائفية العلوية،فانه قد يضم اليه المناطق المتبقية من لبنان،فيعزز مواقعه في المنطقة[١].

وكان الطرف الوحيد الذي يدعم الاتجاه الانفصالي في لبنان،ويشجعه في ذلك،على طول الخط،هو الكيان الصهيوني، والصهيونية العالمية.

---

(١)لقد استشرف المؤتمر القومي الحادي عشر احتمالات الموقف قبل وقوعها،،فخلال الاشهر الاخيرة برزت تناقضات تكتيكية بين النظام السوري وحلفائه الانعزاليين الى حد ادى الى نشوب صدامات عسكرية ساخنة بين الطرفين.

وتظن بعض الاوساط اللبنانية والفلسطينية والعربية ان ذلك يؤثر سلبا على المشروع الانعزالي في لبنان، كما تروج بعض هذه الاوساط بان النظام السوري،بعد تعاون طويل مع الانعزالين،بدأ يتبع سياسة مغايرة. ولكن في الواقع ان هذه الصدامات لاتغير من العناصر الاساسية في موقف النظام السوري التي ذكرها التقرير، بل تؤكدها،كما انها لا تؤثر سلبا على المشروع الانعزالي .فعندما تصاعدت التناقضات التكتيكية في الاشهر الاخيرة بين النظام السوري والانعزاليين،لم يلجأ النظام السوري الى دعم القوى الوطنية اللبنانية لتمكينها من مواجهة القوى الانعزالية بنفسها،وبشكل يضع الصراع في لبنان في اطاره الصحيح،أي صواع بين قوى وطنية لبنانية تؤمن بوحدة لبنان واستقلاله،وبين قوى لبنانية انعزالية مع العدو الصهيوني،،وانما لجأ الى الصدام العسكري المباشر والدرامي مع القوى الانعزالية،وحافظ من حيث الجوهر والنتائج على سياسته السابقة باضعاف القوى التقدمية اللبنانية والتعامل معها،ومع الاطراف المسيحية التي خرجت عن التكتل الانعزالي،باعتبارها قوى هامشية تدور في فلكه هو وليس باعتبارها صاحبة القضية الاساسية التي يفترض فيه هو ان يدعمها وان يقف وراءها،،بل انه،وبدلا من ان يستهدف ضرب الجهاز العسكري للقوى الانعزالية بصورة مباشرة في الصدامات التي نشأت بينه وبينها.صار يقذف المناطق السكانية التي تسيطر عليها تلك القوى بالمدفعية قذفا عشوائيا،مما اوقع خسائر فادحة بالسكان وممتلكاتهم،الامر الذي يهيج النعرات الطائفية والاتجاهات الاتعزالية ويقويها،كما يقوي مواقع القيادات الانعزالية بين صفوف السكان المسيحيين.

ان هذا الاسلوب في ادارة الصدام مع الانعزاليين يبقى القرار النهائي في يد قيادتي النظام السوري والانعزاليين،اللذين لهما مصلحة في احتمال التقسيم،سواء في لبنان او سورية،ويبعد عن موقع القرار والتأثير كل القوى الوطنية والمستقلة التي لا مصلحة لها في هذه المؤامرة.ان تصرف النظام السوري في الاونة الاخيرة لا يلغي المشروع الانعزالي في لبنان،بل يساهم اسهاما بينا في ابقائه احتمالا واردا.

فهدف تجزئة المنطقة العربية الى كيانات طائفية وعنصرية هزيلة ومتصارعة،يضمن أكثر من أي عامل آخر،بقاء الكيان الصهيوني،وتفوقه العسكري والسياسي والاقتصادي في المنطقة، كما يؤمن له عاملا حرم منه منذ قيامه،وهو التغلغل الاقتصادي والثقافي،وبالتالي السياسي المباشر في المنطقة،مما يضيف اليه قوة جديدة ويساعده على تجاوز ازمته الاقتصادية الخانقة التي لا حل لها ضمن الصيغة الحالية.

ان سعي الكيان الصهيوني الى تقسيم لبنان منذ سنة ١٩٥٤،وقد سرب افكاره المتعلقة باقامة دويلة للمسيحيين منذ سنة ١٩٧١،في صحافته،في محاولة منه لاحياء التفكير الانفصالي لدى الاوساط الطائفية اليمينية المتطرفة،ودعمها بهذا الاتجاه.

وفي الواقع ان الكيان الصهيوني والصهيونية العالمية استفادا على نطاق واسع من انفجار الصراع في لبنان،ومن غطائه الطائفي في الاساءة الى سمعة الامة العربية،وتأكيد مبررات قيام الكيان الصهيوني،ورفض صيغة الدولة الديمقراطية في فلسطين .

وقد اثارت احتمالات الانفصال في لبنان احلام واطماع بعض القيادات الطائفية العشائرية فيه،وفي اقطار عربية اخرى،،ووجدت تلك القيادات انه اذا ما تم الانفصال في لبنان، واتجهت الاوضاع فيه وفي المنطقة نحو تجزئة طائفية واسعة،فانها يمكن ان تتزعم دويلات طائفية منفصلة،يمكن ان تحميها المصالح والستراتيجيات الدولية الكبرى.

ولم تكن الانظمة العربية،وبخاصة مصر والسعودية تجد مصلحة لها في تشجيع القيادات الطائفية اللبنانية على الانفصال،بل انها كانت تخشى منه على اوضاعها الخاصة،فالنظام المصري يخشى من انتقال الازمة الطائفية ونزعات الانعزال الى مصر،، وكذلك الامر بالنسبة للنظام السعودي الذي فيه أرضية لمشكلات طائفية،،كما ان النظام السعودي الذي يتزعم المعسكر الرجعي العربي،يجد حرجا،وهو الذي يتظاهر برعاية الاسلام والمسلمين،في التعامل مع الكيان طائفي في لبنان،في حين كان محتملا كثيرا في حينه، ان يتجه الطرف الاخر في لبنان اتجاهات معادية للسياسات والمصالح السعودية.لذلك فان النظام السعودي كان يدعم القيادات الطائفية في لبنان،باعتبارها قوى رجعية حليفة في الصراع ضد القوى التقدمية وليس في نزعتها الى الانفصال.

اما بلدان اوربا الغربية فانها لم تكن تجد مصلحة واضحة لها في الانفصال في لبنان،وفي تجزئة المنطقة الى دويلات،كما انها،في هذه المرحلة،لا تلتقي مع المخطط الصهيوني بهذا الاتجاه .ان ما

تحرص عليه اوربا الغربية هو استقرار الشرق الاوسط،لضمان تدفق الطاقة اليها ولضمان الحصول على اسواق تستهلك ـ بمعدلات كبيرة ـ مختلف بضائعها العسكرية والمدنية.ان تجزئة المنطقة الى دويلات صغيرة،دون ان يكون لها في ذلك حصة اكيدة،يؤدي في نظرها الى اضطراب اوضاع المنطقة لفترة طويلة من الزمن،وكذلك يقوي من القبضة الاميركية على المصالح النفطية،كما يؤدي الى زيادة التنافس والصراع بين الاميركان والسوفييت،مما يضر بمصالحها بشكل أكيد.

اما موقف اميركا والاتحاد السوفييتي من التقسيم في لبنان،فانه يجب ان يدرس في ضوء موقف الدول الكبرى من قضايا الوحدة والتجزئة في العالم بشكل عام.

فالدول الكبرى تقف الى جانب وحدة الدول والمناطق،اذا كانت تلك الدول او المناطق خاضعة لها،او منسجمة مع ستراتيجيتها،كما تسعى الى تجزئتها،بشكل او بآخر،اذا ما شعرت بان دولة ما،او منطقة ما باتت معرضة للوقوع في براثن ستراتيجية دولة كبرى اخرى، منافسة لها.لذلك فان الدول الكبرى لاتقف مع الوحدة،ولا مع الانفصال مواقف ثابتة، فهي دائما تسعى الى ابقاء خيوط اللعبة بأيديها،،فاذا كان الخيار القائم هو الوحدة تسعى بكل السبل المباشرة،او غير المباشرة،الى ابقاء اوراق الخلافات الطائفية،او العنصرية، او الاقليمية،او الحدودية وغيرها من الخلافات حية،حتى اذا ما نشأت ظروف يكون فيها من مصلحتها تحريك الوضع باتجاه التجزئة، تكون بين ايديها عوامل تؤمن لها هذا الهدف.

وبالنسبة للبنان والمنطقة العربية،فأن اميركا تشعر في الوقت الحاضر بان الظروف تتجه لصالحها بصورة عامة،،وما دام الحال كذلك فانها لن تندفع الى دعم اقامة الانفصال في لبنان، لانها،وان ضمنت انحياز الاطراف الرجعية الطائفية لها،تخشى ان تقع بعض الدويلات الطائفية او العنصرية التي لابد ان تقوم،عند انهيار الكيانات السياسية الراهنة في المنطقة،في براثن الاستراتيجية السوفيتية،مما يهدد مصالحها تهديدا خطيرا ..كما انها، لابد ان تأخذ بالاعتبار مصير حلفائها في المنطقة،وبخاصة السعودية والبلدان المنتجة للنفط، وبعدها مصر،التي يهددها مثل هذا الاحتمال تهديدا مباشرا، وبرغم هذه العوامل المهمة فان اميركا لا تضمن ظروف المنطقة كلها،ضمانة اكيدة،لذلك فانها لا تسقط ورقة الانفصال في لبنان،بصورة نهائية،بل تسعى الى الاحتفاظ بها احتمالا قائما،كي تستثمرها بالاتجاه الذي تريد،في الوقت المناسب.

لهذه الاسباب مجتمعة نجد انه،وبرغم حدة النزعات الانفصاليـــة عنـد القيـادات الرجعيـة الطائفية وتوفر الكثير من فرص العوامل الذاتية المساعدة لهذا الاتجاه،لم تقدم تلك القيادات علـى اعلان قيام كيان طائفي حتى الآن،وفي الوقت نفسه،فانها ما تزال تعزز هذا الاحتمال،وتلوح بـه بشتى الاشكال،وتوثق صلاتها بالكيان الصهيوني،بانتظار توفر الظروف المحلية والعربية والدولية المساعدة لاعلان الانفصال،،كما انها،من الناحية الاخرى،لاتســقط نـهائيا امكانيــة اسـتعادتها للسيطرة على كل لبنان من جديد،،فاذا توفر ذلك يكون لها امتياز كبير،،قاعدة مضمونة تســيطر فيها سيطرة كاملة،ونفوذ على اجزاء لبنان الاخرى.

ومما سبق ذكره يبدو واضحا ان الاوضاع في لبنان لم تحسم على وجه نهائي،،فالاحتمـالات المتعددة فيه ما تزال قائمة،،وهي مرتبطة اشد الارتباط بالظروف العربية المحيطـة باحتمـالات التسويةواشكالها النهائية،التي تؤدي فيها اميركا الدور الاساس،كما تؤثر فيها ـ بشكل او بـآخر ـ كل القوى الدولية.

الجزء الثاني

المرحلة المقبلة

الاوضاع..الافاق..المهمات

ـ الفصل الاول ـ

الاوضاع العربية والدولية الراهنة واحتمالات تطورها في المستقبل

تشير تجربة الحزب، وحركة الثورة العربية الى ضرورة معرفة العناصر الاساسـية في الاوضاع العربية والدولية،معرفة صحيحة ودقيقة، ورصد اتجاهات تطورها في وقت مبكر.

وبالنسبة لحزبنا،اشارت تلك التجربة،الى اننا،في الوقت الذي لم نكن نمتلك الاهتمام والخبرة والمقدرة على ذلك بقدر كاف،كنا نندفع الى الوقوع في اخطاء جسيمة،والانجرار الى مزالق، ممـا

اضر بالحزب اضرارا كبيرا، واضعف دوره ومكانته في حركة الثورة العربيـــة،وعلـــى الصعيـد الدولي، ولكن عندما بدأ الحزب يهتم بدراسة الاوضاع العربية والدولية،ويمتلك الخبرة والقـــدرة على تحليلها تحليلا صيححا،وفهم مختلف اوجهها المعقدة والمتشابكة،تغيرت الصـــورة .فـأغلب الخطوات الكبيرة التي اتخذها الحزب وثورته في القطر العراقي،والتي حقـبق بـــها تقدمـــا الـــى امام،باتجاه اهدافهما،وتجنبا بها محاولات التآمر والعزل من جانب الاستعمار والرجعيـــة وقـــوى الردة،كانت قد توفرت لها العوامل المذكورة .ان عقد المعاهدة مع الاتحاد السوفييتي،في الوقـــت المناسب،وتأميم النفط في اللحظة التاريخية المواتية،والمشاركة الجريئة والكبـــيرة فـــي حـــرب تشرين،وعدم التردد في الاقدام على تصفية التمرد الرجعي في شمال القطر،وعدم التردد في حـــل المشاكل مع ايران،في الوقت المناسب،وغيرها من القرارات والمواقف المهمة كـــانت خطـــوات محسوبة في ضوء الظروف العربية والدولية واحتمالات تطورها.

ويمكننا ان نستخلص،من تجربة المرحلة الماضية ايضا،ان حركة الثورة العربية قد خسرت الكثير في الصراع ضد الاستعمار والصهيونية والرجعية،لا لانهم كانوا اقـــوى فعـــلا فـــي كـــل الاحيان،بل لاسباب تتصل بها هي،،منها انها كانت تفتقر الى الفهم الصحيح لحقيقـــة الاوضـــاع العربية والدولية،والى القدرة على استكشاف تطوراتها في وقت مبكر،وبالتالي وضع اســـتراتيجية صحيحة وتكتيكات مناسبة،فكانت تغلب في موقعة بعد اخرى.

ان الفهم الشامل لتجربة المرحلة السابقة،بكل جوانبها الايجابية والسلبية،وبكل ما حفلت به من تعقيدات ومشكلات ومجابهات،لايأخذ اهميته من كونه تسجيلا صحيحا للتاريخ،على ما في ذلك من اهمية ولكن لأنه يشكل ضرورة ثورية.فعندما يتوفر لنا مثل هذا المستوى من الفهم نستطيع ان نعرف،بدقة،وبدون تشويش وخلط،عناصر الضعف والقوة، والجوانب الصائبة والخاطئة فـــي مسيرة حزبنا،وحركتنا الثورية العربية،كما نمتلك الخبرة،والحنكة،والقدرة على فـــهم الاوضـــاع العربية والدولية الراهنة،التي تحيط بنضال حزبنا وحركتنا الثورية العربية،وعلى استكشاف آفـاق تطورها في المستقبل،مما يوفر لنا المقدرة على تحديد آفاق المرحلة المقبلة ومهماتها،،تحديـــدا علميا وثوريا،وبالتالي على مواصلة النضال برؤية واضحة،وعزيمة قوية،لانجاز مهماتها الثوريـة المرحلية،،على طريق اهدافنا التاريخية في الوحدة والحرية والاشتراكية.

ان المرحلة المقبلة من نضالنا الثـــوري تتطلـــب مواصلـــة الاهتمـــام بالشـــؤون العربيـــة والدولية،وخاصة انها ستكون مرحلة في غاية التعقيد والخطورة،، ولابد لنا من التأكيد بأن هـذه

المسألة ــ وان كانت تحتل موقعا بارزا بين اهتمامات مؤتمرنا هذا واعماله ــ بأنها لا تنتهي بانتهائه،فالساحة العربية والدولية واسعة ومعقدة،ولايمكن،في اطار المؤتمر ووثائقه، تحديد كل جوانب العناصر الاساسية في اوضاعها،واستكشاف كل احتمالات تطورها اللاحق،، لذلك فان هذه المهمة تبقى من مهام القيادة الاساسية والدائمة.

كما اننا،وبرغم ما حصلنا عليه من خبرة ومقدرة في هذا الميدان وبرغم ان اغلب تحليلات الحزب وتوقعاته ــ في السنوات القليلة الماضية ــ قد تأكد صحتها وعمقها،،لايجوز ان نتعامل مع الاستنتاجات التي نتوصل اليها الآن تعاملا جامدا وشكليا،فنقع في الجمود،وتتعطل حركتنا،ومبادرتنا،اذا ما برزت عناصر،او ظواهر جديدة في الاوضاع العربية والدولية،تتطلب منا اعادة التحليل،واعادة تقدير الموقف. فالقيادة يجب ان تكون يقظة لمثل هذه الاحتمالات، وان التعامل معها بعقل ثوري خلاق،يفهم الظواهر والتطورات الجديدة،ويحللها تحليلا صائبا،ويحدد ازاءها المواقف المناسبة.

أ ــ الاوضاع العربية

ان السمات الاساسية في الاوضاع العربية التي تناولناها في الجزء الاول،وتابعنا نشوءها وتطورها،وتأثيرها على القضايا والاحداث العربية الرئيسية،ما تزال هي العناصر الاساسية في الموقف،في الوقت الحاضر،، كما ان من المتوقع ان تبقى،او يبقى اغلبها كذلك،خلال المرحلة القادمة،، غير ان من السمات الاساسية التي طبعت الاوضاع العربية في العصر الحديث، بصورة عامة،وفي المرحلة السابقة بصورة خاصة،انها كانت وما تزال اوضاعا غير راسخة،وغير نهائية .ان المنطقة العربية هي منطقة تحولات سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية،،وقد تبرز احيانا،حالات تنخفض فيها وتيرة هذه التحولات،او تنحصر في اقطار،،او في ميادين محدودة،كما تبرز حالات تتسع فيها التحولات،وتشمل اقطارا اكثر،وميادين اكثر.والآن تبدو المنطقة العربية وكأن اوضاع الردة والنفوذ الاستعماري،هي السمة لفترة غير قصيرة،في المرحلة القادمة،ولكن الاوضاع العربية ــ في الوقت نفسه ــ لا تخلو من عناصر ايجابية عديدة،لو احسن استثمارها لامكن التصدي لموجة الردة والنفوذ الاستعماري،وتحقيق تحولات ملموسة لصالح الثورة العربية.

وفي الفصول التالية سنحاول تحديد العناصر الاساسية في الاوضاع العربية الراهنة واحتمالات تطورها في المستقبل:

(١)الاهمية الستراتيجية للوطن العربي،والعلاقات مع القوى الدولية:

شهدت السنوات الاخيرة انقلابا حاسما في تقدير الاهمية الاستراتيجية للوطـــن العربـــي، وللقضية العربية،كما شهدت متغيرات ذات دلالات في العلاقات بين البلدان العربية،ومختلف القوى الدولية.

ان العوامل الاساسية التي كانت وراء هذا التغيير،والتي ما تزال تؤثر فيـــه،وفـــي اتجاهاتـــه وتطوراته الاساسية ثلاثة،،هي النفط،وقيام ثورة الحزب في القطر العراقي،وحرب تشـــرين الاول ١٩٧٣.

لقد تطرقنا في السابق الى المتغيرات المهمة التي جرت على مسألة النفـــط فـــي الســـنوات الماضية، والى الاهمية الستراتيجية الجديدة التي بات يحتلها،وذكرنا ان الاجهزة العليا في الدوائـــر الاستعمارية الاحتكارية في اميركا، وبعض بلدان اوربا الغربية كانت تحرص على كتمان المعلومات الحقيقية ذات الطبيعية الستراتيجية عن النفط،وتسرب باشكال مدروسة المعلومات التي تتفق مـــع مصالحها ومخططاتها الاستعمارية الاحتكارية.

وفي اوائل السبعينات،بدأت تتشكل حركة واسعة، بين مجموعـــة البلـــدان المصـــدرة للنفـــط (اوبك)، للمطالبة باسعار وشروط تصدير افضل من السابق، مما أدى الى زيادات ملموســـة فـــي عائدات تلك البلدان من تصدير النفط،والى طرح القضايا المتعلقة به،علـــى نطـــاق أوســـع مـــن السابق،سواء في البلدان المنتجة له،او على الصعيد الدولي.

غير ان النقلة الحاسمة في كشف الحقائق عن الاهمية الستراتيجية الجديدة للنفط،كانت عملية تأميم النفط في العراق.

فلقد كشفت عملية التأميم،واكدت ان حاجة العالم،بصورة عامة والبلدان الصناعية بصـــورة خاصة الى النفط هي اكبر بكثير مما كانت تروجه الدوائر الاســـتعمارية الاحتكاريـــة،وممـــا كـــان متصورا من قبل اوساط عربية ودولية عديدة.

وخلال هذه المرحلة برزت مشكلة الطاقـــة فـــي العـــالم علـــى وجـــه مشـــحون بالاثـــارة، وخطير،وواسع النطاق،وبخاصة اثناء حرب تشرين وبعدها.

كما برزت،على نطاق واسع،مشكلة الطاقة في الولايات المتحدة نفسها، وحاجتها الشديدة الى زيادة استيراداتها من النفط، وبخاصة من منطقة الشرق الاوسط،ومن البلدان العربية فيها بوجه خاص.

فام تعد المنطقة العربية،بعد تكشف الحقائق والمعلومات سالفة الذكر،مجرد منطقة سوق تجارية،وثروات عادية،وممرات مائية وبرية مهمة للتجارة الدولية،ومنطقة قريبة من الاتحاد السوفييتي،كما كانت تقدر في الستراتيجية الدولية في الماضي،وانما اصبحت،أهم من أي شيء آخر،المنطقة التي تمتلك أكبر مخزون عالمي للنفط،والتي تؤثر تأثيرا حاسما في أمن العالم الصناعي ورفاهيته،ومنه الولايات المتحدة الاميركية،اقوى واعتى دولة في العالم.، والتي كان من أهم عناصر قوتها وغناها،وبالتالي مكانتها الستراتيجية الدولية،انها كانت تمتلك،في الداخل حدودها،كل مقومات تلك القوة والثروة.

ويمكن القول ان المنطقة العربية أصبحت الان،على أقل تقدير،المنطقة الثانية بعد اوربا،من حيث الاهمية الستراتيجية الدولية،وستكون المنطقة الستراتيجية الاولى في العالم في المدى البعيد.

وهذا التطور الخطير في تقدير أهمية المنطقة ــ من ناحية الستراتيجية الدولية،والذي لم يعد سرا محتكرا ــ يضع المنطقة تحت الرقابة الدقيقة والحساسة،من جانب القوى الدولية ومن جانب العالم كله.كما يجعل مسألة الأمن فيها مسألة بارزة الخطورة والحساسية،بالنسبة للقوى الدولية.

واذا كان هذا التطور قد زاد من مكانة المنطقة في العالم، فأنه، في الوقت نفسه،قد جعل الحركة فيها اكثر اتصالا،من أي وقت مضى،بالمصالح والموازين الدولية،،ويمكن القول،ان المنطقة العربية قد اصبحت الآن اكثر ــ (دولية)من أي وقت مضى!!.

وقد ادى هذا التطور الخطير في تقدير الاهمية الستراتيجية للمنطقة العربية،وتعاظم القدرة الاقتصادية لدى عدد من البلدان العربية المنتجة للنفط،الى حدوث تغيرات ذات دلالات خطيرة،في العلاقات بين البلدان العربية والقوى الدولية.

وفيما يتصل بالعلاقات بين الاقطار العربية والقوى الدولية،كانت هناك،في الماضي، وحتى الفترة اللاحقة لهزيمة حزيران مجموعتان،مجموعة مرتبطة ــ بنسب متفاوتة واشكال مختلفة ــ بالعالم الغربي،اميركا واوربا الغربة،وتخضع لنفوذه،وتأثيراته السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية،وهي مجموعة الانظمة المحسوبة على الصف الرجعي او التقليدي،،ومجموعة اخرى

هي مجموعة البلدان التي كانت تسمى بالمتحررة، او التقدمية، والتي كانت على حالات متفاوتة من التناقض،او الخلاف،او عدم الوفاق، مع العالم الغربي، وان احتفظت معه بعلاقات متفاوتة،وبخاصة في الجوانب الاقتصادية والثقافية، وكان لها علاقات وثيقة، بنسب واشكال مختلفة،مع الاتحاد السوفييتي،والبلدان الاشتراكية،في المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية.

وفي اطار هذه الصورة كانت الاقطار العربية منقسمة الى مجموعة تابعة،او شبه تابعة للعالم الغربي، والى مجموعة اخرى،كانت برغم استقلالها، شديدة الاعتماد على علاقاتها بالاتحاد السوفييتي،والبلدان الاشتراكية،وبخاصة في الميدان الاقتصادي ويعني ذلك كله،من الناحية الموضوعية والواقعية،ان بلدان المنطقة كلها وبرغم الفوارق الجوهرية بين المجموعتين المذكورتين،وبرغم قوة حركة القومية العربية،ونزعتها الاستقلالية، والمكتسبات التي كان قد احرزها عدد من الاقطار العربية على طريق الاستقلال السياسي والاقتصادي، لم تكن مستقلة تماما،وطليقة اليد تماما،في التعامل مع القوى الدولية فضلا عن انها كانت قليلة القدرة على المبادرة والتأثيرفي الساحة الدولية،ما عدا مصر،في عهد عبد الناصر التي كانت تمتلك قدرة جيدة نسبيا على التأثير والمبادرة.

اما الآن ــ وبفضل العوامل التي ذكرناها سابقا ــ فان علاقات الاقطار العربية،على اختلاف الانظمة فيها وانتماءاتها السابقة،الى هذه المجموعة او تلك من القوى الدولية،قد اخذت اشكالا جديدة:

آ ــ العلاقات مع بلدان اوربا الغربية:

ان بلدان اوربا الغربية قد فقدت سطوتها القديمة في الساحة الدولية امام الدولتين العظيمتين،الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي،وبحكم ما تعانية من أزمات اقتصادية،وحاجتها الشديدة الى النفط والغاز اللذين لا تمتلكهما، في اراضيها،وحاجتها الى بيع منتجاتها الصناعية وامكاناتها التقنية وحاجتها ايضا الى رؤوس الاموال،وبرغم علاقاتها،ومواقفها الاستعمارية السابقة من العرب وانحيازها التقليدي للصهيونية،،باتت مضطرة الى اعادة صياغة علاقاتها مع العرب،،بشكل جديد يتميز،بصورة عامة،بالتعاون في اطار تبادل المنافع .وقد اصبحت هذه البلدان تحرص،بقدر او بآخر،ومن اجل استمرار هذا الشكل الجديد من العلاقات بينها وبين البلدان العربية،على ارضاء هذه البلدان نسبيا،من الناحية السياسية والمعنوية.

كما اصبحت الامكانات التقنية المتوفرة،على نطاق واسع ومتقدم،في بلدان اوربا الغربية، ومنها الاسلحة،سلعة متاحة لمن يقدر على شرائها،من الدول العربية،التي صار بعضها يمتلك ثروات خيالية،ويتيح هذا الوضع،من الناحية الموضوعية، فرصا واسعة لتقدم الكثير من البلدان العربية ونموها،كما يتيح لها فرصا تكن متوفرة من قبل،لبناء قدرات عسكرية كبيرة،والتأثير الاكثر فعالية في السياسة الدولية .

واذا وضعنا جانبا المواقف المنحرفة،والسياسات والعلاقات المشبوهة لبعض الانظمة، فان هذا التطور يشكل،من الناحية الموضوعية،ارضية جديدة لقيام علائق سليمة،ومفيدة جدا، بين المنطقة العربية واوربا الغربية مماقد يؤدي الى تشكيل مركز ثقل دولي،للتعاون المثمر والمتميز،بين العرب واوربا الغربية،ويقلل نسبيا،من ارتباطها بالولايات المتحدة الاميريكية.

ب ـ العلاقات مع الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي:

حصلت خلال السنوات الاخيرة تحولات مهمة في اشكال،والى حد ما، في طبيعة العلاقة بين الولايات المتحدة وبين البلدان العربية.

ان اغلب البلدان العربية،التي كانت،في الماضي،على حالات من التناقض او الخلاف، او عدم الرفاق مع الولايات المتحدة،بدأت تبنى ـ في اطار الظروف العربية الجديدة، التي سبق الحديث عنها ـ علاقات سياسية واقتصادية معها،بل ان البعض منها، وبخاصة مصر وبعدها سوريا ـ وباشكال مختلفة سبق الحديث عنهاـ ارتبطت،الى حد بعيد،بالمخططات الاستعمارية الاميركية.

ومن الناحية الاخرى،فان العلاقات بين البلدان العربية المنتجة للنفط،كالسعودية،وبعض بلدان الخليج العربي،وبين الولايات المتحدة،والتي كانت،في السابق،اقرب الى صيغ علاقات التبعية او شبه التبعية،تتخذ الآن صيغا جديدة.

فبرغم استمرار سيطرة الولايات المتحدة على هذه البلدان،وتغلغلها في اجهزتها، وامتلاك قواعد عسكرية في البعض منها،فان الولايات المتحدة،وبحكم حاجاتها الماسة الى ضمان تدفق النفط اليها،والى امتصاص الثروات الهائلة من البلدان العربية المنتجة للنفط،عن طريق بيعها المنتجات الصناعية او المعدات التقنية،ومنها العسكرية،او عن طريق استدراج تلك الثروات الى الاستثمار في داخل الولايات المتحدة واحتوائها في مصارفها،، مما يساعدها في تخفيف ازمتها

الاقتصادية،،باتت مضطرة الى اعادة صياغةاشكال العلاقات، بينها وبين البلدان العربية والرجعية المنتجة للنفط.

وتتميز الاشكال الجديدة عن صيغ التبعية،او شبه التبعية السابقة بانها، مع بقائها لمضمون التبعية الاقتصادية والسياسية وحتى العسكرية تتخذ اكثر من ذي قبل ـ طابع التنسيق والمشاركة وتوزيع الادوار،،مما يعطي الدولة العربية الرجعية الغنية،في اطارها،مركزا لم تكن تتمتع به من قبل في اطار الستراتيجية الاستعمارية،وقدرا من المبادرة في التحرك في بعض الاصعدة، اوسع مما كانت تمتلكه في السابق.

فالسعودية ـ مثلا ـ لم تعد،كما سبق واشرنا،مجرد بلد رجعي تابع للاستعمار الجديد، وانما أصبحت،بالتدرج،قيادة ميدانية لهذا الاستعمار،تنفذ مخططاته في المنطقة العربية،وفي افريقيا.

وقد حصلت،خلال السنوات الاخيرة،تحولات مهمة ايضا في العلاقة بين البلدان العربية، وبين الاتحاد السوفييتي.

وأحد أهم هذه التحولات هو النكسة التي أصابت العلاقات المصرية ـ السوفيتية،،تلك العلاقات التي ابتدأت منذ منتصف الخمسينات،ووصلت ـ في الفترة اللاحقة لهزيمة حزيران ـ مستوى مهما جدا طيلة تلك الفترة،من ابرز العناصر في الوضع العربي.

أما علاقات الاتحاد السوفييتي بالنظام المرتد في سورية،فانها تتسم أكثر من أي وقت مضى،بالدوافع المؤقتة والمحدودة،،فالاتحاد السوفييتي،يستخدم علاقاته مع النظام السوري لتأكيد وجوده في منطقة الشرق الاوسط،وفي عملية التسوية التي يحرص حرصا شديدا، على ان يكون له فيها دور بارز،كما ان النظام السوري يستخدم،هو الآخر الورقة السوفيتية،للمناورة من أجل الحصول على نتائج أفضل نسبيا في عملية التسوية .

وقد احتفظ الاتحاد السوفييتي بعلاقاته الجيدة مع اليمن الديمقراطية(١).

اما علاقاته بالجزائر،فلم تحقق أي تقدم يذكر،واستقرت على مستوى عادي ومحدود من العلاقات العسكرية والاقتصادية والسياسية .

(١) يبدو ان مكانة الاتحاد السوفييتي في اليمن الديمقراطية قد اصبحت اقوى من السابق،بعد التغييرات الاخيرة فيها.

ومن التطورات الجديدة في العلاقات العربية ـ السوفيتية،،نشوء علاقات وثيقة نسبيا بين الاتحاد السوفييتي وليبيا،بدأت بعقد صفقة سلاح كبيرة جدا،واذا ما استمرت هذه العلاقة، فان من المتوقع ان تكون عنصرا مهما في الاوضاع العربية والافريقية.

وفي الاونة الاخيرة اضطربت ـ تدهورت ـ العلاقات التي كانت وثيقة جدا بين الصومال والاتحاد السوفيتي، بسبب انحياز الاخير الى النظام الاثيوبي الذي يحتل جزء من الصومال،يسعى الصوماليين لتحريره من السيطرة الاثيوبية.

وبصورة عامة فان العلاقات التقليدية التي قامت منذ منتصف الخمسينات بين الاتحاد السوفييتي والبلدان العربية المسماة بـ(التقدمية).لم تتسع خلال السنوات الاخيرة وتتطور بشكل نوعي،بل تدهورت كثيرا بسبب خروج مصر وسورية من دائرة الحركة الثورية العربية من ناحية، وسبب سياسات الوفاق، ومواقف الاتحاد السوفييتي من مشاريع التسوية لما يسمى بأزمة الشرق الاوسط،من ناحية اخرى .وقد فقدت هذه العلاقة بريقها الجماهيري السابق،كما فقدت الكثير من مزاياها السابقة باعتبارها قوة استقطاب ثورية،واحد العناصر الاساسية في النضال ضد الاستعمار والصهيونية والرجعية في المنطقة.

ان هذه البلدان،في اطار الظروف العربية السابق ذكرها،قد أصبحت وبشكل عام،اقل من السابق على الاتحاد السوفييتي،من الناحية الاقتصادية، وبدرجة اقل،ولكن ذات مغزى، من الناحية العسكرية ايضا.

ومن الجانب الآخر،فان البلدان العربية المحسوبة،تقليديا،على الصف الرجعي،والتي كانت تتخذ،في السابق،مواقف عدائية ومتشنجة من الاتحاد السوفييتي،بدأت في السنوات الاخيرة تتجه الى تحسين علاقاتها به، وفي اطار محسوب وبدوافع محددة.

ويحرص الاتحاد السوفييتي على ان تكون له علاقات طبيعية مع البلدان العربية الرجعية،كما يحرص على اقامة علاقات اقتصادية معها.

وبشكل عام،بالاضافة الى ما ذكرناه عن التغيير في طبيعة العلاقات العربية ـ السوفيتية،فان موقف الاتحاد السوفييتي من هذه العلاقات بدأ، منذ سنوات،يتجه نحو الابتعاد، نسبيا،عن استقطاب،ويتخذ طابعا معتدلا يرمي الى اقامة علائق واسعة مع جميع البلدان العربية،تغلب عليها،في كثير من الاحيان،السمة الاقتصادية.

ان هذه المتغيرات المهمة،في علاقات الاقطار العربية بالقوى الدولية تعطي هذه الاقطار مجتمعة،وبعض الاقطار المهمة منها،بوجه خاص، مركزاموثرا في السياسة الدولية، لم تكن تتمتع به من قبل.

غير ان اغلب هذه الانظمة،وبحكم طبيعتها الرجعية او الوسطية او المشوشة،لم تستثمر هذه الامكانات والظروف الموضوعية استثمارا قوميا صائبا،واتجهت ـ في علاقاتها مع القوى الدولية ـ اتجاهات منحرفة او مشوشة او خاطئة،،بل ان بعض هذه الاتجاهات، وبخاصة مواقف النظام المصري والسوري والسعودي،تضر بالقضية القومية العربية اضرارا بالغا،، وتمكن القوى الاستعمارية من الحاق المزيد من الضرر بالقضية العربية.

ويتحمل القطر العراقي باعتباره أحد الاقطار العربية المهمة،مسؤوليات كبيرة في رسم مستقبل العلاقات بين العرب والقوى الدولية الكبرى .

فمسؤوليته، لاتنحصر في اتباع سياسة مستقلة مبنية على اساس المصالح القومية والنظرة المبدئية في التعامل مع القوى الدولية،وانما تتعداها الى العمل بشكل مثابر،وبشتى السبل، لتعميم هذه السياسة المستقلة،جهد الامكان،في الوطن العربي.كما انه يتحمل،في الوقت نفسه، وبحدود طاقاته مسؤولية تلافي قدر من نتائج الانحرافات والاخطاء التي ترتكبها الانظمة العربية،في التعامل مع القوى الدولية،،فمسؤولية القطر العراقي،في هذا الميدان، ليست قومية في اتجاهها العام فحسب وانما هي قومية ايضا بما يترتب عليها من التزامات، تتعدى حدود القطر العراقي،وقضاياه في العلاقات الدولية.

(٢)العامل الاقتصادي وقضايا التنمية:

برز خلال السنوات الاخيرة، عامل خطير في الاوضاع العربية،هو العامل الاقتصادي،والقوة الاقتصادية الهائلة للبلدان العربية المنتجة للنفط.

لقد كان العامل الاقتصادي،وبرغم أهميته الموضوعية،يتوارى خلال الخمسينات والستينات،خلف الاعتبارات السياسية والنفسية،التي كانت هي العنصر البارز في المسرح السياسي،ولكن في اطار الظروف العربية الجديدة،بدأ العامل الاقتصادي يحتل،بشكل تدريجي،موقعا متزايد الاهمية،ويؤثر تأثيرا خطيرا في تحديد الاتجاهات السياسية للانظمة العربية .

ينقسم الوطن العربي،من الناحية الاقتصادية،الى ثلاث مجموعات،، مجموعة فقيرة جدا بمواردها الاقتصادية،مثل مصر واليمن وموريتانيا والسودان والصومال،،ومجموعة ثانية ذات اوضاع

وموارد اقتصادية متوسطة،كـــالمغرب وتونـس ولبنـــان وســورية،ومجموعــة ثالثــة غنيــة بمواردها،وهي البلدان العربية المنتجة للنفط.

وفي السنوات القليلة الماضية،قفزت ثروات بعض البلدان المنتجة للنفط الى ارقـــام خياليــة، وادى ذلك الى ارتفاع رهيب في التفاوت بين مجموعة البلدان العربية الغنية، وبخاصة الســعودية ودول الخليج العربي،وحتى البلدان العربية ذات الاوضاع والموارد الاقتصادية المتوســـطة بــدت فقيرة،امام هذه القفزة الهائلة في ثروات الدول الغنية المذكورة.

وقد خلق هذا الوضع الجديد تهافتا واسع النطاق،من جـــانب اغلــب الــدول الفقــيرة،وذات الاوضاع الاقتصادية المتوسطة،للحصول على القروض والمعونات من الدول الغنية.

والى جانب العناصر الاخرى في الاوضاع العربية التي سبق الحديث عنها، يحتل هذا العـــامل الجديد موقعا مهما في تعزيز الاتجاهات اليمينية والانتهازية في الساحة العربية،ويمنـــح الانظمـــة الرجعية الغنية،وفي مقدمتها السعودية،وسائل ضخمة للتأثير في الاوضاع العربية العامـــة،وفـــي التأثير بالاوضاع الداخلية لعدد من البلدان العربية.

وخلال هذه المرحلة ايضا،اشتدت حاجة الاقطار العربية الى التنمية واصبحت شعارا ســـائدا، وقضية يومية تحظى باهتمام الحكومات والجماهير على حد سواء.

وللتنمية متطلبات موضوعية،منها الحصول على رؤوس الامـــوال والمســاعدات،اذا كـــانت البلدان النامية لا تمتلك رؤوس اموال كافية،ومنها الاستقرار الذي يشكل شرطا من شروط التنمية، ومنها ايضا العلاقات الدولية الواسعة والمتفتحة،لتأمين الحصول علـــى المســاعدات والخــبرات اللازمة للتنمية.

وفي اطار الظروف العربية الراهنة،وبسبب من الطبيعة اليمينية اصلا لبعض الانظمة العربية، والطبيعة غير الثورية وغير المحصنة للنظم الاخرى المحسوبة على الاتجاه التقدمي، فان تيـــارات وقيادات ذات نفوذ في هذه النظم،تعطي للتنمية مضامين منحرفة وغير موضوعية، ولا تنسجم مـــع طموح الجماهير،بما يؤدي باشكال مباشرة حينا،وغير مباشرة حينا آخر الـــى تعزيـــز الاتجاهـــات اليمينية والانتهازية في تلك الانظمة والى تزايد ارتباطها بالدول العربية الرجعية،،كما يؤدي الـــى اقامة علاقات مشبوهة بينها وبين الدول الاستعمارية، تحت ستار مزور من المشــروعية،بحجـــة ضرورة التنمية والتلاؤم مع متطلباتها.

ان الثورة في القطر العراقي هي الطرف العربي الذي يكاد يكون وحيدا في التصدي لهذه الظواهر والاتجاهات الخطيرة والمخربة،باسلوب جاد ومتكامل .فعلى الصعيد الداخلي تقدم التجربة الثورية التي يقودها الحزب،النموذج الصحيح في كيفية توجيه عملية التنمية، وبناء اقتصاد وطني مستقل،وسليم وموضوع في خدمة البناء الاشتراكي،ومرتبط بالاقتصاد القومي، والمصالح القومية.وعلى الصعيد العربي ــ وبرغم ان القطر العراقي لا يمتلك اية فوائض، وينفق موارده على تحسين الظروف المعاشية للجماهير،وعلى خطة التنمية وبناء القوة العسكرية المطلوبة للدفاع الوطني،ولتأدية الواجبات القومية ــ فان الثورة في القطر العراقي، تحاول ان تقدم،لعدد من الاقطار العربية،مساعدات نزيهة،وعلى اسس اقتصادية سليمة بهدف كسر موجة الاعتماد على البلدان الرجعية والاستعمارية،والانسياق وراء مخططاتها، وبهدف تعزيز مواقع القوى والاتجاهات العربية التقدمية.

(٣) اهمية الاقطار والمناطق في الوطن العربي:

ان العاملين اللذين تطرقنا اليهما في ١و ٢ من هذا الفصل قد اديا الى نتائج مهمة في الاوضاع العربية،وفي مواقف القوى الدولية من الوطن العربي واقطاره.ففي السابق،وفي ضوء العوامل التقليدية التي كانت سائدة عند ذاك في تحديد الاهمية الستراتيجية للوطن العربي، كان هناك تحديد لسلم الاهمية بين الاقطار العربية،فقد كانت مصر تحتل المرتبة الاولى في ذلك السلم،بسبب موقعها المتوسط في الوطن العربي ووجود قناة السويس ذات الاهمية الستراتيجية الخاصة،وكثافة سكان مصر،وتطورها الحضاري المتميز على بقية الاقطار العربية،وموقعها المؤثر في القارة الافريقية.وكانت اغلب القوى الدولية تعتبرها مفتاحا مركزيا للدخول الى المنطقة العربية بهدف الحصول على النفوذ فيها.

اما الان فقد اختلف الامر،فالاقطار الاكثر اهمية بالنسبة للقوى الدولية، وبخاصة اميركا واوربا الغربية،هي الاقطار المنتجة للنفط،وفي مقدمتها السعودية وامارات الخليج العربي،، للاسباب التي سبق ذكرها عن الطاقة واهميتها الستراتيجية،بالنسبة لاميركا واوربا،بالنسبة للوضع الدولي كله.

وقد قدر الحزب، ومنذ وقت مبكر،ان منطقتي الخليج العربي والبحر الاحمر ستزداد أهميتها بالنسبة للستراتيجية الدولية، وبسبب مسألة الطاقة.

وفي ضوء هذا التطور الجديد، فان اهمية الاقطار والمناطق الاخرى في الوطن العربي بلتت تقاس ـ بشكل اساس ـ بقدر تأثيرها المباشر او غير المباشر،على مخزون النفط هذا، وعلى عمليات نقله من الابار الى البلدان المستهلكة.

وعلى هذا لم تعد مصر تحتل الاهمية التي كانت تحتلها في الماضي،وبخاصة من زاوية المصالح الاميركية والاوربية،وان كانت ما تزال تعتبر مفتاحا اساسيا للدخول الى المنطقة، وقوة اساسية من قوى المواجهة ضد الكيان الصهيوني،الذي يعتبر الركيزة الاولى للمصالح الاستعمارية الاميركية في المنطقة.

ويتحدد الموقف الستراتيجي من مصر الآن،وفي المستقبل،بالسعي لابقائها في حالة دائمة من الضعف السياسي والاقتصادي والعسكري،ولكن من دون تعريض النظام الراهن فيها الى السقوط،لحساب قيام نظام تقدمي في مصر،،وقد تعمد اميركا،في بعض الاحيان،الى منح النظام القائم شيئا من الدعم،لتدفعه نحو تأدية ادوار لصالحها يف المنطقة العربية وافريقيا ولكنها تحرص على ان لا يؤدي ذلك الى عودة مصر الىدور الزعامة في الوطن العربي، الذي كانت عليه في السابق،وبخاصة في عهد عبد الناصر،حتى ولو كان النظام فيها،رجعيا ومواليا لها.ولا يعني هذا ان اميركا متمسكة،بشكل نهائي بالنظام القائم حاليا .فهذا النظام ـ شأنه في ذلك شأن الانظمة المشابهة له ـ معرض للتغيير،ليس من جانب القوى التقدمية المعادية للاستعمار فحسب،وانما هو ايضا معرض للتغيير بدفع من الاستعمار والرجعية العربية والرجعية المحلية،اذا ما بلغت الاحوال فيه درجة تخشى معها هذه القوى انفجارها لغير صالحها أو عجزه عن تنفيذ سياساتها وتامين مصالحها.

وقد ازدادت أهمية سورية في الستراتيجية الاميركية،في السنوات الاخيرة ازديادا ملحوظا .لقد كانت سوريا عنصرا مرجحا في موازن القوى في المنطقة،، وكانت كل القوى الدولية تسعى للسيطرة عليها،لتغليب كفة حلفائها في المنطقة العربية،،ولكن موقع سورية الخاص هذا، والذي ما يزال قائما قد اخذ بعدا جديدا بسبب مسألة الطاقة،ووجود نظام الحزب في القطر العراقي.

ان القطر العراقي هو أكبر وأقوى الاقطار العربية في منطقة مخزون النفط الكبير،وهو مجاور لها بجدود واسعة،كما انه بلد منتج للنفط وفعال في كل الشؤون المتعلقة به،سواء في الاطار العربي،او الدولي،،كما يمتلك، مخزونا كبيرا جدا من النفط.ان وجود نظام ثوري قومي مستقر وقوي،في جميع الجوانب السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية في العراق،يضع الاستعمار

الجديد في قلق شديد على حلفائه الرجعيين،اصحاب مخزون النفط القابعين في جنوبه،لذلك فان محاصرة هذا النظام بعد فشل محاولات اسقاطه،هدف مركزي وحساس في المخطط الاميركي، وفي حسابات الستراتيجية الاميركية يستطيع النظام السوري ان يضطلع بقسط اساسي من المهمة القذرة في التآمر على النظام الثوري في العراق.

ومن ناحية اخرى،فان سقوط النظام الراهن في سورية ــ بأي شكل يؤدي الى نشوء علاقة ايجابية بين سورية والعراق المتجاورين ــ يخلق في تقدير اميركا،اوضاعا جديدة يمكن ان تؤدي الى تغييرات مهمة في موازين القوى القائمة في المنطقة التي تعمل اميركا،منذ حزيران ١٩٦٧،حتى اليوم، على اخضاعها لصالحها وصالح الكيان الصهيوني، وحلفائها الرجعيين .

ويختلف الامر بالنسبة لمصر،،اذ ان أي تغيير ذي طبيعة تقدمية يتم فيها،يشكل، بالتأكيد،تهديدا للستراتيجية الاميركية في المنطقة. ولكن اميركا تعرف بان الازمة الاقتصادية الخانقة التي تعاني منها مصر لابد ان تضعف فاعلية أي نظام تقدمي يأتي فيها،لفترة طويلة من الزمن، وقد تجبره على مجاملة الانظمة الرجعية الغنية،بهدف الحصول على مساعداتها المالية. وبرغم الفوارق بين نظامي عبد الناصر والسادات،علينا ان لاننسى ان النظام المصري، في السنوات الاخيرة من عهد عبد الناصر،وبخاصة منذ مؤتمر الخرطوم الذي عقد بعد هزيمة حزيران،ولاسباب عديدة،كان ابرزها حاجته الى الاموال من الدول العربية الرجعية الغنية،كان قد جمد الصراع ضد الرجعية العربية،وفي آخر ايامه،قبل عبد الناصر بمشروع روجرز، وكان مستعدا لاعادة صياغة علاقاته مع اميركا على نحو غير صدامي.

وهذا ما يفسر الاهتمام الاميركي المركز على النظام السوري القائم وقبول اميركا بتظاهراته المفتعلة، لانها تقدر بأن مثل هذه التظاهرات تساعده على البقاء،كما تساعده في مواجهة تأثيرات ثورة الحزب في القطر العراقي،،وهذا ما يفسر ايضا الكثير من المواقف الاميركية،، ومواقف الانظمة الرجعية في دعم النظام القائم في سوريا دعما استثنائيا،ومنحه،في بعض الاحيان رجحانا نسبيا على مصر،على الرغم من ان النظام المصري يبدو اكثر اندفاعا نحو اميركا،وانسجاما مع سياستها.

وقد ازدادت،بسبب هذه العوامل في نظر الستراتيجية الدولية اهمية السودان والصومال، وارتيريا واليمن الشمالي والجنوبي وهي البلدان العربية المحيطة بالبحر الاحمر،الذي تسير فيه قوافل النفط المنتج في السعودية والخليج باتجاه اوربا واميركا،،وهذا يفسر اهتمام اميركا وحلفائها

الشديد باسناد النظام القائم في السودان،دون ان يعني ذلك حرصهم النهائي على بقائه بصيغته وقيادته الحالية،التي تعرضت للاهتزاز اكثر من مرة، فالمهم هو ابقاء السودان في اطار الفلك الاميركي ـ الرجعي العربي،،كما يفسر ايضا اهتمام الانظمة العربية الرجعية في الآونة الاخيرة بالثورة الارتيرية التي بقيت سنوات عديدة تناضل ضد هيلاسلاسي من دون اسناد مادي وحتى معنوي ظاهري من هذه الانظمة،،كما يفسر محاولات اميركا والسعودية السيطرة على اليمن الشمالي وتوثيق علاقاته بالصومال ومحاولته تغيير مواقفه واستغلال صدامه ضد النظام الحالي في اثيوبيا.

ان هذا التغيير في تحديد أهمية الاقطار العربية،في ضوء المتغيرات الجديدة في الستراتيجية الدولية ينعكس اليوم،وفي المستقبل،انعكاسا شديداً على طريقة تعامل اميركا واوربا الغربية،بوجه خاص،مع هذه الاقطار، وعلى ماتصبه من جهود للمحافظة على الانظمة الموالية لـها،او خلق اوضاع تكون مطمئنة لمصالحها الستراتيجية فيها.

(٤) ظروف الصراع العربي ـ الصهيوني في المرحلة الراهنة:

ان السمة الاساسية الغالبة،في الوقت الحاضر، ولفترة قادمة،على الصراع العربي ـ الصهيوني، هي سعي اغلب الانظمة العربية واغلب قيادات منظمة التحرير الفلسطينية الى تحقيق التسوية مع العدو،نوتصفية القضية الفلسطينية .وان التردد والغموض،واساليب التغطية التي كانت تطبع، بنسب واشكال متفاوتة،مواقف الاطراف المعنية بالتسوية مباشرة، وهي مصر وسورية والاردن وقيادة منظمة التحرير الفلسطينية،في المراحل السابقة قد انتهت،واصبحت مواقف هذه الاطراف من القضايا الجوهرية في الصراع العربي ـ الصهيوني واضحة،أكثر من أي وقت مضى،،وستشهد المرحلة القادمة وضوحا أكثر، وبخاصة فيما يتعلق بالمسائل التفصيلية في التسوية .

ان هذه الاطراف الاربعة،قد اعلنت صراحة استعدادها للاعتراف بالكيان الصهيوني [١]، وتصفية القضية الفلسطينية في اطار ما يسمى بـ(وطن قومي للفلسطينيين)،او (دويلة

---

[١] ان منظمة التحرير الفلسطينية لم تعلن ذلك بشكل رسمي،حتى الان ولكن كل الدلالات تشير الى ان قيادتها قد اتخذت هذا الموقف فعلا سواء من حيث قبولها بمشروع الدولة الفلسطينية،او من خلال اتصالها مع بعض الاوساط الصهيونية.

فلسطينية).كما بات مؤكدا انها تعتمد، بالدرجة الاولى، وستبقى كذلك في المرحلة المقبلة، على امريكا، لتحقيق التسوية، وان تباينت مستويات علاقاتها مع الاتحاد السوفيتيي،الذي سيكون دوره ثانويا،وفي بعض الاحيان شكليا،بالقياس الى الدور الاميركي الفعال.

وكما كانت عليه الحال في المرحلة السابقة،فان الانظمة الرجعية،وفي مقدمتها السعودية، ستدعم اتجاه التسوية بكل قوة،وستجند له الكثير من إمكاناتها السياسية والاقتصادية،، وستكون مسألة التسوية بالنسبة للانظمة الرجعية، وبخاصة السعودية، كما هي بالنسبة للاطراف الاربعة المذكورة،مسألة مصير .

كما ان انظمة غير رجعية،بحكم تأثرها بموقف أغلبية الانظمة العربية والقوى الدولية،او لاسباب تتعلق بمجمل ظروفها الخاصة تقف الان علنا او باشكال غير مباشرة مع خط التسوية ايضا.

اما على الصعيد الدولي،فان امريكا والاتحاد السوفييتي واوربا الغربية وبلدان العالم الثالث كلها تقف الى جانب خط التسوية،،وليس هناك أية قوة دولية ضده.ومن المتوقع ان يبقى الموقف الدولي هكذا.ولكن تعقد التسوية، وحدوث تطورات او مفاجاءات في أي من الجانبين، العربي اوالصهيوني يمكن ان يغير، نسبيا، في مواقف هذه القوى الدولية او تلك.

غير ان التسوية،وبرغم كل هذا الثقل العربي والدولي الذي يدفع باتجاهاتها،ما تزال قضية معقدة ومحفوفة بالمشكلات المتفجرة.

ان في مقدمة المشاكل الدقيقة في عملية التسوية مسألة الشكل النهائي الذي ستاخذه عملية تصفية القضية الفلسطينية،على ايدي الاطراف العربية الاربعة المعنية بالتسوية مباشرة، والاطراف العربية الاخرى وعلى ايدي اميركا والكيان الصهيوني والاطراف الدولية الاخرى.

لقد تبنت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية مشروع (الدولة الفلسطينية)على الضفة الغربية من نهر الاردن وقطاع غزة،وتخلت في الواقع عن برنامج التحرير الكامل لفلسطين،، وتساند المنظمة في تبنيها لهذا المشروع، الذي يصفي القضية الفلسطينية التي كانت محور صراع ساخن وطويل في المنطقة لاكثر من ربع قرن من الزمن والذي ينطوي على استعادة ارض من فلسطين لاتزيد نسبتها عن ٢٣% من اصل فلسطين، وكانت حتى قبل ٥ حزيران ١٩٦٧ تقع تحت سلطة دولتين عربيتين،هما المملكة الاردنية ومصر،، ان هذا المشروع هو بعيد المنال، فالكيان الصهيوني يرفضه بكل قوة،وبعد ان تحدث الرئيس الاميركي بشكل غامض عن وطن قومي للفلسطينيين،مما

اوهم الانظمة العربية والاوساط المستسلمة في المقاومة الفلسطينية بأن الرئيس الاميركي يدعم فكرة الدولة الفلسطينية،،عاد الرئيس الاميركي وتراجع عن تصريحاته تلك.

وكما سبق واشرنا في الجزء الاول[1]،فان النظام السوري كان مستعدا، من خلال دعوته المشبوهة للوحدة مع الاردن خلال عامي ١٩٧٥ و١٩٧٦،لتصفية القضية الفلسطينية،في اطار يشبه مشروع الملك حسين((المملكة العربية المتحدة)).

ومن جانب اخر، ومهما كانت الحلول التي ستعتمد،في اطار التسوية لمستقبل الضفة الغربية وغزة، فان مشاكل كثيرة ما تزال تكمن في تلك الحلول نفسها،برغم ما تنطوي عليه من تصفية للقضية الفلسطينية واضرار بالمصلحة القومية العليا،،فهناك مشكلة منظمة التحرير الفلسطينية التي سارت في خط المساومة والتصفية عدة سنوات، من اجل ثمن توهمته..ولابد للاطراف التي ترتب امر التسوية من ان تواجه مشكلة ترتيب وضع ما لهذه المنظمة وقياداتها المستسلمة،، كما ان هناك مشكلة الفلسطينيين المقيمين في اقطار عربية اخرى، وبخاصة في لبنان، وهي مشكلة لابد ان تطرح بصورة قانونية،بعد اية تسوية يتم التوصل اليها.وهناك ايضا مشكلة الوجود الفلسطيني الكبير في الدولة الاردنية،وصلته بمستقبل هذه الدولة،عندما يتم الوصول الى حل ما بالنسبة للضفة الغربية وغزة.

ان هذه النقاط تشير الى ان الملف الفلسطيني سيبقى مفتوحا على نطاق واسع،ليس من قبل الثوريين العرب سيرفضون كل هذه الحلول، ويناضلون ضدها تحت راية هدف التحرير الشامل حسب، وانما من قبل اولئك الذين سيرتبون هذه الحلول او يتعاملون مع اجزاء منها، وحتى من قبل الذين يعارضونها معارضة جزئية،ويطالبون بتسوية اخرى في اطار القرارين ٢٤٢و٣٣٨،وبما يؤدي الى اقامة ((دولة فلسطينية مستقلة)) في الضفة الغربية وغزة،لان هذه ((الحلول)) المهينة والتي تفرط بالحق العربي لا يمكن ان توفر (حلولا فنية شاملة) لكافة جوانب المشكلة الفلسطينية المتشبعة والمعقدة.

والمسالة الشائكة الاخرى،هي مسألة تعيين الحدود النهائية بين الكيان الصهيوني من جهة،وبين مصر وسورية من الجهة الاخرى.

والى جانب كل هذه المشاكل،هناك المشكلة اللبنانية الدقيقة والمعقدة فهذه المشكلة المتفجرة ما تزال معلقة حتى الآن،بانتظار ما ستسفر عنه خطوات التسوية وتطوراتها اللاحقة.

---

[1] انظر ص (١٠٨) عن دور النظام السوري في الاحداث اللبنانية.

كما ان هناك مشكلة مهمة اخرى هي طبيعة العلاقات بين الاطراف الاربعة،مصر وسورية والاردن والفلسطينيين،وبين الكيان الصهيوني بعد انجاز التسوية .

فمن بين النقاط الاساسية في مفهوم الكيان الصهيوني للتسوية الشاملة، اقامة علاقات سياسية واقتصادية وثقافية مع الانظمة العربية المجاورة له،،ويلتقي الموقف الاميركي في هذه القضية مع موقف الكيان الصهيوني هذا،،لانه يؤمن له مزيدا من التأثير الصهيوني في اوضاع المنطقة ويعزز النفوذ الاميركي فيها.

وسيزداد الحاح الكيان الصهيوني على هذه النقطة،كلما وجد نفسه مجبرا على القبول بالتسوية،وكلما كان عليه ان ينسحب من اراض اكثر وستجد الانظمة العربية نفسها،في اطار الحوار مع اميركا ومعه،في موقف ضعيف ازاء الضغط الصهيوني والاميركي،والذي ستنضم اليه اطراف عديدة اخرى مثل اوربا الغربية،ولن يتمكن الاتحاد السوفييتي من الوقوف بوجهه(١)

ان هذه المشكلات والمسائل وغيرها،كلها متشابكة الى درجة خطيرة وترتبط الواحدة منها بالاخرى ارتباطا وثيقا،،واي خلل او اضطراب في واحدة منها ينعكس على الاخرى، ويؤثر فيها،فصيغة التسوية، برغم كل الثقل العربي والدولي الذي يدفع باتجاهها، تبقى صيغة قلقة ومعرضة للاضطراب، وحتى الانفجار.وتؤثر هذه الصيغة القلقة، بمشكلاتها وجوانبها المتشابكة والمتعددة،تأثيرا مباشرا وشديدا على اوضاع النظامين المصري والسوري، وعلى كل الاوضاع في المنطقة. فهذان النظامان غير راسخين،ويعانيان من مشكلات اقتصادية خطيرة، ويتعرضان لشتى الاحتمالات التي تزداد خطورة،كلما تعقدت شؤون التسوية، وتنعكس اوضاع هذين النظامين،هي الاخرى،على اوضاع التسوية نفسها،، وهذا ضمن شبكة معقيدة من عملية التاثير المتبادل.

---

(١) لقد استشرف المؤتمر القومي الحادي عشر هذه النقطة بعمق في وقت مبكر،وقدر الموقف تقديرا صحيحا تماما،،لذلك شاهدنا السادات يقوم بزيارته للارض المحتلة التي جاءت لاسباب من اهمها حرصه على ازالة أي التباس حول مسألة الاعتراف بالكيان الصهيوني والاستعداد للتعايش معه عند قيام التسوية،وقد جاءت اتفاقيات كامب ديفيد لتكريس المسألة تكريسا نهائيا .وبرغم ان اطراف التسوية الاخرى وبخاصة النظام السوري وقيادة منظمة التحرير الفلسطينية قد عارضت زيارة السادات واتفاقتي كامب ديفيد،الا انها تلتقي معه،في الواقع،حول هذه المسألة،ولابد ان يحين دورها لكي تعبر هي ايضا،وفي الوقت الملائم،عن نفس الاستعداد الذي عبر عنه السادات.

وهذا الوضع القلق يدفع الاوساط العربية والدولية الى الدعوة للتعجيل بالتسوية، للمحافظة على هذين النظامين،وعلى مجمل الاوضاع العربية الراهنة،ولا يخفى هذا البعض قلقه، بل فزعه،من ان تأجيل التسوية او انهيارها سيؤدي الى نتائج خطيرة على هذين النظامين، وعلى مجمل الاوضاع الراهنة في المنطقة،وفي الوقت نفسه،فان الكيان الصهيوني يعرف هذه الحقيقة،ويستغلها الى ابعد مدى لفرض شروطه في التسوية مما يعقد مجراها، ويزيد من متاعب النظامين المصري والسوري وحلفائهما.

ومما لا شك فيه اميركا تاخذ هذا العامل بعين الاعتبار،،ولابد ان توازن بين مصلحتها في توفير مستلزمات حماية هذين النظامين وحلفائهما الرجعيين،وبين خوفها من احتمالات سقوطهما، او سقوط احدهما لغير صالحها، مما يغير عناصر الموقف الذي يقوم عليه مخططها في التسوية، ويجعل مواقفها وتعهداتها من قضايا الصراع العربي ـ الصهيوني بدون ثمن،، او بثمن ناقص لا يرضيها.

ان الانظمة العربية السائرة في ركاب التسوية تعرف كل هذه الحقائق والمشاكل،ولكنها تسعى بكل الوسائل، الى تغطيتها، وصرف نظر الجماهير والى اضفاء طابع من القوة على اوضاعها، لارهاب القوى الثورية،ومنعها من التحرك ضدها، لان مثل هذا التحرك اذا ما كان جادا او قويا،يمكن ان يعرى ضعفها الحقيقي، وبالتالي، يعرضها للانهيار .ولكن مما يزيد من متاعب هذه الانظمة،وبالتالي ينعكس على عملية التسوية .

ان هذه المشاكل لا يمكن اخفاؤها،فالكثير منها بارز ومطروح الان،او منذ السابق،، وحتى لو نجحت عملية التغطية والتعتيم عليها من جانب الانظمة العربية،فان الجانب الصهيوني ـ وكلما اقتربت التسوية ـ لابد ان يطرحها بصوت عال،ويلح في طلب الاجابات والحلول لها.

وهذه الانظمة،عندما جوبهت بتلك المشاكل في وقت لم تكن مستعدة لتحديد موقف نهائي منها،لاسباب عديدة،مرتبطة بتعقد الموقف كله، كانت تضطر في احيان كثيرة الى اطلاق تصريحات ووعود متشددة،تجد نفسها بعد حين مضطرة الى مناقضتها،وهذا ايضا يعقد الامور في وجهها.

وباختصار،ان ما يسمى بأزمة الشرق الاوسط هي من اكثر الازمات الدولية في العصر الراهن تعقيدا،وتشابكا،وخطورة،فالاطراف الدولية المعنية بها هي اغلب الاطراف المهمة في العالم،،اوربا،الاتحاد السوفييتي،اليابان،وعدد كبير من بلدان العالم الثالث،، وللاطراف الكبيرة الثلاثة الاولى مصالح وستراتيجيات في المنطقة تتناقض حينا،وتتشابك حينا آخر.

وعلى الصعيد المحلي،وبرغم التقسيم العام الذي يصور الازمة على انها بين طرفين، العرب من جانب،والكيان الصهيوني من جانب الاخر،فأن المسألة ليست بهذه البساطة. ان الجانب العربي ليس جانبا واحدا،وانما هو خليط من الانظمة والعناصر والاوضاع التي لم يتمكن احد،حتى الان من ضبطها في مسار واحد،او ضمان استقرارها على منهاج واحد.

وقد اثبتت تجارب العصر الحديث ان من اهم مستلزمات الوصول الى حل للمشكلات الدولية الكبيرة والحساسة بلوغ قدر ملموس من الاستقرار في الاوضاع السياسية والاقتصادية والعسكرية لدى الاطراف المعنية،وبلوغ قدر من الاستقرار في النظرة الى قضايا الخلاف والوفاق ومفاهيمها،وهذا العامل،ليس متوفرا في المنطقة العربية،وفي منطقة الشرق الاوسط. فهذه المنطقة لم تبلغ مرحلة الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعسكري،، ولم تستقر فيها المفاهيم بعد حول القضايا الاساسية،ومنها الصراع العربي ـ الصهيوني،فهي منطقة تحولات ومتغيرات،وسيتطلب الامر وقتا طويلا،وسلسلة معقدة من التطورات،قبل ان تستقر المنطقة على شكل سياسي واقتصادي واجتماعي وعسكري معين.

وحتى لو تمت تسوية الصراع العربي ـ الصهيوني في اطار المشاريع المقترحة حاليا،،وهي قائمة على اساس تقدير الاطراف المعنية للظروف والموازنات القائمة حاليا في المنطقة،،فان هذا الصراع يمكن ان يتجدد،بشكل او بآخر،اذا ما حدث تغير في هذه الظروف والموازنات،يجد فيه احد الاطراف الاساسية تهديدا لستراتيجيته ومصالحه.

ان اطرافا عربية ودولية عديدة تحاول ـ بشتى الطرق ـ ان تخفي هذه الحقائق،برغم معرفة البعض،وبخاصة القوى الدولية الكبرى بها،،والغرض من ذلك هو نزع الفتيل من مشكلة متفجرة،وتجنب اثارها الخطيرة الراهنة.

ولكن الصراع العربي ـ الصهيوني ليس مجرد ظاهرة عابرة او ازمة آنية،،انه عنصر اساسي من عناصر الموقف في المنطقة العربية،وسواء تمت التسوية،او لم تتم،فان هذا الصراع سيبقى،وان اتخذ اشكالا جديدة،ولن ينتهي تماما،او يقف عند حد معين وثابت،الا عندما تبلغ المنطقة العربية مستقرها،من ناحية التطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعسكري.

(٥)الصراع بين القوى التقدمية والقوى والرجعية :

ان ميزان القوى الراهن في المنطقة العربيـــة،بيـــن القـــوى التقديميـــة والقـــوى الرجعيـــة واليمينية،يميل،بشكل بارز،لصالح الاخيرة،وقد يبقى هذا الوضع لفترة غير قصيرة فـــي المرحلـــة القادمة.

فالنظام المصري الذي كان،في الخمسينات والستينات،ركنا مـــهما فـــي المعســكر التقدمـــي العربي،واتجه اتجاها متسارعا نحو المعسكر الرجعي الاستعماري،وهذه نقطة تحول مهمة جدا فـــي موازين القوى في المنطقة،لما لمصر من تأثير فيها، باعتبارها اكبر البلدان العربية، ولما لها مـــن وزن سياسي وحضاري كبير،ويمكن ان يرجح موازين القوى في المنطقة بالاتجاه الـــذي يســـير فيه.

اما سورية التي كانت مسرحا نشيطا لحركة الثورة العربية،فان النظام المشبوه الذي يســـيطر عليها منذ سنوات،لم يخرجها من كفة المعسكر التقدمي فحسب،،وانمـــا صـــار يســـخر موقعـــها وامكاناتها في تأدية الادوار المخربة والقذرة،لصالح الاستعمار والرجعية .

ان الاتجاهات الرئيسية في النظامين المصري والسوري،والتي رجحت كف المعسكر الرجعـــي في المنطقة قد ترسخت،واصبحت منهجا ثابتا لهما.

وتعاني انظمة التسوية من ازمات حادة،فسياستها الداخلية ـــ ولا سيما في ميـــادين الثقافـــة والاقتصاد، والتي ترتبط بسياستها الخارجية واجهت فشلا ذريعا في اقناع الجماهير،وفي تطميـــن مصالحها .وقد ازدادت الازمات الاجتماعية تفاقما،كما زادت الاوضاع الاقتصادية ترديا، وكان مـــن نتائج الانفتاح على السوق الرأسمالية،وفسح المجال امام الشـــرائح الطفيلية والمســـتغلة،فـــي الداخل،ان ازداد تركز الثروة في يد القلة المستغلة،مقابل زيادة بؤس الجماهير، واصبحت البطالـــة وفساد الاجهزة الادارية،وارتفاع اسعار السلع الاساسية تشكل معاناة يومية للمواطنين.

ولم يستطع النظام السوري ان يخفي التذمر الذي يجاهر به المواطنون.

كماتمخضت الاوضاع في القطر المصري،في كانون الثاني ١٩٧٧،عن انفجار عفوي عنيف،عـــبر بشكل واضح عن السخط العام،ويأس الشعب من جدوى السايسات العامة للدولة.

ولم تعد نظم التسوية معزولة عن جماهير الشعب فحسب،بل هي تعاني مـــن تناقضـــات فـــي داخلها. فبجانب اليمين التقليدي تظهر حركات يمينية أشد تطرفا،تجاهر بالاقليمية حينا،وتتخذ مـــن الدين ستارا لعملها حينا آخر،مما يؤكد فقدان هذه النظم لتماسكها الداخلي.

وعلى الصعيد الشعبي،لاتوجد،الان،في أي قطر رجعي،حركة ثورية بـــارزة ومـــهيأة لتســلم السلطة،وبالتالي لتغيير موازين القوى الراهنة.

وعلى صعيد المقاومة الفلسطينية،ماتزال الاطراف السائرة في ركاب التسوية، اقوى واكــثر تأثيرا،من الاطراف المعارضة لها، وقد اصيبت المقاومة الفلسطينية كلها بالضعف، بعـــد احــداث لبنان،كما ضعفت ايضا الحركة الوطنية اللبنانية .

غير اننا يجب ان لا نسقط من الاعتبار احتمالات حدوث تغييرات تكتيكية في مواقف ومواقــع الانظمة والقوى الرجعية واليمينية،تحت ضغط ظروف ذاتية او عربية،او بتأثير تعقيــدات مجــرى التسوية .وبرغم وضوح الخط الرجعي والســـائر وراء التســـوية فـــي مواقــف هــذه الانظمــة والاطراف،فأنها لم تفقد،نهائيا، سمة مهمة فيها،وهي التأرجح والتذبذب.

اما الجانب التقدمي،وبرغم وجود عدة انظمة محسوبة على الصف التقدمي،البعض منها مــهم جدا في موازين القوى العربية، الا ان برنامجا للعمل المشترك فيما بينــــها،علــى اســاس ثــابت ومتواصل، وقائم على ستراتيجية كفاحية طويلة الامد،لم يتحقق حتى الآن.في حين تمارس الانظمة الرجعية وانظمة التسوية، ومن يدور في فلكهما،اشكالا فعالة،نسبيا،من التنسيق والتعاون.

وما تزال القوى التقدمية تعاني من ازمتها القديمة التي سبق ان تطرقنا اليها،وهي انقســـامها بين فريق مناهض للتسوية،وفريق آخر يوافق عليها،وان كان له في بعض الاحيان مواقف مختلفة عن مواقف هذا الطرف،او ذاك من اطراف التسوية.

لقد كان هذا الانقسام ذا تأثير خطير على موازين الصراع،بين المعسكر التقدمـــي والمعســكر الرجعي،،فبينما كانت القوى الرجعية كلها متفقة على خط التسوية،ومنسجمة بنســـبة جيـــدة مـــع حليفها الاستعماري،كانت القوى التقدمية مختلفة حولها،ومتناقضة بشدة،فيما بينها احيانا،مما اربك صفوفها،واربك واضعف علاقاتها مع حليفها الدولي،اتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية.

وقد ادى ذلك الى زيادة قدرة القوى الرجعية على التأثير في بعض الاطراف المحسوبة علـــى المعسكر التقدمي،وجرها باتجاه التسوية،وبالتالي وضعها،بشكل او بآخر،تحت لوائها،، ممـــا ادى الى تجميد طاقات هذه القوى، في الصراع القائم، والى عدم تطور موقفها،، وهو ما افـــادت منـــه الرجعية كثيرا.

ويمكننا ان نستنتج،بشكل اكيد،ان مواقف الاطراف العربية المحسوبة على الصف التقدمي،من التسوية لم تصب،عمليا،في مجرى تطور حركة الثورة العربية،،ولم تؤد الى تعزيز مواقفها،وانمـــا

اسهمت في اضعافها وخدمت،عمليا،من حيث لا تريد،المعسكر الرجعي ومخططات الاستعمار،، ومن الواضح تماما ان مواقف هذه الاطراف لاتتسم بالاصالة والقناعة الذاتية،فهي اما استمرار لمواقف تقليدية،او انسياق سطحي وانتهازي وراء موقف الاتحاد السوفييتي، وهي ايضا تعبير عن طبيعتها الاقليمية،سواء كانت انظمة، او قوى سياسية خارج الحكم.

ان هذه الاطراف،وبرغم التجارب المريرة التي مرت بحركة الثورة العربية،خلال المرحلة السابقة،وبرغم الخسائر الفادحة التي لحقت بها،لم تدرك،حتى الان،ان التسوية في المنطقة العربية ليست مجرد برنامج سياسي لحل ما يسمى بازمة الشرق الاوسط،يمكن ان تنشأ حوله اختلافات واجتهادات،حتى بين اطراف معسكر واحد،وانما هي المحور الذي يدور حوله النشاط الرجعي والاستعماري المحموم،لتصفية القوى التقدمية العربية، وفرض الهيمنة الاستعمارية ـ الصهيونية ـ الرجعية على المنطقة العربية.واي تصور بامكان اتخاذ موقف تقدمي ومعاد للاستعمار،في وقت واحد مع الموافقة على التسوية،مهما وضع لها من شروط ومضامين هو تصور خاطئ تماما،، بل تصور قائم على الوهم، واستمرار التمسك، به لا يدل على استمرار الخطأ فحسب،وانما يعني الاصرار على الاضرار بحركة الثورة العربية.

وبالاضافة الى هذا الانقسام الخطير،هناك خلافات فكرية وسياسية عديدة اخرى،بين الانظمة والاحزاب والقوى التقدمية العربية،تعرقل مضامينها واتحادها وتزيد من ضعفها امام المعسكر الرجعي.

ويبدو المعسكر الرجعي اكثر نشاطا ومبادرة من القوى التقدمية فهو يتخذ،في بعض الاحيان من الاستعمار الجديد،مواقف تعرضية جريئة،كما فعل النظام السوري في لبنان، وكما فعل النظام المصري ضد ليبيا،وفي افريقيا،وكما فعل النظام المغربي في زائير، والنظام السعودي في مسألة اسعار النفط.

اما القوى التقدمية فان البعض منها،يتخذ احيانا مواقف تعرضية استعراضية ومشوشة ومتقلبة، لاتحقق نتائج ايجابية،،والغالبية الاخرى تتصف مواقفها بالتحفظ والمغالاة في الحسابات، ونقص الروح التعرضية،ويغلب عليها،بصورة عامة،الطابع الدفاعي.

وبرغم ما تشير اليه هذه الاوضاع من تفوق واضح في كفة ميزان المعسكر الرجعي واليميني،فان اوضاع هذا المعسكر ليست كلها متينة وثابتة.

ان اوضاع النظامين المصري والسوري التي اشرنا اليها سابقا،تشكل نقطة ضعف خطـــيرة في هذا المعسكر،وبالتالي في الموازين بينه وبين القوى التقدمية.ومن الاكيد ان أي تغيير ينقـــل احد هذين النظامين الى الصف التقدمي،بشكل او بآخر،او يخرجه،ولو لفترة مؤقتة،مـــن الصيغـــة الراهنة للمعسكر الرجعي،ولعملية التسوية،سينعكس على اوضاع المعسكر الرجعي،ويحدث تغييرات مهمة في موازين القوى الراهنة.

ومن جانب آخر فان أي اضطراب،او تأخير في مجرى التسوية،،خاصة اذا ما استثمرته قـوى الثورة العربية استثمارا فعالا، يمكن ان يخلخل اوضاع المعسكر الرجعي، ويؤثر في الموازين بينه وبين القوى التقدمية،،فمسألة التسوية،،نجاحها او فشلها،،انجازها بسرعة،، او تأخرهـــا لفــترة طويلة،عامل جوهري في تقرير الاوضاع في المنطقة،وفي موازين القوى فيها.

كما ان أي اتجاه جاد ومتصاعد نحو التضامن والعمل المشترك بين القوى التقدمية،او فريـــق مهم منها،وانتقالها من مواقعها واساليبها المنكمشة والدفاعية الراهنة،الـــى اســاليب ومواقـــف تعرضية جريئة ورصينة،يمكن ان يدفع المعسكر الرجعي،او بعض الاطراف الضعيفة فيــــه،علـــى الاقل،نحو الانكماش والدفاع عن النفس،،مما يؤثر في موازين القوى الحاليـــة،، فـــالامر الاكيـــد تماما،وبرغم السياسات التعرضية التي تتخذها بعض الاطراف الرجعية احيانا، هو ان اغلب تلـــك الاطراف لا تمتلك ــ في الواقع ــ ما يوحي به الان،وفي ظل الظروف المائعة الراهنة، من شجاعة وقدرة على الصمود .

ان رجحان كفة الرجعية، في ميزان القوى الراهن في الوطن العربي، ليس وضعـــا راســـخا، ونهائيا، لا يمكن التصدى له وتغييره،، بل انه ما يزال وضعا قلقا،ينتظر من يتصدى لـــه بجــرأة وحكمة. والمنطقة العربية حبلى بشتى اشكال المفاجآت والتغييرات،،وان عوامل التقـــدم والثـــورة التي تبدو الآن ساكنة،، يمكن ان تتفجر هنا،او هناك،في أي وقت من الاوقات.

(٦)قضايا الصحراء الغربية،ارتيريا،الصومال الغربي،جيبوتي،منطقة البحر الاحمر والخليـــج العربي:

اضافة الى القضية الفلسطينية والصراع العربي ــ الصهيوني،اللذين يشكلان محورا اساســـيا في النضال العربي،ويحتلان في الظروف الراهنة، ولفترة طويلة في المستقبل،اولوية خاصة فـــي

هذا النضال،هناك في الساحة العربية عدد من القضايا المهمة التي تتطلب فهم وتحديد المواقف المبدئية والسياسية الصائبة ازاءها:ـ

(أ)الصحراء الغربية:

لقد كان هذا الجزء من الوطن العربي محتلا من قبل اسبانيا.

وقبل بضع سنوات ازداد الحاح الحكومة المغربية في المطالبة باستعادته باعتباره جزء من القطر المغربي،،غير ان مطالبتها هذه اثارت خلافات بينها وبين موريتانيا،حول عائدية الصحراء، وبينها من جهة وبين الجزائر من الجهة الاخرى، حول اساليب استعادته من السيطرة الاسبانية وتحديد مستقبله.

وقد قام العراق من خلال علاقاته الجيدة مع اسبانيا بالضغط عليها للجلاء عن الصحراء الغربية، ونصحها بان تتصرف فيما يخص عائدية الصحراء وفق ماتتفق عليه الاطراف العربية المعنية،ومن خلال الجامعة العربية .

وقد تمكنت الحكومتان المغربية والموريتانية من الوصول الى اتفاق باقتسام الصحراء الغربية فيما بينهما،واتفقتا مع اسبانيا على هذا الاساس فجلت اسبانيا عن الصحراء وسلمتها للمغرب وموريتانيا.

غير ان الحكومة الجزائرية التي لم يسبق لها ان عبرت علنا عن طلبات خاصة في عائدية الصحراء الغربية،عارضت الاتفاق المغربي ـ الموريتاني ـ الاسباني بشدة،ودعت الى استقلال الصحراء الغربية الكامل،وساندت حركة صحراوية مسلحة،تنادى باستقلال الصحراء، هي (الحركة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب ((البوليزاريو))).

لقد ايد الحزب وحكومة الثورة في القطر العراقي استعادة الصحراء الغربية من قبل المغرب وموريتانيا،بصرف النظر عن رأيهما في صحة او خطأ الاساليب التي اتبعتها الحكومتان المغربية والموريتانية، وفي طبيعة النظامين المغربي والموريتاني.

وقد استند هذا الموقف على اساس قومي،فالصحراء الغربية جزء صغير من الوطن العربي، وسكانها قليلون،وليس هناك مصلحة قومية اكيدة في ان يقوم فيها كيان مستقل،،حتى ولو كان تقدمي الاتجاه،،فهذا الكيان انما يضيف رقما جديدا الى الكيانات الصغيرة الهزيلة القائمة في الوطن

العربي، والتي باتت تشكل عبء على النضال الوحدوي العربي،ومرتعا خصبا للنفوذ الاستعماري والتغلغل الاجنبي والتناقضات في الساحة العربية.

ومع ايماننا بحق تقرير المصير بكافة الشعوب الخاضعة للنفوذ الاجنبي فان هذا الحق يجب الا ينصرف الى المساس بوحدة التراب والتكوين القومي.

وقد اكد الحزب ان هذا الموقف لايتناقض مع تقييمه للنظام المغربي، كنظام رجعي وثيق الصلة بالدوائر الاستعمارية،ومع تقييمه للنظام الجزائري كنظام محسوب على الصف التقدمي، وحرصه عليه وعلى اقامة اوثق اشكال التعاون معه،فالموقف المبدئي والسياسي ضد الانظمة الرجعية لايبرر الانجرار نحو منهج التجزئة واثارة النعرات الاقليمية،ففي جميع الاحوال لا بد من التمسك المبدئي والعملي الحازم بالنهج القومي،مع مواصلة النضال بالاساليب المجدية ضد الانظمة الرجعية والنفوذ الاستعماري .

ومع تأكيد ثبات موقفنا المبدئي من مسألة الصحراء،فاننا لا نغفل حقيقة مهمة اخرى،وهي ان القوى الرجعية والدوائر الاستعمارية تستهدف،من خلال الوضع القائم في هذه المنطقة، اضعاف النظام الجزائري والتآمر عليه،،وفي هذا الشأن يقف الحزب والثورة وبكل صلابة، كما كان دائما، الى جانب المحافظة على المنهج التقدمي والقومي في النظام الجزائري.

كما ان النجاح الذي احرزه نظام الحسن الثاني، من خلال قضية الصحراء،قد ادى الى تقويته داخليا، بعد ان كان قد اصيب في السنوات السابقة بضعف كبير، وقد شجعه شعوره بالقوة على اتخاذ مزيد من المواقف العدائية ضد الجزائر،،كما شجعه على الاسفار اكثر عن تحالفه مع الاستعمار والقوى الرجعية العربية والافريقية،وهذا ما كشفه موقفه من احداث زائير،، كما بدأ نظام الحسن الثاني في الآونة الاخيرة يقوم،اكثر من أي وقت مضى،بنشاط مشبوه في اطار القضية الفلسطينية،حيث صار يطلق الدعوات للتعاون مع الكيان الصهيوني،مما يشير الى اضطلاعه بدور خاص في المؤامرة الاستعمارية ـ الرجعية الهادفة الى تصفية القضية الفلسطينية ويتطلب ذلك التنبه الشديد الى موقف هذا النظام،وفضح دوره المشبوه هذا .

ان الوضع في منطقة المغرب العربي ما يزال قلقا،وهو معرض للانفجار والتغيرات،مما يتطلب عناية او اهتماما مستمرا من قبل القيادة،لتحليله تحليلا صحيحا،واتخاذ المواقف السليمة تجاه أي تطور يحدث فيه[١].

(ب) ارتيريا:

يواجه نضال الشعب العربي في ارتيريا،من اجل الاستقلال في المرحلة الراهنة صعوبات عديدة،،وقد دخلت القضية الارتيرية،في الفترة القصيرة الماضية،اكثر مراحل تطورها تعقيدا،كما تعقدت مواقف القوى العربية والدولية تجاهها.

لقد ساند الحزب الثورة الارتيرية منذ البداية،،وبعد قيام ثورته القطر العراقي،امدها بالدعم المطلق سياسيا وعسكريا واقتصاديا،،وكان الحزب والثورة،في كثير من الاحيان، الطرف الوحيد،وفي جميع الاحيان الطرف الاساس في دعم الثورة الارتيرية .

وفي عهد هيلاسيلاسي المتحالف مع اميركا،والذي كانت له علاقات ودية مع الانظمة الرجعية العربية،،لم تهتم تلك الانظمة بنضال الشعب الارتيري،،ولم يهتم به ايضا النظام المصري الذي كان حريصا على علاقاته مع النظام الاثيوبي،،ومن بين الاقطار العربية، كانت الثورة الارتيرية تجد قليلا من الدعم من نظام اليمن الديمقراطية،،ومن بعض الاوساط القومية التقدمية العربية .كما كان موقف النظام السوداني منها يرتبط بظروف ،علاقاته مع النظام الاثيوبي،وبخاصة فيما يتعلق بالحدود وقضية جنوب السودان.

وعلى الصعيد الدولي لم تقف الدول الاشتراكية ــ وبخاصة الاتحاد السوفييتي ــ وكذلك الاحزاب الشيوعية العربية موقف المساندة للشعب الارتيري في نضاله،،وكانت في كثير من الاحيان تهمل هذا النضال،وتعتم عليه.

وفي المرحلة الاولى من قيام النظام الجديد في اثيوبيا بعد سقوط هيلاسيلاسي،،لم تكن الاتجاهات الداخلية والخارجية لذلك النظام قد توضحت بعد،لذلك اتسمت مواقف الكثير من القوى العربية والدولية تجاه القضية الارتيرية في تلك الفترة بالتأرجح.

---

[١] ان تنبؤات المؤتمر القومي الحادي عشر حول هذه المنطقة قد اكدها الواقع،فلقد جرى تغيير في نظام الحكم في موريتانيا مؤخرا،،وواضح ان هذا التغيير يرتبط ارتباطا وثيقا بمسألة الصحراء الغربية والعلاقات بين اطراف النزاع.

وبعد سيطرة مجموعة (منغستو) التي تظاهرت بالاتجاه الشيوعي على صعيد العلاقات الدولية، وتبنت في الواقع سياسة فاشية ازاء مسألة تقرير المصير في ارتيريا وازاء الحركة التقدمية داخل اثيوبيا نفسها،كما تمسكت باحتلال اراض صومالية،بدأت تتبلور اكثر من أي وقت مضى مواقف القوى العربية والدولية من قضية الشعب الارتيري.

فلقد بدأت الانظمة والقوى العربية تبدى اهتماما مشبوها بالقضية الارتيرية،وتسعى الى التغلغل في صفوف الثورة الارتيرية،،بهدف تسخير الثورة الارتيرية في المخطط الاستعماري ـ الرجعي،الهادف الى السيطرة على منطقة البحر الاحمر واضعاف النظام الاثيوبي،لا بدافع الحوص على عروبة الشعب الارتيري وحقه في تقرير المصير،وانما لكون النظام في اثيوبيا يحمل اتجاهات تقدمية،ولانه على صلات وثيقة مع الاتحاد السوفييتي.

ومن الطرف الاخر فان الاتحاد السوفييتي وكثيرا من البلدان الاشتراكية،واغلب الاحزاب الشيوعي العربية لم تقف من قضية الشعب الارتيري،بعد سيطرة مجموعة(منغستو)، موقفا مبدئيا يتناسب مع دعواتها الى حق تقرير المصير،،وينسجم مع الحقائق التاريخية والواقعية في ارتيريا،،بل ساندت نظام (منغستو)في هجومه على الشعب الارتيري وحرمانه من حقه في تقرير مصيره بنفسه.

ومن الواضح تماما ان موقف الاتحاد السوفييتي هذا،انما ينطلق من دوافع المصالح الستراتيجية،فهو يجد في النظام الاثيوبي،بقيادته الحالية حليفا يمكنه،من خلاله،ان يجعل من اثيوبيا موطئا لستراتيجيته في البحر الاحمر،، ولما كانت ارتيريا تقع على البحر الاحمر فان استقلالها يعني عزلة اثيوبيا عن البحر، وبالتالي فقدانها للمركز الستراتيجي الحيوي الذي يهتم به الاتحاد السوفييتي.

وقد ادى موقف الاتحاد السوفييتي هذا،الى تشجيع اليمن الديمقراطية على المجاهرة بموقفها السلبي ضد الثورة الارتيرية،الذي كانت قد تبنته ـ في الواقع ـ في اواخر عهد هيلاسيلاسي،واصبح في مقدورها ان تربط بين موقفها وموقف الاتحاد السوفييتي تجاه هذه القضية،كما اتخذ قطر عربي آخر هو ليبيا،ولدوافع اخرى،موقفا مماثلا،،حيث دعم النظام الليبي،وما زال يدعم،النظام الاثيوبي .

ونظرا للوضع الراهن في ارتيريا،وتعقيداته،فان الموقف الصحيح تجاه القضية يتلخص في المرحلة الراهنة بما يلي:ـ

(١) مساندة الشعب الارتيري وحركته التحررية في النضال من اجل تقرير المصير بكل حرية .فاذا كان الشعب الارتيري وقيادته الثورية الشرعية يرغبان في الاستقلال التام،فان الحزب يقف معه في ذلك،،اما اذا رغب بالوصول الى صيغة اتفاق مع اثيوبيا لا تمس ارادته الحرة،وحقه الكامل في تقرير مصيره،فان الحزب سيقف الى جانب هذا الخيار ايضا.

(٢) الاستمرار في السعي لتوحيد قوى الشعب الارتيري المناضلة،والعمل على تعزيز مواقع الاتجاه القومي العربي في الثورة الارتيرية.

(٣) التنبيه بشدة،والحذر من مخاطر استغلال القوى الاستعمارية والرجعية للقضية الارتيرية،بهدف استثمارها كأداة في مخططاتها وتحركاتها المعادية .

(٤) التمييز بين خطأ موقف الاتحاد السوفييتي من هذه القضية واستناده الى دوافع مصلحية، وبين كونه حليفا تقدميا للنضال العربي، بصورة عامة،وعدم الانجرار الى موقف تؤدي الى تقويض التحالف بين القوى التقدمية العربية المساندة لقضية الشعب الارتيري،وبين القوى التقدمية العالمية ومنها الاتحاد السوفييتي ــ التي تقف الى جانب النظام الاثيوبي،،مع العمل المثابر،بشتى الاشكال،لتغيير موقفها هذا،وحثها على اتباع موقف ينسجم مع المبادئ التقدمية،ومع متطلبات التحالف مع القوى التقدمية العربية ومساندة القضايا القومية العربية المشروعة.

(ج) الصومال الغربي:

ان المنطقة المسماة بالصومال الغربي،او (اوغادين)هي جزء من القطر الصومالي العربي،كان يقع تحت سيطرة اثيوبيا وهذا الجزء،كأرتيريا،يشكل هو و (جيبوتي)منفذا آخر لاثيوبيا على البحر الاحمر.

وقد نشأت في هذا الجزء منذ سنوات حركة تطالب بتحريره من السيطرة الاثيوبية، وضمه الى الوطن الام(الصومال).

وانطلاقا من موقف الحزب والثورة تجاه القضايا القومية،فقد ساندا تحرير هذا الجزء من الوطن العربي من السيطرة الاجنبية الاثيوبية،وضمه الى الصومال .

وفي الوقت الحاضر ينشب في هذه المنطقة صراع مسلح ساخن بين حركة الصومال الغربي،ومن ورائها الحكومة الصومالية من جهة[1]، وبين النظام الاثيوبي من الجهة الاخرى،، وتتخذ القوى العربية والدولية من هذه المسألة مواقف متشابهة لمواقفها من القضية الارتيرية،لتشابه الظروف المحيطة بالقضيتين في كثير من الاوجه.

وكما هو الحال بالنسبة لقضية ارتيريا،فان الموقف الصحيح من هذه المسألة يتلخص بما يلي:ـ

(١) مساندة تحرير هذا الجزء والتحاقه بالوطن الام ـ الصومال ـ ودعم حركة تحرير الصومال الغربي والحكومة الصومالية،لتحقيق هذا الهدف.

(٢) تحذير الصومال من مخاطر الانزلاق الى اللعبة الدولية الاستعمارية والرجعية.

فبسبب موقف الاتحاد السوفييتي المساند للنظام الاثيوبي في صراعه مع الصومال، تسعى القوى الاستعمارية والرجعية الى احتواء النظام الصومالي ونضاله المشروع من اجل تحرير الصومال الغربي،وبالتالي صرف الصومال عن اتجاهه التقدمي وضمه الى المحور الاستعماري ـ الرجعي.

ان النضال ضد الاحتلال الاجنبي هو نضال تحرري وتقدمي،ولابد للنجاح الحقيقي فيه المحافظة على المنهج التحرري والتقدمي بكل صلابة،برغم كل الظروف الصعبة المحيطة، ومنها وقوف الاتحاد السوفييتي الى جانب الطرف الاثيوبي المحتل.

(د) جيبوتي:

لقد كان هذا الجزء من الوطن العربي واقعا تحت السيطرة الاستعمارية الفرنسية،وكانت الصومال تطالب بتحريره وضمه اليها باعتباره جزء منها،وفي الوقت نفسه كان لاثيوبيا مطامع في هذا الجزء،لوقوعه على البحر الاحمر،ولانه يشكل منفذا حيويا على البحر المذكور.

---

[1] تجدر الاشارة الى ان هذا الوصف للوضع في المنطقة قد ورد عند انعقاد المؤتمر الحادي عشر،عندما كان الصراع محتدما،،قبل ان تنسحب القوات المسلحة الصومالية من منطقة اوغادين.

لقد ساند الحزب والثورة في القطر العراقي تحرر (جيبوتي) وانضمامها الى الصومال، وقد ضغط العراق،من خلال علاقاته بفرنسا،بأتجاه عدم اعطاء هذا الجزء لاثيوبيا،او وضعه تحت سيطرتها بأي شكل من الاشكال،بعد انسحاب الفرنسيين منه.

وبعد التطورات التي اشرنا اليها في اثيوبيا،لم يعد أي طرف من الاطراف الغربية متحمسا لاعطاء جيبوتي لاثيوبيا، كما كان عليه الحال،بالنسبة لبعض الاطراف، في عهد هيلاسيلاسي الموالي للغرب.

وقد قررت فرنسا منح جيبوتي الاستقلال واقامة نظام مستقل فيها،، ولم تعترض الصومال التي تعتبر جيبوتي جزء منها على استقلالها،، لذلك فان الحزب والثورة في القطر العراقي ايدا استقلال جيبوتي،برغم كونها كيانا صغيرا.

ان الظروف المحيطة بقضية استقلال جيبوتي،هي التي أملت هذا الموقف،وان تغير هذه الظروف،ونشوء ظروف جديدة تدعو الى ضمها او اتحادها مع الصومال سيدفعها الى مساندة هذا الاتجاه.

(هـ) عروبة البحر الاحمر والخليج العربي:

ان الشطآن المحيطة بالبحر الاحمر،هي شطآن عربية،والقول بان البحر الاحمر هو بحيرة عربية،قول صحيح من جميع النواحي،غير ان الدعوة الاخيرة الى ما يسمى بـ(أمن البحر الاحمر)هي دعوة مرتبطة بالسياسة الستراتيجية الاميركية ـ الرجعية،الهادفة الى تأمين خط مواصلات النفط،وطرد الاتحاد السوفييتي من جميع منافذ نقل النفط،،هذا فضلا عن الاهمية الحيوية للبحر الاحمر بالنسبة للشؤون العسكرية والاقتصادية الاخرى.

ان نشاط الحكومة السعودية،وحكومتي مصر والسودان،في اطار ما يسمى بـ(أمن البحر الاحمر)هو بهذا الدافع،،وهو يشبه الاتجاهات المماثلة التي تدعو الى ما يسمى بـ(أمن الخليج)،وينطلق من نفس الاعتبارات والدوافع.

وبالنسبة لما يسمى بـ(أمن الخليج)،فقد وقف العراق موقفا واضحا وصلبا،وهو رفض كل المشاريع الداعية الى اقامة اتفاقيات او احلاف او تنظيمات اقليمية،ودعا الى حرية الملاحة في الخليج وفقا للقواعد الدولية،،كما دعا الى حل المشاكل في هذه المنطقة عن طريق الاتفاقيات الثنائية،والى تعزيز العلاقات بين بلدانها بهذا الاسلوب.

غير ان هذا الموقف في منطقة البحر الاحمر يختلف،في بعض الجوانب الاساسية منه، عن الموقف في الخليج،وذلك لوجود الكيان الصهيوني في اعلى البحر الاحمر،لذلك فان الدعوة الى عروبة البحر الاحمر هي دعوة صحيحة،مع معرفتنا بالدوافع المشبوهة للاطراف التي تتبناها في الوقت الحاضر .فبالنسبة لهذه المسألة يجب ان تأخذ بالاعتبار تطورات المستقبل،، فالانظمة الرجعية المحيطة بالبحر الاحمر والتي تتحرك بالدوافع الاستعمارية ليست انظمة خالدة وهي معرضة للتغيير،،وان أي تغيير يحدث في البلدان المحيطة بالبحر المذكور لصالح حركة الثورة العربية،سيؤدي الى حصول هذه الحركة على موقع استراتيجي مهم في الصراع ضد العدو الصهيوني في هذه المنطقة،ذات الاهمية الحيوية لبقائه ولصلاته بافريقيا وانظمتها العنصرية المتحالفة معه.

وفي الوقت الذي علينا ان ندعم اتجاه عروبة البحر الاحمر من الناحية المبدئية،وفي اطار المواقف التي اشرنا اليها تجاه ارتيريا وجيبوتي،والصومال الغربي،علينا ان نعزز،كما اسلفنا، الاتجاهات التقدمية في الاقطار المحيطة بالبحر الاحمر،ليكون هذا البحر بحيرة عربية حقا،تستخدم وفق متطلبات المصلحة القومية العربية العليا،،وان نحذر من جميع الاتجاهات والمخططات المشبوهة التي تخدم الاستراتيجية الاستعمارية ــ الرجعية وان تتصدى لها.

ب ــ الاوضاع الدولية

لقد تشكلت السمات الاساسية في الاوضاع الدولية الراهنة،خلال المراحل السابقة،، وبخاصة في المرحلة التي تناولتها بالاستعراض والتحليل منذ هزيمة حزيران،حتى الوقت الحاضر،،وهي فترة طويلة شهدت الكثير من المتغيرات الدولية،بعضها كان ناشئا عن الاوضاع العربية ومتصلا بها اتصالا وثيقا،وبعضها الاخر،تكون نتيجة عوامل دولية اخرى، انعكست بآثارها على الاوضاع العربية.

ويمكن القول بان مرحلة السنوات العشر،الواقعة بين،١٩٦٧، ١٩٧٧ كانت مرحلة متغيرات مهمة جدا في الاوضاع الدولية،،غير ان الوتيرة والاساليب التي تحققت فيها تلك المتغيرات،خلال تلك المرحلة،كانت تختلف اختلافا كليا،عن وتيرة واساليب المتغيرات التي تمت في الساحة العربية، التي ما تزال،كما ذكرنا،منطقة قلقة وغير مستقرة،وحافلة بشتى الاحتمالات.

ان المتغيرات الدولية قد حدثت،عموما،في اطار عقلاني، وهادئ،وبوتيرة متصاعدة تدريجيا، ولم يكن فيها سوى القليل من المتغيرات السريعة والمفاجآت.

وفي الواقع ان هذه السمات في الاوضاع الدولية وبخاصة في المناطق المستقرة من العالم، كأميركا،واوربا الغربية والمعسكر الاشتراكي،ستبقى ــ بشكل عام ــ ثابتة،وستأخذ التحولات فيها طابعا تدريجيا، ولا يعني ذلك نفي احتمالات المفاجآت والمتغيرات السريعة نفيا قاطعا،فحتى هذه المناطق يمكن ان تحدث فيها احيانا،متغيرات لم تكن محسوبة تماما،، ولكن يبقى هذا الاحتمال قليلا،،نظرا للاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعسكري،الذي تتمتع به هذه المناطق،،اما المناطق الاخرى من العالم في آسيا،وافريقيا، واميركا اللاتينية فأنها،كالمنطقة العربية،مناطق غير مستقرة في الجوانب الاساسية المذكورة،لذلك فانها تبقى معرضة لاحتمالات المتغيرات السريعة والمفاجئة.

وكما اكدنا سابقا،في فصول عديدة،فان المعاينة المستمرة للاوضاع الدولية،ضرورة دائمة، ولا يجوز، على الاطلاق،الركون الى مسلمات واستنتاجات نتوصل اليها في مرحلة ما الى الابد،ولكن هذا لا يلغي قدرتنا على تحديد العناصر الاكثر ثباتا فيها في المستقبل،، وكذلك تحديد اتجاهات تطورها المقبل.

(١)العلاقات السوفيتية ــ الاميركية:

من اهم العناصر،في الاوضاع العربية الراهنة،العلاقات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي، التي تسمى في عالم السياسة اليوم بــ(الوفاق) او (الانفراج الدولي)[١].لقد تطورت هذه العلاقات، خلال المرحلة السابقة،واصبحت حقيقة بالغة الاهمية في الوضع الدولي.غير ان العلاقات هاتين الدولتين،لم تبلغ،حتى الان،درجة عالية من الصلابة والثبات،،ولم تصل الى حد التفاهم على كل المسائل المطروحة،على الصعيد الدولي.

وما يزال هناك،في الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي،بدرجة اقل،من يحاول عرقلة تطورها بذلك الاتجاه،ويمكن القول ان هذه العلاقات الجديدة تشكل اليوم اطارا عاما ــ اتفقت فيه الدولتان

[١] ان استخدام هذه العبارة لوصف العلاقات الجديدة بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة لا يعني اننا نتبناها بالمفهوم الذي تشيعه عنها بعض الاوساط الدولية، كما اننا،في الواقع،لانتبنى الصيغة الاخرى، التي تصف هذه العلاقات بــ (الانفراج الدولي)، لاعتقادنا بانها ليست دقيقة هي الاخرى.

المذكورتان على تجنب الحرب النووية،وعلى التعاون فيمـــا يمكــن مــن الميــادين السياسـية والاقتصادية والتقنية.

غير ان هذه العلاقات،مهما بلغت من مســتوى،لـم تبلـغ حتـى الان ولـن تلغـي فـي المستقبل،الصراع بين هاتين الدولتين ومن يتبعهما،وانما هي قد نظمـت هـذا الصـراع،نسـبيا، ووضعته في اشكال وصيغ جديدة،تبتعد،بقدر معين،عن التوتر والعنف والاساليب المباشرة.

ان مساحة واسعة من الصراع ما تزال قائمة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي،علـى الاصعدة السياسية والعسكرية والاقتصادية،في اطار هذه العلاقات،وان الصراع العسكري بينهما قد اتخذ طابع الحرب بالنيابة، مع حرص الطرفين على عدم تجاوز الخطوط المكهربة،التـي يـؤدي تجاوزها الى الصدام المباشر بينهما.

وقد تأثر النضال العربي ضد الاستعمار والعدو الصهيوني،سلبيا بهذه السياسة،لانها ادت الـى تقليل اندفاع الاتحاد السوفييتي،صديق العرب، في الصدام مع الولايات المتحدة، وبالتالي مع الكيان الصهيوني ولكن ذلك لم يؤد،على الاطلاق،الى ايقاف هذا النضال،والى حرمانه من عناصر الدعـم السياسي والعسكري من جانب الاتحاد السوفييتي،وان اتخذ هذا الدعم، صيغا مختلفة،نسـبيا،عـن السابق .

وقد فسرت بعض الاوساط الرجعية والمشبوهة في الوطن العربي سياسة "الوفـاق"تفسـيرا خاطئا، بل مشبوها،وادعت انها قد الغت امكانات الاستمرار في النضال المسلح ضـد الاسـتعمار الاميركي والكيان الصهيوني، وان لا طريق،بعد ذلك،غير التفاهم مع اميركا، والوصول الى تسـوية مع الكيان المذكور.

وبالاضافة الى مشبوهية هذا التفسير ـ من حيث انه يدعو الامة العربية الى التخلـي عـن القضايا الاساسية،والقبول بالنفوذ الاستعماري والاغتصاب الصهيوني ـ فأنه،من الناحية العمليـة والموضوعية،خاطئ،ايضا،لانه يتجاهل،ماذكرنا عن استمرار مساحة واسعة، نسبيا، من الصـراع بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي، وامكانية استغلال هذه المساحة مـن جـانب الشـعوب المناضلة، كما يتجاهل العامل الذاتي الذي اثبت،قبل سياسة "الوفاق" واثناءها، انه قادر على تحقيق الكثير من المنجزات التحررية،كما انه قادر على التأثير في الموازين الدولية القائمة،ومنها سياسة الوفاق.ومن الامثلة الواضحة على اهمية العامل الذاتي في النطاق الدولي، الانتصار الرائع للشعب

الفيتنامي على الاستعمار الاميركي وعملائه في الداخل، حيث تمكن هذا الشعب،معتمدا على قـــواه الذاتية اولا،من دحر العدوان الاميركي وتحقيق وحدة التراب الفيتنامي.

اما على النطاق القومي فقد اكدت تجربة الثورة ـ في القطر العراقي ـ قدرة العامل الذاتـــي هذا، بثلاثة امور اساسية،اولها تأميم النفط الذي كان صراعا مكشوفا،وحادا ضد الاستعمار، امكـن احراز النجاح فيه،برغم ان الاتحاد السوفييتي لم يكن متحمسا لاسناده،وانه قدم نصائح،قبل عمليــة التاميم، تدعو الى التريث،والى عدم اتخاذ قرارات ذات طبيعة جذرية والثاني هو القضـــاء علــى التمرد الرجعي في شمال الوطن،والاتفاق مع ايران، فالمعركة مع التمرد كانت معركة ساخنة ضــد الاستعمار،وبرغم انه لم يكن مندفعا بقوةالى مساندة تصفيته، كما لم يكن مندفعا ومتحمسا لاتفــاق العراق وايران على حل المشكلات بينهما.

اما الامر الثالث فهو اتخاذ ثورة الحزب في العراق موقفا صلبا،برفض التسوية ومســـاندتها لكل القوى والانظمة الرامية الـــى احباطــها،برغـم اصــرار الاتحــاد الســوفييتي علــى نــهج التسوية،ووجود علاقات وثيقة بين العراق والاتحاد السوفييتي.

ويعطي حرب تشرين ١٩٧٣ نموذجا،وان لم يكــن متكــاملا،لقــدرة القــوى الذاتيـــة علــى التحرك،صحيح ان حرب تشرين لم تكن خارج اطار استراتيجية الدولتين العظميين،كما بينا ذلك في فصل سابق،الا ان العامل الذاتي فيها كان مهما.ولو توفرت قيادة وطنيـــة حقيقيـــة، فـــي مصــر وسورية، لامكن لهذا العامل الذاتي ان يأخذ مدى أبعد بكثير.

ان المطلوب الان ليس التذمر من "سياسة الوفاق"،وصب اللعنات علـــى الاطـراف الدوليـــة المعنية بها، بل المطلوب هو فهم هذه السياسة فهما واقعيا ودقيقا،ومعرفة المساحة المتبقية فيــها للصراع بين الدولتين الكبريين،،ووضع كل ذلك في خدمة النضال العربي.كما ان مـــن الضـــروري التركيز على تعزيز العامل الذاتي،في كل مسألة من مسائل حركة الثورة العربية، وتعزيـــز موقـــع الوطن العربي في الستراتيجية الدولية،باتجاه صحيح.فلذلك تأثيره على تطـــور الاوضـــاع،وعلـــى تشكيل سياسة "الوفاق" نفسها،،كما ان أي تشجيع للعامل الذاتي في كل انحاء العالم، وبخاصة فـــي آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية،يخدم هذا الاتجاه.

(٢) تعدد مراكز القوى الدولية:

برغم التأثيرات السلبية لسياسة "الوفاق" التي سبقت الاشارة اليها، فان الاوضاع الدولية الراهنة، توفر، في بعض المجالات الحيوية،ظروفا افضل من السابق،، لصالح الشعوب المناضلة من اجل التحرر والتقدم.

ان سياسة الوفاق التي نظمت،الى حد ما،العلاقات بين الدولتين الكبريين،وخففت من حدة التوتر بينهما قد ادت،من الناحية الاخرى،الى ارخاء قبضتهما على كثير من الدول والمناطق التي كانت تخضع خضوعا شديدا لنفوذهما في الماضي،كما اسهمت،الى جانب عوامل اخرى،في نشوء مراكز قوة جديدة في العالم .

وقد اثرت سياسة "الوفاق الدولي" بشكل مباشر تارة، وغير مباشر تارة اخرى،على البنى الفكرية واساليب العمل،للعديد من الاحزاب الشيوعية والاشتراكية في اوربا الغربية، بحيث قامت هذه الاحزاب باعادة النظر في العديد من مرتكزاتها العقائدية الاساسية، التي كانت في حكم المسلمات،،كما اجرت تغييرات مهمة في اساليب العمل،،متوخية من كل ذلك التلاؤم مع الخصائص القومية لبلدانها،والظروف المحيطة بنضالها اليومي .وكذلك مع المعطيات الجديدة للاوضاع العالمية.

ومن العناصر الجديدة المهمة في الوضع الدولي،والتي سبق الحديث عنها، ان البلدان المنتجة للنفط التي لم تكن،في السابق،تشكل قوة اقتصادية ذات شأن في الوضع الدولي، بلغت ـ في الظروف الراهنة ـ موقعا مهما جدا في هذا الميدان،،وبسبب هذا التطور، من ناحية، والاتجاهات الاستقلالية في اوربا،وغيرها من المناطق من ناحية اخرى، لم تعد الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي والدول الاوربية الكبرى المصدر الوحيد، او الاساس للاقراض والعون الاقتصادي في العالم،كما كانت في الماضي،واصبحت الدول المنتجة للنفط تضطلع بدور مهم في هذا الميدان،،كما ان ارخاء قبضة الولايات المتحدة على اوربا الغربية واليابان نسبيا،جعلهما قادرتين على التصرف،في بعض الاحيان، في ميدان الاقراض والعون الاقتصادي،بقدر من الاستقلال النسبي عن السياسة الاميركية.

وقد ادت العناصر المذكورة،ايضا،الى فقدان الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي احتكارهما السابق لسوق السلاح الدولي،واحتكارهما للتقنية الصناعية العالية .فالاسلحة والامكانات التقنية

العالية،ومنها النووية،بات من الممكن شراؤها من بلدان اوربا الغربية،وقد ازداد في السنوات الاخيرة عدد الدول القادرة على الشراء .

ان هذه التطورات المهمة،في الاوضاع الدولية،قد ادت وتؤدي في المستقبل،الى اضعاف انفراد الدولتين الكبريين،كمركزين كانا وحيدين لفترة طويلة،للاستقطاب والنفوذ، وان نشوء مراكز قوة جديدة في العالم يتيح لهذه المراكز ان تؤدي ادوارا مهمة في الساحة الدولية،برغم انها لا تبلغ قوة تينك الدولتين الكبيرتين.

وفي هذا الشأن تشكل اوربا الغربية مركزا مهما جدا،لما تمتلكه من امكانات تقنية عالية،في شتى الميادين،ومنها الميدان العسكري،كما تشكل اليابان مركزا صناعيا متقدما جدا، ولا يستبعد ان تمتلك،في المستقبل امكانات عسكرية مهمة ايضا.

وبرغم ان الصين ما تزال،حتى الان،منغلقة نسبيا،ومشغولة باوضاعها الخاصة، وباوضاع البلدان والمناطق القريبة منها،،وبرغم ان سياستها الخارجية في اغلب الاحيان، هي سياسة رد فعل ضد الاتحاد السوفييتي،الا انها تبقى مركز قوة في العالم قابلا لان يلعب دورا اكثر نشاطا في المحيط الدولي.

ويتضح مما تقدم ان مساحة الحركة المتاحة امام الشعوب المناضلة من اجل التحرر، والطامحة الى التقدم ليست ضيقة كما تتصور،خطأ بعض الاوساط،فبرغم استمرار الكثير من اوجه الظروف السلبية لغير صالح الشعوب،وبرغم الوضع السيء الذي تجتازه المنطقة العربية،وتزايد النفوذ الاستعماري باشكاله المختلفة فيها،فان هناك،في الظروف الدولية الراهنة فرصا كثيرة امام هذه الشعوب،وامام الامة العربية بالذات،يمكنها اذا ما استثمرت ضمن منهج قومي مستقل – ان تستفيد منها لتحقيق الكثير من قضاياها القومية وتعزيز موقعها الدولي.

ويتحمل الحزب وثورته،في القطر العراقي،مسؤولية العمل المثابر، لاقامة علاقات سليمة ومتطورة،مع مراكز القوة الجديدة في العالم،بالشكل الذي يمكن النضال العربي من الاستفادة القصوى من الحركة والمرونة التي تتيحها الظروف الدولية الجديدة، لتحقيق الاهداف الستراتيجية للحزب وحركة الثورة العربية .

(٣) المسألة الاقتصادية:

ومن العناصر الاساسية في الاوضاع الدولية الراهنة،الازمة الاقتصادية التي تشغل العالم الرأسمالي،واغلب بلدان العالم الثالث .

ان مشكلة الطاقة قد اصبحت مشكلة عالمية ويومية،كما ان مشكلة التضخم والبطالة والكساد التجاري باتت تهدد الكثير من البلدان الرأسمالية.

وفي العالم الثالث يعاني الكثير من البلدان من الحاجة الى المساعدات،للنمو الاقتصادي، ولتلافي نتائج التضخم في السوق الراسمالي، اما البلدان الاشتراكية،وفي مقدمتها الاتحاد السوفييتي، فانها تعاني من التخلف التقني في بعض الميادين،وبخاصة في الميادين المدنية، في الوقت الذي تسجل تقدما،او تفوقا احيانا،في بعض الميادين العسكرية، بالقياس الى الولايات المتحدة واوربا الغربية،وهي تحاول ـ بشتى السبل ـ اللحاق بها في الميدان التقني المدني، وبلوغ مستوى معاشي افضل.وكل هذه التطورات تضع العامل الاقتصادي في مرتبة مهمة جدا في السياسة الدولية. صحيح ان هذا العامل كان دائما، عاملا مهما في تحريك اتجاهات السياسة الدولية،، ولكنه لم يبلغ،في أي وقت مضى،هذا المستوى من الاهمية،ولم يصل الاهتمام العالمي به الى هذا الحد،كما ان المسألة الاقتصادية لم تبلغ،في الماضي، وباستثناء فترة في نهاية العشرينات وبداية الثلاثينات،درجة الازمة الصعبة،بل الخانقة.

وينعكس الوضع الدولي هذا على الوطن العربي بآثاره السلبية،وخاصة فيما يتصل بالتضخم، الذي ادى الى قفزات كبيرة في اسعار المواد الاستهلاكية والصناعية،وبالتالي الى زيادة المبالغ المنفقة على الاستيراد،والى زيادة كلفة مشاريع التنمية بمعدلات كبيرة،ومتصاعدة بشكل مستمر.

ولكن هذا التطور في الوضع الدولي يعطي للوطن العربي،في الوقت نفسه،مركزا دوليا مهما .فبالاضافة الى امتلاك بعض البلدان العربية اغلب احتياطات الطاقة في العالم،وانتاجها اكبر كمية منها،مما يوفر لها امكانات كبيرة في مواجهة الازمة الاقتصادية العالمية، وفي التأثير في السياسة الدولية فان الوطن العربي، بأراضيه الشاسعة وطاقاته الاقتصادية الكامنة، سواء ما يتصل منها بالزراعة او الخامات،يعتبر احد المراكز المرشحة لان تؤدي دورا كبيرا في الاقتصاد الدولي، وبالتالي في السياسة الدولية في المستقبل،حتى ولو ضعف دور النفط.

ويوفر هذا المركز الذي يحتله الوطن العربي امكانية كبيرة للتعامل القوى الدولية، بالشكل الذي ينسجم مع مصالح الامة العربية،وقضاياها الاساسية .كما ان الوطن العربي بات،بسبب هذه

الامكانات، قادرا على التأثير الايجابي او السلبي،في تقوية،او اضعاف المراكز الدولية الجديدة التي تحدثنا عنها،في الفقرة السابقة،كما اصبح قادرا على ان يكون احد هذه المراكز في الساحة الدولية.

ان سياسة سليمة،في استثمار الامكانات المتوفرة لدى الامة العربية يمكن ان تجعلها قوة دولية مهمة، خاصة اذا ما استطاعت ان توثق صلاتها وتبني علاقات متوازنة مع المراكز الدولية باختيارات وارجحيات خاصة،، فذلك يحقق لها فرصا وامكانات واسعة، لتحقيق اهدافها الستراتيجية، ويمكن للقطر العراقي ــ في ظل ثورة الحزب ــ ان يؤدي دورا طليعيا في هذا الشأن، لوضوح الرؤية لديه في هذه المسألة،ولما يمتلكه من طاقات اقتصادية كبيرة راهنة وكامنة،في المستقبل،وتوجيهها الوجهة القومية السليمة.

(٤) اوضاع حركة عدم الانحياز:

ومن الظواهر السلبية التي برزت في السنوات الاخيرة ضعف حركةعدم الانحياز،وفقدانها لونها الواضح السابق،وقوتها الدافقة،وتسلل الكثير من البلدان غير المنحازة حقيقة اليها.

ان سياسة " الوفاق" التي خففت التوتر بين الدولتين الكبيرتين،انعكست باثارها على حركة عدم الانحياز التي بدت،في نظرالبعض،اقل ضرورة من السابق لضمان السلام.كما ان تشابك العلاقات الدولية،في الوقت الراهن، وميلها العام الى التنوع قد انعكس،بآثاره، على حركة عدم الانحياز،مما افقدها الكثير من حدودها الواضحة السابقة .وقد خسرت بلدان عدم الانحياز،، خلال السنوات السابقة، بعض مراكزها النشيطة، فبعد تغير الانظمة في اندونيسيا وغانا، والتغير الاخير في الهند وسرىلانكا، وبعد الذي جرى في مصر، لم تعد هذه البلدان على ما كانت عليه من نشاط وحماسة في سياسة عدم الانحياز،وضرورة تعزيز موقعها الدولي.

ومن المؤكد ان الاتحاد السوفييتي الذي دعم حركة عدم الانحياز في بعض المراحل، وبخاصة في ظروف الحرب الباردة بينه وبين الولايات المتحدة،وعندما كان النشاط العام لهذه الحركة موجها ــ بالدرجة الاولى ــ ضد اميركا والبلدان الاستعمارية الغربية،قد ضعف تأييده لها، وصار همه الاكبر اضعاف تأثير الصين الشعبية عليها،كما ان الصين الشعبيةالتي نشطت في اطار هذه الحركة في الماضي،اصبحت،في ظل سياساتها الجديدة الرامية الى تحسين علاقاتها مع اميركا،اقل

اندفاعا ونشاطا في هـــذه الحركـــة،باســتثناء اســتخدامها كمنــبر ووســيلة للطعــن بالاتحــاد السوفييتي،واضعافه.

وبرغم هذه الظروف السلبية المحيطة بحركة عدم الانحياز،فان مبررات هــــذه الحركـــة لــم تنته،وما تزال هناك معوقات عديدة* لتنشيطها وجعلها تيارا دوليا بارزا ومؤثـــرا،،فــهي ليســت ضرورة لضمان السلام العالمي فحسب،وانما هي ضرورية،بالدرجة الاولى،لتأكيد استقلال البلـــدان المنتمية اليها،وتعزيز ارادتها الحرة في المجتمع الدولي،وتقوية مكانتها الدولية،بعيدا عن التأثيرات السلبية للدول الكبرى ومراكز استقطابها.كما انها تمثل ضرورة اساسية في معالجـــة المشــكلات الراهنة في العالم وفي مقدمتها مستلزمات اقامة نظام اقتصادي دولي عـــادل ومتــوازن،وكذلــك مشكلات مواجهة العلاقات الجديدة مع القوى الكبرى، مع التمييز، بالتأكيد، بين طبيعة كـــل مــن الدولتين الكبيرتين،اميركا الرأسمالية الاستعمارية،والاتحاد السوفييتي الشــيوعي، الــذي تربطــه باغلب بلدان عدم الانحياز علاقات الصداقة والتعاون،وغيرها من القضايا المهمة.

وقد استطاعت حركة عدم الانحياز،برغم كل الظروف السلبية المحيطة بها،ان تـــؤدي ادوارا مهمة في السياسة الدولية،وفي اطار الامم المتحدة بوجه خاص،وتمثل ذلك،عند بحث قضية الطاقة والمشاكل الاقتصادية العالمية،وفي النضال ضد الانظمة العنصرية في افريقيا، وفي القرارات التــي صدرت عن الامم المتحدة والمتعلقة بالقضية الفلســطينية، ومــن اهمــها القــرار الــذي يديــن الصهيونية،كشكل من اشكال العنصرية،وهو مـــن اخطــر مــا اصدرتــه الامــم المتحــدة مــن قرارات،واكثرها ايجابية لصالح النضال العربي ضد الصهيونية،، وكذلك قرارات الـــدول لــــ٧٧، وتوصياتها باعادة النظر في اتجاهات السياسة الاقتصادية الدولية،والعلاقة بين البلـــدان الناميــة والدول الصناعية،،الخ.

ــ الفصل الثاني ــ

ستراتيجية المرحلة المقبلة

ان الصراع بين الامة العربية وحركتها الثورية من جهة،وبين الاستعمار والصهيونية والرجعية من جهة اخرى،ظاهرة تاريخية عميقة الجذور في ضمير الامـــة العربيـــة ووجودهـــا، وحقيقة كبرى في تاريخها المعاصر،وهو لا يمكن ان يتوقف، مهما كانت الظروف صعبـــة وكفـــة القوى المعادية راجحة وقوية .

ففي مطلع العصر الحديث،وبعد قرون طويلة من الظلام والحكم الاجنبي المتخلف، كانت قوى الاستعمار،ومعها الرجعية المتواطئة مهيمنة على اغلب بقاع الوطن العربي، وعلى شتى جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية فيه،،ولكن جماهير الامة وطلائعها الواعية، على اختلاف تنظيماتها،وعقائدها،ومستوى عملها ــ كانت تقارع تلك القوى،بدون خوف او كلل،ولم تلق راية الكفاح من اجل الحرية والتقدم والوحدة.

وقد استطاعت حركة الثورة العربية ــ برغم كل ما كان يصيبها من نكسات وضربات، وما كان فيها من تناقضات وعلل ومشكلات ــ ان تقتحم القلاع الاستعمارية والرجعية،ورغم كل امكاناتها السياسية والقمعية والاعلامية الكبيرة،وان تفتح الافاق الواسعة امام تحرر الامة وتقدمها.

وفي بعض الاوقات ركزت القوى الاستعمارية والرجعية تركيزا شديدا لتثبيت بعض المخططات والسياسات،وتثبيت اركان انظمة معينة،وكانت تضفي على تلك المخططات والانظمة هالة من القوة الاسطورية،ولكن حركة الثورة العربية بنضالها المثابر،تمكنت من احباط تلك المخططات والسياسات واسقاط تلك الانظمة .

هذه الحقيقة الكبرى،،والظاهرة العميقة والحية لم تنته،،ولن تنتهي ما دامت الامة العربية حية،وما دام هناك من يحمل الراية ويستثير الهمم وينير الطريق.

ان الامة العربية،وحركتها الثورية تعيشان الان في ظروف عصيبة .

فعدوان حزيران ١٩٦٧،الذي استهدف تصفية حسابات الاستعمار والصهيونية القديمة مع حركة الثورة العربية،واعادة عقارب الساعة الى الوراء في الوطن العربي،يبدو الان،بعد عشر سنوات،وقد حقق الكثير من اهدافه.

فالمنظمة العربية يسودها الان مد استعماري ورجعي واسع النطاق،،وتجري المحاولات بشدة لتصفية القضية الفلسطينية،وترتيب الاوضاع في المنطقة وفق مصالح ومخططات الاستعمار والرجعية،وتبدو حركة الثورة العربية،الان،وقد وهنت من شدة ما اصابها من ضربات،وما لحق بها من خيبات،ومن محاولات الترويض والاحتواء والبلبة والتضليل.

هذه الحقيقة ملموسة، وبارزة.

ولكن هل هي كل الحقيقة؟.

كلا..

ان للاوضاع العربية وجهها الاخر..

فالقيادات والمؤسسات التي كانت قائمة عند هزيمة حزيران،والتي كانت عددا من الاقطار العربية،وتدعي تمثيل حركة الثورة العربية،هي التي فشلت في مواجهة المهمات الخطيرة والشاملة والجذرية، للصراع ضد الاستعمار والصهيونية والرجعية،عندما وصل هذا الصراع نقطة تاريخية حاسمة. وفي الفترة اللاحقة للهزيمة،فشلت ايضا القيادات والاتجاهات والاساليب التي برزت على السطح،للاسباب ذاتها،فلم يكن يتوفر فيها الموقف الثوري المتكامل، والجدية،لتحمل اعباء هذا الصراع، ومواجهة متطلباته.

ولكن هؤلاء ــ وان كانوا جزءا من حركة الثورة العربية ــ لم يمثلوا حقيقتها الاصلية.

ففي هذا المخاض الصعب،ولدت حركة الثورة العربية ولادة متجددة.

وقد تبدو ملامح هذه الولادة المتجددة للعيان،الان،بشكل ساطع،،ولكن حزب الامة الطليعي الذي رأى،منذ اكثر من ثلاثين عاما، الولادة السابقة لحركة الثورة العربية،قبل غيره من الاحزاب والحركات،ووضع اطاراتها الفكرية والسياسية الاساسية،وأمدها بالعزيمة على النضال والاقتحام،،يقوم، اليوم،بالمسؤولية التاريخيةهذه مرة اخرى،انه يرى هذه الولادة المتجددة قبل غيره،وهو الذي يرسم اطاراتها الفكرية والسياسية الجديدة،،ويمدها بالعزيمة على النضال والاقتحام.

ان الحزب يستعيد،اليوم،دوره التاريخي الطليعي في حياة الامة،وفي حركتها الثورية.

لقد فقد الحزب دوره هذا منذ فترة طويلة،لما اصابه من ضعف تنظيمي وسياسي، وعجز في التأثير الفكري،ولما لحق به من نكسات،أدت الى ان تنساق بعض الاوساط فيه نحو اتجاهات وزعامات خارج اطاره،،وقد تلاشت تلك الزعامات،ولم تستطع ان تواكب الزمن والمتغيرات الجديدة.

ولكن الحزب،وبعدتجارب مريرة،وبعد خسائر شديدة،وتردد طويل،بدأ يستعيد هذا الدور،وعليه ان يعززه اكثر فأكثر،لانه هو الطليعة،وليس من طليعة غيره،،ولانه هو الامل الكبير.

ان هذا التطور التاريخي الذي لم تدركه،وتفهم ابعاده ــ حتى الان ــ قوى تقدمية عديدة، بل حتى بعض مناضلي الحزب،هو الحقيقة الاساسية في المرحلة الجديدة من تطور حركة الثورة العربية،،وهو منطلقها،وعلى هذا الاساس تبنى ستراتيجية المرحلة القادمة.

ونحن،اذ نبني ستراتيجية المرحلة المقبلة من هذا المنطلق،لا يدفعنا الغرور والتبجح،، ولا العواطف المتأججة،،ولا ننطلق من فراغ.

اننا نمتلك خبرة ما يزيد على الثلاثين عاما من النضال،في مواجهة كل قضايا الثورة العربية، وفي كل مواقع الساحة العربية،ونمتلك خبرة مواجهة قضايا العصر الاساسية.

ان ما قاله الحزب،وتنبأ به،وقبل اكثر من ثلاثين عاما،،وعبرها،قد اكدته التجارب والوقائع الحية،لا على الساحة العربية فحسب،،وانما على الصعيد الدولي كذلك.

غير ان طليعة الحزب في حركة الثورة العربية، ودوره البارز في الحركة الثورة العالمية حقيقة اسهمت جهات عديدة في محاولة طمسها،، واسهم في ذلك بعض الحزبيين، لضعفهم الفكري السياسي،وانسياقهم وراء الموجات والظواهر السطحية،واتخاذهم مواقف ذيلية.

ومن العناصر الاساسية في الدور الطليعي للحزب اننا نمتلك،الان،قاعدة صلبة ومتقدمة لحركة الثورة العربية.

لقد سعت حركة الثورة العربية،في مرحلتها في الخمسينات والستينات،الى جعل مصر الناصرية قاعدة لها، تكون مركز استقطاب لنشاطها، ومركز اسناد لها واشعاع عليها،، غير ان تلك القاعدة، برغم ما حققته من نتائج ايجابية في هذا المجال،لم تكن عميقة،وراسخة، ومتطورة وقادرة على تحمل العبء،في هذه الحركة،وهذه الحقيقة تتصل بالمستوى الفكري والسياسي والتنظيمي لحركة الثورة العربية في ذلك الوقت.

اما الان،، وفي عهد الولادة المتجددة لحركة الثورة العربية،فان قاعدتها،ثورة الحزب في القطر العراقي،تشكل قاعدة حقيقية تعبر عن افكار الحزب واتجاهاته، وتمدها بالاسناد المادي والمعنوي،وتشكل مركز الاستقطاب فيها،والاشعاع عليها،،وان قدرتها على تحمل هذا العبء قدرة عالية،، وهي تتجذر وتتعمق مع الزمن، باتجاه ثابت في الصعود.

اننا، اذن،نمتلك الفكر،والخبرة،والارادة،والقاعدة،لبناء ستراتيجية المرحلة القادمة على اساس صحيح،ثوري،واقعي،خلاق،وعلىتحمل الدور الطليعي في تنفيذها .

وتشمل ستراتيجية المرحلة المقبلة ثلاثة ميادين:ميدان القضايا القومية التي نناضل من اجلها،بالمشاركة مع الاطراف الاخرى في حركة الثورة العربية،،وميدان القضايا الدولية التي نناضل من اجلها في الساحة الدولية،وبالتعاون مع القوى التقدمية الحليفة او الصديقة،،اما الميدان الثالث فهو ميدان شؤون الحزب الخاصة والقضايا والمهمات التي تواجهه.

أ ــ ستراتيجية النضال القومي

(١)النضال ضد تصفية القضية الفلسطينية وضد الكيان الصهيوني:

ان الحقيقة التي يجب ان لا تغفل،على الاطلاق،هي ان التسوية التي تعد لـــها،الان،اطــراف عربية ودولية عديدة،وبرغم كل ما تنطوى عليه من مخاطر جسيمة على النضال العربي لن تنهي، اذا ما تحققت،الصراع العربي ــ الصهيوني.

وعلى حركة الثورة العربية ان تضع في حسابها الان، مهمتين متتاليتين:

الاولـــى:ــ هـــي التصـــدي للتســـوية بكــل الوســائل الثوريـــة العمليـــة المتاحـــة، وابقـــــاء الصراع العربي ــ الصهيوني ملتهبا، ومواصلة الكفاح،بشـــــتى الاشـــكال الفكريـــة والسياســـية والعسكرية،وتثوير الاوضاع العربية من خلال ذلك.

والثانية :ــ وهي ــ في حالة فشل الاولى،وفرض التسوية على الامة العربيةــ تحديد الاتجاهـــات والاساليب الرئيسية في الصراع ضدالكيان الصهيوني في المرحلة اللاحقة، فـــي اطـــار، النضـــال لتحقيق اهداف حركة الثورة العربية.

ان الاهتمام يجب ان ينصب،الان،على المهمة الاولى،،فـــــهي المهمـــة الملحـــة،،والتســـوية ليست،كما ذكرنا في الفصل السابق،مسألة منتهية،بل دونها الكثير من الازمات والمشكلات المعقدة والحساسة،،فما هي الاتجاهات الرئيسية في العمل لاحباط التسوية ؟.

أــ ان من مستلزمات المهمة للنضال من اجل احباط التسوية،والتصـــــدي لمجمـــل المخطـــط الاستعماري الصهيوني الرجعي في المنطقة،وتكوين جبهة عربية من الانظمـــــة والقـــوى الشعبية التقدمية،المعادية للاستعمار والصهيونية والرجعية،،او من فريق منها،يعبر عـــن استعداده للعمل المشترك،،وهذا ما سنتناوله بالتفصيل في فصل لاحق .

ب ــ ان معسكر الاطراف السائرة في خط التسوية،وكما ذكرنا في فصل سابق،ليس موحـــدا، ومنسجما تماما.فالعلاقات بين الكثير من اطرافه ليست متينة جدا،والعامل الاساس الـــذي يجمعهاهو،السير المشترك في التســـوية، وتجنـــب مخـــاطر حركـــة الثـــورة العربيـــة عليها،وهناك في التسوية، والى جانبها، قضايا عديدة توجـــد حولـــها،بيـــن الاطـــراف المذكورة،خلافات ومنافسات واسعة، وفي بعض الاحيان حادة.

ان حركة الثورة العربية – وهي تواصل نضالها المركزي ضد التسوية – يجب ان تتعلم كيف تستفيد، بذكاء، من هذه الخلافات والمنافسات ،وكيف تعمل على تأزيمها،كلما استطاعت ذلك،واي خطوة من هذا النوع تؤدي الى تأخيرا لتسوية،،واي تأخير في التسوية يسهم، بقدر او بآخر،في زعزعة التوازن القلق الذي تقوم عليه،بما قد يؤدي،الى جانب عوامل اخرى،الى احباطها.

غير ان هذا الاسلوب يجب ان لا يؤدي الى محو التمييز المبدئي والعملي،بين اطراف حركة الثورة العربية،التي يمكن ان تمارسه،بقدر او بآخر،وبين اطراف معسكر التسوية.فهذا الاسلوب،اذا لم تحكم ادارته،يمكن ان يتحول الى سلاح ذي حدين،ينعكس في حده الثاني، بآثاره الضارة على حركة الثورة العربية،ويسهم في بلبلة الجماهير واضعاف تعبئتها ضد التسوية .

ج – ان الانظمة الرجعية،والانظمة السائرة في ركاب التسوية،ليست كلها انظمة قوية وراسخة،بل ان البعض منها معرض لشتى الاحتمالات كما ذكرنا في السابق .

فسقوط أي من هذه الانظمة يمكن ان يغير المعادلة الراهنة،وينعكس، بقدر او بآخر،على مخطط التسوية .

ان المهمة الملحة لحركة الثورة العربية هي تشديد النضال ضد هذه الانظمة،وهي،حتى في حالة عدم سقوطها، فان مجرد اضعافها يمكن ان يحقق فوائد في احباط مخطط التسوية .

غير اننا يجب ان نحدد، في ذلك،اولويات،لكي تكون الصورة واضحة امامنا.

ان نظام الردة في سورية يجب ان يكون الهدف الاول في هذه العملية،،وعلينا ان نقنع اطراف حركة الثورة العربية بذلك،،وان نفهمها ان هذا الاستنتاج لا ينطلق من دوافع حزبية ذاتية، وتقديرات خاصة،وانما من تقديرات موضوعية.

فاي تغيير في سورية، لصالح حركة الثورة العربية يحقق،اكثر من غيره،تغييرات حاسمة ومباشرة في موازين القوى في المنطقة،لاضد مخطط التسوية فحسب،وانما ضد المخطط الاستعماري – الرجعي،بكل جوانبه.

ان وجود النظام الثوري الذي يقوده الحزب في العراق الى جوار سورية، والارث القومي في القطر السوري،وكون الساحة الشرقية هي ساحة نضال المقاومة الفلسطينية، ومجاورة سورية للبنان، وتأثيرها على اوضاع المقاومة والحركة الوطنية فيه،،هذه العوامل توفر امكانات نهوض

ثوري واسع النطاق، واقامة جبهة سياسية وعسكرية واقتصادية قوية جدا،وقادرة علــى التــاثير المباشر والفعال في موازين القوى في الصراع العربي ـ الصهيوني،وفي المنطقةبشكل عام.

وهذا ما تؤكده الحقائق الثابتة التي سبق ذكرها عند الحديث عن اهمية الاقطار العربية فـــي الظروف الراهنة،وفي الستراتيجية الدولية،وفي الصراع العربي ـــالصهيوني،وفي موازين القــوى بين الاطراف التقدمية والاطراف الرجعية.

د ـ ان التسوية لا يمكن ان تتم الا بموافقة اطراف فلسطينية،تمتلك قدرا مـــن المشـــروعية والتأثير بين الجماهير الفلسطينية،وقد حاولت القوى العربية والدولية المحركة للتســوية ان تجر قيادة منظمة التحرير،وقيادة منظمة (فتح)بالذات.للموافقة على خـــط التســـوية، ونجحت في ذلك الى حد ملموس.غير ان هذا الخط لم يصل بعد الى نقطة النهاية.فــهناك جبهة الرفض،،واطراف في منظمة (فتح)،واعداد كبيرة من المقاتلين، ترفض هذا النــهج التصفوي الخيانـي.وهذه الاوساط يجب ان تدعم دعما قويا وواسع النطـــاق،وان تشــجع على اتخاذ المواقف المبدئية الحازمة. ان سحب الورقة الفلسطينية من التسوية نقطــــة جوهرية،ويجب التركيز عليها تركيزا شديدا، واذا فشلت المحاولات في منــع القيـــادات المذكورة،بأي شكل من الاشكال،من السير في خط التسوية، فان اضعافها وتعريتها يفيــد في اضعاف الشرعية التي تستند اليها،، مما يضعف شرعية التسوية،اذا ما تحققت.

ان سياسة ثورية مدروسة وحكيمة،وبعيدة عن روح الانفعال،يمكن في ظل الظروف المقبلـــة، ان تعطي نتائج غير متوقعة في عرقلة مشروع التسوية التصفوي.وعلى الحزب ان يعتمد ويرعــى سياسة كهذه،ويشجع جبهة الرفض على انتهاجها،ولاسيما ان جبهة التحرير العربية،التي تنـــامت قدرتها العسكرية والسياسية،تستطيع ان تؤدي دورا مهما في تنفيذ هذه السياسة.

كما ان القيادة القومية واجهزتها المختصة مطالبـــة ان تضـــع ســـتراتيجية خاصـــة للعمـــل الفدائي،وقيادته باتجاه وضع المزيد مـــن الصعوبـــات امـــام التســـوية فـــي ايـــة مرحلـــة مـــن مراحلها،وتحركاتها،،مع ضرورة التركيز على احداث تغيير نوعي فـــي شـــكل واســـاليب العمـــل السياسي والفدائي في داخل الارض المحتلة،وعلى وجه الخصوص في توجيه نضال جبهة التحرير العربية باتجاه تعميق هذا الهدف،واخذ دور الريادة في سحب العمل الفدائي الى آفـــاق وســـاحات جديدة.

اما اذا فشلت محاولات احباط التسوية، وتحققت فعلا،فان النضال ضد الكيان الصهيوني، ـ وبحساب امكانية استثمار الظرف الجديد لتنفيذ المؤامرات الاستعمارية، مثل تقسيم لبنان، او ابتلاع جنوبه من قبل العدوـ يجب ان يأخذ الاتجاهات الرئيسية التالية:

أ ـ لقد كان من اهم الاسباب التي دفعت القوى الاستعمارية الى اقامة الكيان الصهيوني في الوطن العربي،وامداده بالدعم الكبير اعتبار هذا الكيان حاميا للمصالح الاستعمارية في الوطن العربي،،وهي الان وبالدرجة الاولى مصالح اميركية.فاذا ما ضربت هذه المصالح، فان الدول الاستعمارية وفي المقدمة منها اميركا،لايمكن ان تستمر في دعم هذا الكيان بالشكل الذي تقوم به الان،ولن تكون مستعدة لتحمل الاعباء الاقتصادية والعسكرية والسياسية الكبيرة لحمايته .لقد كان حزبنا يربط ربطا وثيقا بين النضال ضد هذه المصالح،وضد الكيان الصهيوني،وهذا ما كانت تتجاهله اوساط عديدة انتهازية او قصيرة النظر،كما كانت تتجاهله الرجعية العربية،لتواطئها مع الاستعمار،فلم يجر خلال المرحلة السابقة،تركيز كاف على النضال ضد المصالح الاستعمارية،وضد الانظمة الرجعية التي تؤمن تلك المصالح،فحركة الثورة العربية،وباستثناء الحزب وثورته في القطر العراقي، لم تستطع،لما فيه من ضعف،ان تتوزع تركيزها بين هذا الهدف وبين الصراع الساخن والمباشر ضد العدو الصهيوني.

وفي حالة تحقيق التسوية،فان تركيزا شديدا يجب ان ينصب على المصالح الاستعمارية الاميركية،وعلى القوى الرجعية التي تؤمنها،،واي تقدم في هذا الهدف يقرب من اجل الكيان الصهيوني .كما اننا يجب ان نأخذ بالاعتبار ان أي تهديد يحصل،في المستقبل،للمصالح الاستعمارية يمكن ان يدفع اميركا لاستخدام الكيان الصهيوني ثانية،لتسديد ضربات عسكرية لاطراف عربية معينة، لحماية تلك المصالح من التهديد،،وبذلك تنتهي التسوية، ويستأنف الصراع الساخن ضد الكيان الصهيوني مرة اخرى.

ب ـ ان ضرورة ضرب الحلقات الضعيفة في معسكر الرجعية والتسويةتبقى قائمة، حتى بعد التسوية،فالتسوية،لكي تكون ثابتة،تحتاج الى من يحرسها،واي اضعاف لحراس التسوية الرجعين والمرتديين،يمكن ان يسفر عن ظروف،تؤدي الى تسخين الصراع العربي ـ الصهيوني،بشكل او بآخر.

ويبقى سلم الاولويات،بالنسبة للاقطار،قائما بعد التسوية كما هو قبلها،،غير اننا يجب ان نأخذ بالاعتبار ان أي تغيير في سورية يجري،قبل اجراء التسوية او بعدها،يتطلب اختيار صيغ

واساليب خاصة للنضال ضد الكيان الصهيوني،وتحقيق اهداف النضال العربي،دون الوقـــوع فـــي شرك المغامرات او المخاطرة غير المحسوبة.

وعلى حزبنا وحركة الثورة العربية ان يتعلما كيفية اتباع التكتيكات الذكية،التي تمكنهما مــــن الامساك بدفة الصراع بأيديهما،واختيار الاسلوب والوقت المناسبيين لتحقيق الهدف.

ج ـ ان الكيان الصهيوني يعاني،منذ نشأته،من ازمة اقتصادية صعبة، كان يعالجها بالمســـاعدات الخارجية،وبخاصة المساعدات الاميركية ومستقبل هذه الازمة،بعد تحقيق التسوية،قد لا يكون معروفا،وخاصة المدى الذي ستواصل فيه اميركا دعم الكيان الصهيوني،للتخفيف مــــن هـــذه الازمة.

وبالتأكيد،سيسعى الكيان الصهيوني،بعد التسوية،لاقامة علاقـــات اقتصاديـــة مـــع الانظمـــة العربية،للتخفيف من هذه الازمة،ولتحقيق اهداف اخرى.

لذلك يجب التركيز،مهما كانت الظروف،وللحيلولة دون ذلك فبقاء الازمة الاقتصادية في الكيان الصهيوني،يشكل مقتلا له،وعاملا مهما لصالحنا في الصراع ضده.

د ـ وفي حالة قيام التسوية،لابد من العمل،بالوسائل المتاحة للتأثير في اوضاع الكيان الصـــهيوني الداخلية،بما يؤدي الى خلخلة تكوينه الصهيوني ـ العنصري،، وقد يكون من السابق لاوانه تحديد الوسائل والاساليب من الان،ولكننـــا يجـــب ان لا نســـقط مثـــل هـــذا الجـــانب مـــن اعتبارنا،،وفي الوقت نفسه يجب ان لانسمح بان ينطوي مثل هذا العمل على أي شكل مــــن اشكال الاعتراف بالكيان الصهيوني .كما ان النضال الفكـــري والسياســـي والاعلامـــي ضـــد الصهيونية كحركة عنصرية يجب ان يستمر وبكل قوة،سواء باتجاه الكيان الصهيوني،او على الساحة الدولية،،لان اضعاف الاساس الفكري للكيان الصهيوني،واضعاف الحركة الصهيونيـــة العالمية يضعف هذا الكيان.

هـ ـ اذا كانت الاطراف العربية المعنية بالتسوية ستعمد الى شكل من اشكال الاعتراف بالكيـــان الصهيوني،فان على حركة الثورة العربية ان تتبع كل الوسائل المتاحة للتقليل من درجة هذا الاعتراف،سواء من الناحية الشكلية، او من الناحية الواقعية، والحيلولة دون تعميـــم هـــذا الاعتراف على الانظمة العربية الاخرى.فأي تضييق، او تقليل،في درجة الاعتراف بالكيـــان الصهيوني،يخدم هدف مواصلة النضال ضد هذا الكيان.

(٢) السعي لاقامة الجبهة التقدمية العربية:

تحتل الدعوة الى اقامة جبهة تقدمية عربية موقعا بارزا في تاريخ الحزب ونضاله،،ففي كل المراحل التاريخية العصيبة التي مرت بها حركة الثورة العربية،وفي الاوقات التي كان فيها الحزب يقدر بان حركة الثورة العربية مطالبة بانجاز مهام كبيرة،ذات طبيعة تاريخية،، كان يدعو، وحسب الظروف القائمة،الى اقامة جبهة شعبية عربية تقدمية.

وقد دلت كل تجارب الماضي على ان غياب هذه الجبهة،واتجاه القوى التقدمية العربية الى الخلاف والصراع فيما بينها،او الانصراف عن التعاون والتضامن،كانا يلحقان بها الاضرار والخسائر،ويفيدان القوى المعادية،الاستعمارية والصهيونية والرجعية.

وقد اشارت تجربة المرحلة السابقة،منذ هزيمة حزيران ١٩٦٧ حتى اليوم،الى ان اوضاع فقدان التنسيق والخلاف بين اطراف حركة الثورة العربية،سواء على صعيد الانظمة التقدمية الوسطية،او على صعيد الاحزاب والحركات والقوى الشعبية،قد اسهمت اسهاما بالغ الخطورة في اضعافها،في مواجهة الاستعمار والصهيونية والرجعية ونهج التسوية .

والموقف الصحيح،بعد هذه الخبرة الطويلة،هو ضرورة اقامة جبهة عربية بين الانظمة والاحزاب والحركات والقوى العربية،تناضل على اساس برنامج موحد،ضد المخططات الاستعمارية والصهيونية والرجعية،وترفع عاليا راية المبادئ والافكار والاهداف التحررية والتقدمية والوحدوية.

فهذه المهمة باتت اليوم،واكثر من أي وقت مضى،مهمة مركزية ملحة وعلى نجاحها او فشلها،ستقرر امور جوهرية عديدة في الصراع بين القوى التحرر والتقدم والوحدة من جهة، وبين قوى الاستعمار والصهيونية والرجعية من جهة اخرى.

ان الحقيقة الاكيدة هي ان أي قوة تقدمية عربية،سواء كانت في الحكم او المعارضة، لاتستطيع وحدها،في الوقت الحاضر،ان تحقق تغييرا جوهريا في موازين القوى الراهنة، بين القوى التقدمية،والرجعية،والتي تميل لصالح الاخيرة،ومن الصعب جدا على بعض الانظمة والقوى التقدمية ان تصمد،منفردة،امام محاولات التآمر والحصار،التي تستهدفها من جانب المعسكر الاستعماري الرجعي،والتي لابد ان تتخذ في المرحلة القادمة،اشكالا اكثر حدة وخطورة.

فالجبهة العربية التقدمية ضرورية للمحافظة على الاوضاع والقوى والمكتسبات التقدمية، التي تحققت عبر النضال الطويل لحركة الثورة العربية، كما هي ضرورية للانتقال الى المواقع الهجومية،ضد مواقع ومخططات الاستعمار والصهيونية والرجعية.

ويتحمل الحزب مسؤولية اساسية في انجاز هذه المهمة .والواقع انه ليس هناك اية قوة عربية تقدمية حريصة على انجاز هذه المهمة،حرصا اصيلا وثابتا وذا بعد ستراتيجي،كحزبنا،، وليس هناك،ايضا،مثل حزبنا من يمتلك الخبرة العميقة والمقدرة على تحمل مسؤوليات المبادأة بمثل هذه المهمة، وتحمل اعبائها الكثيرة والمتشعبة والمعقدة،ومن ناحية اخرى فان انجاز هذه المهمة وانجاحها يعتبر نقطة جوهرية جدا،وبالغة الاهمية في استعادة حزبنا لدوره الطليعي في حركة الثورة العربية،وفي تعزيز الدور.

ان الاتجاهات الاساسية في نضالنا ونشاطنا،نحو اقامة الجبهة العربية التقدمية،يجب ان تتركز بما يلي :ـ

أ ـ يجب ان نسعى الى اقناع اكبر عدد ممكن، من الانظمة والاحزاب والحركات والقوى المحسوبة على الصف التقدمي،باقامة هذه الجبهة،ولكننا يجب ان لا نعلق الامر طويلا،حتى نتوصل الى اجماع كل هذه الانظمة والقوى،،بل علينا ان نسعى الى اقامة هذه الجبهة مع أي فريق من الانظمة والاحزاب والحركات والقوى،يكون مستعدا للمباشرة بالعمل المشترك،،ولا يعني هذا النزوع الى الاستعجال،واضاعة فرص ضم اكبر عدد ممكن من الانظمة والقوى التقدمية،بل ان ما نقصده هو عدم تأجيل انجاز هذه المهمة،اوعدم التخلي عنها،اذا ما وجدنا ترددا او تسويفا لدى بعض الانظمة والاطراف الشعبية،حتى ولو كانت ذات موقع مهم في عملية انجاح الجبهة.

ب ـ ان هناك خلافات فكرية وسياسية عديدة بين الاطراف التقدمية العربية،،وتصل بعض هذه الخلافات،احيانا،الى درجة عالية من التناقض او التقاطع في العمل المشترك،بين هذه الاطراف،،ولابد من التفكير والعمل على اختيار الاساليب المناسبة للتعامل مع هذه الخلافات.

ومن ابرز التناقضات بين الاطراف التقدمية العربية،ذلك الذي نشأ بعد هزيمة حزيران وما زال مستمرا حتى اليوم،وهو الخلاف حول نهج التسوية ومضمونها.ومادامت التسوية غير متحققة، فان هذا الخلاف سيبقى،،كما انه سيبقى باشكال اخرى حتى لو تم فرضها على الامة،

وبخاصة عندما تتجه اطراف حركة الثورة العربية الى تقييم التجربة السابقة واستنباط دروس واتجاهات منها،للمرحلة اللاحقة.

ان نشاطا فكريا وسياسيا واسع النطاق يجب ان يبذل خلال المرحلة المقبلة،من اجل حل هذا التناقض،واقناع الاطراف التقدمية التي ايدت نهج التسوية في الماضي،على اختلاف نظراتها ومواقفها الجزئية حوله،لاعادة تحليل موقفها هذا،والعودة عنه الى موقف ثوري متماسك ومنسجم بكل جوانبه.

غير ان هذه المحاولات وغيرها من المحاولات الرامية الى معالجة الخلافات الاخرى، يجب ان تتم،باستمرار،في اطار الحرص على التحالف، وعدم دفع الخلافات حول هذه المسألة وغيرها بين الاطراف التقدمية،الى حد التناقض الشديد،او الافتراق،وبرغم استمرار الكثير من هذه الاطراف بموقفها هذا،الا ان من الواضح ان البعض منها قد رجع، عنه بشكل او بآخر،وان بعضا آخر لم يعد،كما كان في بعض المراحل في الماضي،متحمسا له، كما لم يعد قادرا تماما على جعل موقفه هذا مقنعا لقواعده وجماهيره.وهذا التغير الايجابي بالتأكيد،ويجب السعي،بصبر وثبات،لتطويره.

ان حركة الثورة العربية ليست في ظروف تمكنها من تصعيد درجة الخلاف حول هذه المسألة، او المسائل الاخرى الى نقطة ساخنة،،لان عليها دائما،ان تأخذ،بعين الاعتبار، موازين القوى بينها من جهة، وبين القوى الاستعمارية والرجعية من الجهة الاخرى،، ولكن علينا، كحزب طليعي في حركة الثورة العربية، ان نقدر، بدقة،متى يترتب علينا ان نركز على هذه المسألة،وعلى اية مسألة اخرى مهمة تركيزا شديدا،عندما تتوفر ظروف مناسبة ومبررات قوية،ومتى نخفف من هذا التركيز،وفي كل الاحوال يجب ان يستمر النشاط الفكري والسياسي في هذا الاتجاه.

ومما يعزز هذا الاتجاه ايضا مواصلة النضال الفكري والسياسي مع القوى التقدمية العالمية، بشتى الاشكال،لاقناعها،بخطأ هذا النهج،وما ينطوي عليه من تعزيز للمخططات والسياسات الاستعمارية والرجعية في المنطقة العربية،بل حتى على الصعيد الدولي.

ج ـ ان هدف اقامة الجبهة التقدمية العربية يبقى،كما اشرنا هدفا ملحا ومهما،،ولكننا يجب ان نتوقع ان تصل هذه الجبهة الى مستوى عال،من الوحدة والنشاط والمبادرة،بحيث يتحتم علينا ان نحصر،ونركز كل نشاطنا في الساحة العربية في اطارها.فهذه الجبهة،حتى لو تحققت وباعلى مستوى ممكن، تبقى اطارا عاما،لايوفر كل مستلزمات النهوض الثوري الذي نطمح اليه،وهي لن تلغي،،ويجب ان تلغي، اتجاه الحزب،وثورته

في القطر العراقي،الى اقامة العلاقات الثنائية مع الانظمة والقوى التقدمية العربيــــة،لا بهدف تعزيز دورها ونشاطها في اطار الجبهة فحسب،وانما لتحقيق اهداف معينة،تسـهم في تطوير،او تثوير الاوضاع في قطر ما، او منطقة ما من مناطق الوطن العربي،او فـي الساحة العربية عموما.

د ـ ان من مقومات قيام الجبهة التقدمية العربية قيام جبهات تقدمية في كل قطر،سواء كـــانت القوى التقدمية فيه في السلطة،اوفي المعارضة فالنضال السياسي والفكري، بهذا الاتجـــاه ضرورة كبيرة،،وتترتب على فروع الحزب في كـــل الاقطـــار العربيــــة، وعلـــى قيادتـــه القومية،مسؤوليات جسيمة في العمل المثابر والدؤوب،من اجل أي تقدم ممكن فـــي هـــذا الاتجاه،وفي أي قطر عربي.

هـ ـ يتحمل الحزب وثورته،في القطر العراقي،مسؤوليات تاريخية في دعم اوضاع بعض الانظمة العربية المحسوبة على الصف التقدمي،التي تتعرض الـــى التـــآمر والحصــار،اوتتعــرض لمحاولات الترويض والاحتواء،بشتى الاساليب السياسية والاقتصادية.لقـــد بـــذل الحـــزب وثورته في القطر العراقي،في هذا الشأن،خلال المرحلة السابقة،جهودا كبيرة،وبـــادر الـــى اسناد ومساعدة هذه الانظمة،كاليمن الديمقراطية والصومال،سياسيا وماديا وعسكريا،،غــير اننا،وبصرف النظر عن ملاحظاتنا على هذه الانظمة،من النواحي الفكريـــــة او السياســـية وخلافاتنا معها،يجب ان نعد للمرحلة المقبلة اعدادا مختلفا في الحجم،وفي النوعيــــة عـــن السابق .وعلينا ان نوظف امكانات سياسية واقتصادية استثنائية في هذا الاتجاه،وان تتحدى المحاولات الرامية الى تصفية هذه الانظمة،او احتوائها،بصيغ جريئة،تتناسب مع خطـــورة المرحلة الراهنة،ومع جسامة التحديات والاخطار الاستعمارية والرجعية.

(٣) الوحدة العربية:

ان حزب البعث العربي الاشتراكي هو رائدالفكر الوحدوي،بمضمونـــه الحضـــاري التحـــرري الاشتراكي الاصيل،والعميق والشامل،،ومسيرة الحزب النضالية الطويلة هي مسيرة العمل الفكـــري والجماهيري والسياسي من اجل الوحدة،وضد من يقف امامها،من القوى والاتجاهات والاوضــــاع الاستعمارية،والصهيونية،والرجعية،ولاقليمية والطائفية والمتخلفة،، حتى دعي حزبنا بحق"حـــزب الوحدة".

وخلال الخمسينات،وبعد ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢ في مصر،ناضل حزبنا نضالا حثيثا وواسعا،من اجل تحقيق اول نواة للوحدة العربية،بوحدة مصر وسورية،وقد تحققت تلك الوحدة فعلا عام ١٩٥٨، غير انها مالبثت ان انتكست في عام ١٩٦١ بقيام الانفصال،،فواصل الحزب نضاله لاستعادتها،ودعا الى تصحيح الانحراف والعلل التي ادت نكسة التجربة الوحدوية الاولى،والى بناء تجربة وحدوية سليمة،وكان النضال من اجل استعادة الوحدة دافعا اساسيا من دوافع الثورة التي قادها الحزب في العراق في ٨ شباط ١٩٦٣، ومن دوافع التغيير الذي تم في سورية،في ٨ آذار ١٩٦٣.

ومرة اخرى، سعى الحزب الى تشكيل نواة جديدة للوحدة بين مصر وسورية والعراق، هذه المرة،،وتم اعلان ميثاق ١٧ نيسان ١٩٦٣ على هذا الاساس، ولكن هذه المحاولة لم تنجح،لاسباب سبق ان تعرض لها الحزب في كثير من ادبياته،، وبعد ذلك بتسع سنوات،في عام ١٩٧٢،دعا الحزب مرة اخرى الى وحدة كفاحية، تضم مصر وسورية والعراق وأية دولة اخرى،، ولكن النظامين المصري والسوري لم يستجيبا لهذه الدعوة كما سبق وتطرقنا اليه في الجزء الاول.

وفي الواقع،، ان المستوى القوى من العمل في سبيل الوحدة قد ارتبط،خلال الخمسينات والستينات بمركزين اساسيين،، هما الحزب ومصر الناصرية،،وعندما فشل التحالف بين هذين المركزيين، فشلت تجارب الوحدة ومشاريعها في ذينك العقدين.

وقد سعى عبد الناصر،في الفترة الواقعة بين هزيمة حزيران ووفاته،الى اقامة شكل من التنسيق الوحدوي،بين مصر وليبيا والسودان،بمعزل عن الحزب وثورته في القطر العراقي،التي كانت قد قامت في تموز ١٩٦٨،غير ان تلك المحاولة لم تحقق أية نتائج مهمة،لاعلى صعيد الوحدة،ولا على صعيد الاهداف الاخرى لحركة الثورة العربية.

وفي عام ١٩٧١،اقام النظام المصري والسوري والليبي اتحادا سمي باتحاد الجمهوريات العربية.ولكن هذا الاتحاد بقى صيغة شكلية،ثم تفككت اركانه.

وفي عام ١٩٧٢ اعلن عن مشروع الوحدة بين شطري اليمن،ولكن هذا المشروع،الذي لم ينطلق من دوافع اصيلة،لم يأخذ طريقة الى التطبيق.

وفي حزيران عام ١٩٧٥ سعى النظام السوري الى اقامة علاقات خاصة مع النظام الاردني العريق في رجعيته،وعلاقاته مع الاستعمار،تحت ستار الوحدة،،ثم سعى الى اقامة ما اسماه بقيادة

سياسية موحدة مع منظمة التحرير الفلسطينية،بهدف احتوائها وجرها الى حلبة التسوية،،وفي هذا العام ــ ١٩٧٧ ــ انشأ النظام المصري والسوري والسوداني ما سمي بـــــ(القيــادة السياســية الموحدة).

وتتميز هذه المحاولات الاخيرة التي جرت تحت ستار الوحدة،بوجه خــــاص،بانـــها ليســت محاولات شكلية وغير اصيلة فحسب،وانما هي محاولات تآمرية صريحـــة علـــى فكــرة الوحــدة العربية،وعلى مجمل قضايا النضال العربي وفي مقدمتها قضية فلسطين،،فالسبب الاســـاس الـــذي يمكن وراءها،هو تكتيل جهود الانظمة التي تتستر بها،لتصفية القضية الفلسطينية،ولحماية نفســها من الجماهير وحركة الثورة العربية، فضلا عما ينتج عنها، وعن غيرها من المشاريع المظهريـــة وغير المجدية، من تشويش في اذهان الجماهير العربية حول قضية الوحدة، وتيئيـــس لـــها مـــن امكانية تحقيقها.

ما هي الظروف العربية والدولية التي تحيط بقضية الوحدة العربية اليـــوم؟ ومـــا هـــي الامكانات المتوفرة للنضال الوحدوي؟ وما هي السبل الفعالة في العمل من اجل الوحدة؟.

ان الاوضاع العربية الراهنة، سواء على صعيد الانظمة او الحركـــة الشـــعبية، لاتشــكل ظروفا مواتية للتقدم باتجاه الوحدة العربية.

فالقوى الرجعية هي، وكما كانت منذ البدء، عائق اساسي امام الوحدة العربيـــة، وخصــم تاريخي لها،، اما الانظمة العربية المحسوبة على الصف التقدمي، فانها، جميعا، انظمة اقليميـــة لاتعتبر الوحدة هدفا لها،، اما النظام الليبي، وهو النظام العربي الوحيد بين هذه الانظمـــة، الـــذي يرفع شعارات الوحدة ويدعو اليها، فانه لايتصف بالصفات الجادة التي تمكنه من الاســـهام الجـــاد والفعال في قضية الوحدة،، بل، ان بعض محاولاته الوحدوية، أضر من الناحية العمليـــة بقضيـــة الوحدة، كما حدث بالنسبة لمحاولاته مع مصر، ومحاولته السطحية والمظهريـــة للوحـــدة مـــع تونس،، كما ان بعض المواقف التي يتخذها تناقض، من حيث الاساس، الموقف القومي الوحدوي، مثل مساندته للحركة الاستقلالية في الصحراء، وتعاونه مع النظام الاثيوبي ضد الثورة الارتيرية.

وعلى الصعيد الشعبي، لاتوجد الان في الساحة العربية، عدا الحزب احزاب، او حركـــات، او قوى سياسية ذات شأن، تعتبر الوحدة هدفا اساسيا،، واغلب هذه الاطراف، اما اقليمي التكويـــن والهدف،، واما منشغل بمعاركه المحلية والخاصة، ولا يستطيع ان ينهض باعباء الفكر الوحـــدوي، والنضال الوحدوي.

وعلى الصعيد الدولي، فان من الحقائق التاريخية المعروفة ان كل القوى الدولية الكبرى كانت تتخذ، باساليب ودرجات متفاوتة، مواقف معادية للوحدة العربية... وهذه الحقيقة لم تتغير.

وبعد تغير موقع الوطن العربي في الستراتيجية الدولية،، يمكننا القول بانه مادامت المنطقة العربية قد اصبحت اكثر(دولية)، فان الوحدة العربية قد اصبحت هي الاخرى اكثر(دولية) من أي وقت مضى.

ان القوى الاستعمارية، بصورة عامة، والاستعمار الاميركي، بصورة خاصة، تقف في الوقت الحاضر،، وستقف في المستقبل ضد الوحدة العربية، لانها تعرف ما تشكله من خطر على مصالحها في الوطن العربي، وعلى مخططاتها الاستعمارية الرامية الى ترتيب الاوضاع في المنطقة لصالحها. غير اننا يجب ان لانستبعد ان يدعم الاستعمار الامريكي، في المستقبل، وبصورة غير مباشرة، خطوات اتحادية شكلية في حالتين، اما مواجهة خطوات وحدوية حقيقية،، كما حصل عندما دفعت القوى الاستعمارية النظامين الملكيين، في العراق والاردن، الى تكوين اتحاد بينهما، في مواجهة قيام الجمهورية العربية المتحدة بين مصر وسوريا، واما لتدارك الاوضاع في بعض الانظمة الموالية له، او التي فيها مصالح اساسية يخشى عليها من الانهيار. ومع ان مثل هذا التوجه يشكل موقفا عدائيا للوحدة العربية ومخربا لاتجاهاتها الصحيحة، الا انه، من الناحية الاخرى، يمكن ان يشكل تحفيز للقوى القومية التحررية، للبحث عن الصيغ وحدوية تحررية سليمة.

اما الاتحاد السوفييتي، فانه لم يقف موقفا مشجعا للوحدة العربية،بل وقف ضدها في بعض الاحيان، وعندما يتحدث عنها اليوم، فانما يقصد في الغالب التضامن العرب.

ويمكن القول ان القوتين الدوليتين الكبيرتين، الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي، وبرغم اختلاف طبيعتهما ومصالحهما، لاتشجعان، عموما، الاتجاهات الوحدوية في العالم، وبخاصة تلك الاتجاهات التي يمكن ان تسفر عن تكوين مراكز قوة دولية جديدة. فهاتان القوتان، وبحكم كونهما دولتين كبيريين، تميلان، بالاساس، الى التعامل مع كيانات صغيرة وضعيفة، لانها تكون اسهل لبسط النفوذ عليها، واستقطابها في الصراع القائم بينهما.

وتنال الوحدة العربية، من معارضة هاتين القوتين، قسطا اكبر من الدعوات الاتحادية الاخرة في العالم، لسببين: اولهما ان شعار الوحدة العربية ينطلق، بالاساس، من دعوة القومية العربية ذات المضمون الاستقلالي عنهما، وثانيهما، ان امكانات الوطن العربي الجغرافية وطاقاته

الاقتصاديةالهائلة، وموقعه الخطير، فضلا عن تراثه التاريخي والروحي العميق، تؤهله، في حالة تحقيق الوحدة،لان يصبح قوة دولية كبرى،مما لا ينال، من حيث الاساس،رضا القوتين الدوليتين الكبيرتين.

وفي الوقت الراهن،، ولفترة غير قصيرة في المستقبل،تشكل مسألة التسوية عنصرا اساسيا،وحساسا جدا،في تحديد مواقف القوتين الدوليتين الكبيرتين،اميركا والاتحاد السوفييتي،وكل القوى الدولية الاخرى،وبخاصة اوربا الغربية،من مسألة الوحدة العربية.واية صيغة وحدوية، يكون فيها القطر العراقي طرفا،تغير،في نظر هذه القوى الدولية،تغييرا مهما،في موازين القوى الراهنة في المنطقة،وفي اوضاع التسوية التي تحرص كل هذه القوى الدولية عليها،حرصا شديدا.

ان هذه الاوضاع السلبية،الذاتية والموضوعية التي تحيط بقضية الوحدة العربية تحمل حزبنا،حزب الوحدة مسؤولية تاريخية جسيمة.

فكما رفع الحزب راية الفكرة الوحدوية والنضال الوحدوي،في الاربيعنات،والخمسينات والستينات،وفي اطار ظروف تلك المرحلة،فانه مطالب،اليوم،بان يرفع هذه الراية مجددا،وفي ضوء الظروف والمعطيات الراهنة.

ان استعادة الحزب لدوره الطليعي في حياة الامة،،وفي حركتها الثورية تشكل اليوم، وفي المستقبل،أهم تطور لصالح قضية الوحدة،ولصالح النضال العربي،وبكل ميادينه.

واليوم،ولاول مرة في التاريخ،منذ سقوط الدولة العربية العباسية تقوم في الوطن العربي دولة قومية حقيقية تؤمن بالعقيدة القومية،وتعتبر الوحدة العربية هدفا اساسيا من اهدافها،انها دولة الحزب في القطر العراقي.

وبقيام هذه الدولة،اصبح هناك مرتكز قوي وصحيح في بنيانه وسياسته، يعمل من اجل الوحدة العربية،كما اصبح هناك مركز قوي ينشط،فكريا وسياسيا واقتصاديا وثقافيا واعلاميا، من اجلها،ويشكل مركز استقطاب لكل النضال والانشطة الوحدوية في الوطن العربي،، وقاعدة ارتكازلها،حتى اذا ما نضجت الظروف في أي قطر عربي،امكن تحقيق نواة ثابة وقوية ومتطورة للوحدة.

ومن الامور الجوهرية بالنسبة لقضية الوحدة العربية،ضرورة قيام نواة لها.ان قيام مثل هذه النواة يغير الاوضاع السلبية الراهنة المحيطة بالوحدة تغييرا جذريا،وينقل النضال الوحدوي

الى مرحلة جديدة من الصعود والتقدم. لذلك فان تحقيق هذا الهدف،، اقامة(نواة للوحدة العربية) هو من اكثر الاهداف المركزية الحاحا في المرحلة المقبلة.

ان النضال من اجل الوحدة،يجب ان يشمل،وبخاصة في جوانبه الفكرية والثقافية والاعلامية، كل الساحة العربية،ويجب ان نحرص على بقاء فكرة الوحدة العربية حية في كل بقعة من بقاع الوطن العربي،وان نلهب حماسة المناضلين من اجلها ونساعدهم،مهما كانت الظروف غير مواتية،والنتائج المتحققة من ذلك بسيطة،، كما تترتب على ثورة الحزب في القطر العراقي مسؤوليات جسيمة في تجسيد مبادئ الوحدة وتطبيقاتها العملية بأصدار القوانين ذات المحتوىالقومي، وتعزيز السمة القومية للبنيان الداخلي في القطر،وفي الانشطة والمشاريع الثقافية والاقتصادية وغيرها من الميادين.

كما أن من الضروري العمل على تطوير السوق العربية المشتركة،وتشجيع المشاريع الاقتصادية والثقافية وكل المؤسسات العربية المشتركة،سواء في اطار الجامعة العربية او غيرها،واسناد المنظمات الشعبية والمهنية العربية التي يشكل وجودها وتطورها اضافة ايجابية الى قضية الوحدة.الا ان كل ذلك يجب ان لا يشغلنا،على الاطلاق،عن التركيز على تحقيق نواة للوحدة العربية،، فبدون هذه النواة يبقى هدف الوحدة عاماً،، ومائعا. وتحقيق نواة للوحدة العربية يتطلب التركيز الشديد على النضال الوحدوي المتجه،بصورة خاصة الى اكثر الاقطار العربية استعدادا لتحقيق الوحدة مع التجربة التي يقودها الحزب في القطر العراقي،، كما يتطلب دراسة الظروف العربية والدولية دراسة دقيقة،ومتابعة المتغيرات فيها بكل حرص ورصد ما تسفرعنه من معطيات ايجابية لصالح الوحدة ولصالح تحقيق نواة للوحدة، بشكل عام،، ولصالح تحقيق نواة للوحدة،بوجه خاص.

وبسبب الاهتمام الاستثنائي للقوى الدولية بالمنطقة العربية،للاسباب التي سبق بيانها، وبالتالي، اهتمامها الشديد بالوحدة العربية،لابد من الوقوف

بشكل خاص عند مواقفها من مسألة الوحدة،ودراسة كيفية التعامل مع هذه المواقف.

ان المواقف السلبية لمراكز القوى الدولية الصغرى،ستكون اقل حدة وفعالية من موقف الدولتين الكبيرتين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي،، فموقف هذه المراكز،من الوحدة،بين اقطار دول المواجهة،في الوقت الحاضر،مرتبط بالاساس،بخوفها على مصالحها،وبخاصة جريان الطاقة واستمرار التجارة،،ولكنها،اذا ما ضمنت هذه المصالح،او قدرا مهما منها،فقد لاتكون لديها

دوافع قوية لمعارضتها.واذا ما بلغ النضال الوحدوي بأرادة الجماهير، وبقيادة الحــزب،مستوى قويا،واذا استطاعت القوى الوحدوية،وبقيادة الحزب،ان تضع قضية الوحدة العربية في اطار من تبادل المنفعة مع هذه المراكز فان من الممكن تغيير موقفها الراهن،وجرها الى مواقف تأييد الوحدة،او على أقل تقدير،الى عدم معارضتها،وعدم الانحياز الى مواقف القوتين الدولتيين الكبيرتين،او احداهما منها.

وتعتبر هذه المسألة واحدة من اهم وأدق المسائل المتعلقة بالنضال من اجل الوحدة.فلما كانت الوحدة قضية (دولية)، بل اكثر (دولية)من أي وقت مضى، كما اسلفنا،فان النضال من اجلها يجب ان يتضمن وضع الخطط،والعمل المثابر وطويل النفس،لتوفير الظروف الدولية والملائمة لتحققها. ومن خلال التجربة، تتأكد حقيقة، هي ان مواقف الدولتين الكبيرتين ـ الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي ـ لا تتغير الا ضمن مجرى طويل ومعقد جدا، يتطلب امكانات وجهودا ضخمة، بحكم طبيعتهما كدولتين كبيرتين، تنظران الى كل الامور من منظار دولي شامل، وتتعاملان مع الدول والمناطق من هذا المنظار.اما القوى الدولية الاخرى الاقل شأنا،فان مواقفها، يمكن ان تتغير ضمن مجرى اقل طولا وتعقيدا،، لذلك فان من الضروري، في الوقت الحاضر، التركيز على بناء علاقات متينة ومتشابكة مع هذه القوى وربط هذه العلاقات ـ بالنظرية والممارسة ـ بالاتجاهات الاساسية للمصالح الستراتيجية العربية، ومنها مسألة الوحدة العربية،، وفي حالة النجاح في تحقيق هذا الهدف، فان مواقف الدولتين الكبيرتين السلبية من مسألة الوحدة، لن تكون ذات تأثير سلبي حاسم، مما يوفر ظروفا دولية، افضل بكثير من الظروف الراهنة،لتحقيق خطوات وحدوية.

وبرغم ما ذكرناه من موقف الاتحاد السوفييتي من هذه المسألة،ومن صعوبة تغيير هذا الموقف للاسباب سالفة الذكر،فان من الخطأ اهمال العمل المثابر،على كافة الاصعدة الفكرية والسياسية والاقتصادية لتغيير هذا الموقف، بأي قدر ممكن.ومن اشد الاخطار المحدقة بقضية الوحدة يكون هناك ضدها موقف موحد من جانب الدولتين الكبيرتين.

ولابد، هنا، من الاشارة الى ان ثمة فرقا اساسيا بين موقف الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة من الوحدة.فاميركا تجد، في قيام الوحدة، تهديدا لمصالح ستراتيجية قائمة اصلا في المنطقة، وتهديدا لحليفها الستراتيجي (الكيان الصهيوني). اما الاتحاد السوفييتي،فان الوحدة لاتهدد مصالح قائمة او حلفاء له،، انه يرى فيها ما قد يسد عليه ابواب المستقبل لتحقيق بعض من اهدافه الستراتيجية في المنطقة، وما يضعف ادوار الاحزاب الشيوعية فيها. وهذه الحقيقة

تشير الى انه، اذا ما وضع العمل من اجل الوحدة وصيغتها السياسية والدستورية،في اطار من الصداقة مع الاتحاد السوفييتي،وبشكل يحقق له مصالح لا تتعارض مع المصالح القومية،واستقلالية حركة الثورة العربية،فان ذلك قد يوفر فرصا ملائمة لاعادة تكييف اتجاهات السياسة السوفيتية من مسألة الوحدة.

ومن الامور المهمة في تقرير مسألة الوحدة،كيفية تعاملنا مع الموقع الجديد، والامكانات الجديدة للوطن العربي،وفي الستراتيجية الدولية. فهذا الموقع والامكانات التي تدفع القوى الدولية،في الوقت الحاضر الى الوقوف ضد الوحدة،يمكن ان تكون،اذا استثمرت من منطلق قومي وبأساليب ذكية،عاملا مهما،في تحقيق متغيرات في مواقف هذه القوى الدولية،وحتى الكبيرة منها،لصالح قضية الوحدة العربية.

ومن الامور الاساسية التي يجب تأكيدها هنا،على بدهيتها بالنسبة لنا كمناضلين،ان هذا الاهتمام بمواقف القوى الدولية،كبيرها وصغيرها،من قضية الوحدة على ضرورته،لايعني، على الاطلاق ان قضية الوحدة معلقة بارادة هذه القوى.ان قضية الوحدة مرتبطة قبل كل شيء آخر، بارادة الجماهير العربية وقواها الثورية الطليعية المؤمنة بها،وبالظروف الذاتية المواتية، او غير المواتية في هذا القطر او ذاك..وتشديد النضال الوحدوي وفق الاتجاه الذي حدده المؤتمر،هو الطريق التاريخي نحو الوحدة.

ومن ناحية اخرى،فان القضية الوحدة، قد ارتبطت منذ اكثر من ربع قرن،ارتباطا وثيقا، بالنضال من اجل تحرير فلسطين،،وتشكل الاوضاع العربية الراهنة المتجهة نحو التسوية السلمية،وتصفية القضية الفلسطينية عاملا سلبيا بالنسبة لقضية الوحدة، فهذه الانظمة وكما ذكرنا،لاتستعين بالوحدة من اجل التحرير،بل انها باتت تستعين بالشعارات والصيغ الوحدوية المزورة،من اجل تصفية قضية فلسطين،،غير اننا،يجب ان ناخذ بالاعتبار ان الظروف العربية الراهنة هي كلها ظروف غير مستقرة،،ومعرضة للتغيير،،كما ان التسوية السلمية،برغم الثقل العربي والدولي الذي يسعى الى فرضها،ليست مسألة اكيدة حتى الان،لذلك فان أي تغيير في الظروف العربية القلقة،،واي تدهور،اوتعثر في مسيرة التسوية، يخدم نضالنا نحو الوحدة.

وعلينا ان نحدد ــ منذ الان ــ مسألة جوهرية،وهي ان الارتباط بين قضية الوحدة العربية والقضية الفلسطينية،الذي يشكل مسالة جوهرية في النضال العربي،يجب ان لا ينتهي، اذا ما رفضت الظروف العربية والدولية التسوية على الامة العربية،بل يفترض ــ في هذه الحالة ــ

تعزيز النضال الوحدوي كأحد الردود الاساسية على التسوية ذاتها ،،وكما قلنا،في فصل سابق :(ان التسوية لن تنهي الصراع العربي ـ الصهيوني)،فأن من الضروري التأكيد ان التسوية لن تنتهي هذا الارتباط الوثيق بين مسألة الوحدة،والقضية الفلسطينية،ومجمل قضايا النضال العربي الاخرى.

ان على حزبنا وحركة الثورة العربية ان يوصلا النضال بثبات،من اجل الوحدة،حتى ولو فرضت التسوية على الامة العربية،،فالصراع العربي ـ الصهيوني لن ينتهي،كما ان ضرورة الوحدة العربية لن تنتهي،مهما كانت الظروف،وهدف الوحدة،يبقى حيا،،وملحا ما بقيت الامة العربية.

(٤) النضال من اجل حماية وحدة لبنان وعروبته وتطوره الديمقراطي:

ان المؤامرة ضد عروبة لبنان ووحدته،وضد المقاومة الفلسطينية على ارضه،وما فتئت مستمرة،، وما برح النظام السوري من جهة،والعدو الصهيوني الذي يدعم نزعات التقسيم من جهة ثانية،يمتلكان قدرا كبيرا من التأثير على سير الاحداث في لبنان .غير ان الطرفين يعتمدان ـ بالدرجة الاولى في تأثيرهما ذاك ـ على علاقاتهما الخاصة ـ كل من جانبه وبأساليبه الخاصة ـ بالاطراف الرجعية الطائفية المتآمرة.

ولم تستطع الحركة الوطنية اللبنانية،والاوساط الديمقراطية المؤمنة بوحدة لبنان واستقلاله،ان تشكل ـ حتى الان ـ فريقا اساسيا قادرا على فرض اتجاهه في مجرى الاحداث.

وفيما عدا سلطة رئيس الجمهورية والمحاولات التي يبذلها من اجل اعادة الحياة والوحدة الى المؤسسات الرسمية،ليس في الوضع اللبناني اليوم ما يشكل مشروعا جاهزا للبنان الواحد.

من هنا،وحتى لا تتطور الاوضاع في هذا القطر،الى كارثة قومية جديدة،شبيهة بكارثة ١٩٤٨،فان على حزبنا ان يبذل اهتماما استثنائيا لقطع الطريق على مشاريع التقسيم والتدويل المطروحة ومنعها من ان ترى النور.

وفي هذا المجال،على قيادة الحزب والثورة في العراق ان تقوم بدور مؤثر على المستويين،العربي والدولي،كما تستطيع،من خلال تعاملها الموضوعي والمرن،مع السلطة اللبنانية، ان تقطع اشواطا في هذا السبيل.

ولابد من الاشارة هنا،الى ان أي تغيير ايجابي يطرأ على اوضاع السياسة العربية والرسمية باتجاه مجابهة الهيمنة الاستعمارية،ووقف حالة التداعي الراهنة،ينعكس ايجابيا على الوضع في لبنان،اما على صعيد العمل الوطني والشعبي في الساحة اللبنانية،فان المرحلة المقبلة يجب ان تشهد تعزيز العمل الجبهوي،وتطوير التحالفات القائمة باتجاه تعميقها وتوسيعها،، فتقوم على اسس اكثر ثباتا ووضوحا من جهة،وتشمل هيئات واوساطا اخرى مستعدة لتحمل تبعات النضال من اجل استعادة وحدة لبنان الوطنية واستقلاله عن الوصاية الخارجية،من جهة اخرى.

كما ان على منظمة الحزب في لبنان ان تستمر في تعزيز قدراتها الذاتية وتطوير كفاءتها العسكرية والتنظيمية والاعلامية،ومن الضرورة بمكان ان يخطط حزبنا في لبنان للخروج من حالة الحصار التي فرضها عليه النظام السوري، وان يبتكر ادوات واساليب للعمل تؤدي الى انخراطه في المجهودات السياسية العامة، وتؤمن نشر افكاره وشعاراته على اوسع نطاق شعبي ووطني، وعلى منظمة الحزب في لبنان ان تولي العمل في اوساط الجماهير المسيحية اهمية استثنائية في المرحلة المقبلة،، وذلك باعادة دراسة المجتمع اللبناني دراسة معمقة،، ووضع المناهج والسبل الكفيلة بالانفتاح على تلك الجماهير وكسبها في الصف الوطني، وفي صفوف الحزب بشكل خاص.

ب ــ قضايا النضال في الساحة الدولية

يحتل حزبنا موقعا خاصا في حركة الثورة العالمية،وبين مجموعة القوى التقدمية الدولية.وقد سعى الحزب ــ منذ نشوئه ــ الى تأكيد موقعه هذا، والتعبير عنه بشتى الوسائل المتيسرة، ومن المواقف الجوهرية التي تجسد بها الحزب موقعه هذا،تأكيده على سياسة الحياد الايجابي، ومن ثم عدم الانحياز،وتضامنه مع حركات التحرر في العالم،وكل القوى التقدمية العالمية،، مع اهتمام خاص بتلك الحركات والقوى التي تنهج نهجا مستقلا في العلاقات الدولية، وتربط بين المصالح القومية والشخصية القومية،وبين النضال الانساني،في التحرر والتقدم والسلم.

غير ان الحزب،وعبر مرحلة طويلة،لم يتمكن من ان يبرز في صفوف حركة الثورة العالمية، والقوى التقدمية الدولية، بالمستوى الذي يستحقه، والذي تؤهله له عقيدته المتميزة العميقة والشاملة،ودوره الفعال في حركة الثورة العربيةوقد برزت على حسابه قوى عربية

اخرى،كالناصرية التي وضعت نفسها،ولفترة طويلة،في موضع تمثيل حركة الثورة العربية بين صفوف حركة الثورة العالمية،وبعد هزيمة حزيران، برزت المقاومةالفلسطينية،كقوة فعالة تستقطب اهتمام القوى التقدمية العالمية،وتقيس،من خلالها،اتجاهات حركة الثورة العربية ومواقفها من القضايا الدولية الاساسية، كما ان انظمة اخرى،كالنظام الجزائري،ثم النظام الليبي، وقوى اخرى،حاولت،باشكال متفاوتة،القيام بهذا الدور.

وقد ادى كل ذلك،لا الى حرمان الحزب من موقعه الطليعي حسب وانما الى تشويش واسع النطاق،حول طبيعة حركة الثورة العربية ومواقفها الفكرية والسياسية،بين صفوف الحركة التقدمية العالمية.

ان نجاح الحزب،بعد قيام الثورة في القطر العراقي،في كسر الطوق الذي ضرب حول عقيدته وممارساته واتجاهاته الاساسية،من قبل اطراف عربية ودولية تقدمية،،وازالة محاولات التشويه والتزوير التي الصقت به تلك الاطراف لسنوات عديدة،فتح امكانية جديدة كي يعبر عن نفسه،تعبيرا مباشرا ومستقلا وفعالا.

وخلال المرحلة السابقة،قطع الحزب شوطا جيدا في هذا المضمار.فلقد اصبح قوة معروفة اكثر من أي وقت مضى،،وتعرفت على عقيدته،ومواقفه واتجاهاته الاساسية قوى تقدمية عديدة،كانت تحيط بمعلوماتها عنه الاخطاء والتشويهات، واصبح الحزب قوة تقدمية محترمة على الصعيد الدولي،بعد الانجازات التحررية والتقدمية البارزة التي حققتها ثورته في القطر العراقي،والتي اصبحت،هي الاخرى،مركزا بارزا،ونشيطا من المراكز التقدمية في العالم،وموقع اسناد لحركات التحرر والتقدم العالمية.

وبرغم ان ماتحقق،في المرحلة السابقة،كان انجازا مهما،الا ان الحزب لم يتمكن، بعد، من موقعه وتأكيد موقفه الخاصين والفعالين في حركة الثورة العالمية،بالمستوى الذي يتناسب معهما.

ان المرحلة المقبلة،التي ستشهد استئناف الحزب لدوره الطليعي في حركة الثورة العربية،يجب ان تشهد تأكيد دوره المتميز والفعال،في حركة الثورة العالمية.

ويجب علينا ان نتلخص،نهائيا، من كل العقد التي نشأت في الماضي جراء النكسات والانقسامات التي ألمت بالحزب،وماتعرض اليه من محاولات العزل والحصار والتشويه والافتراء،فهذه العقد اضعفت الحزب بين صفوف حركة الثورة العالمية في الماضي،ودفعت بعض

اعضائه الى اتخاذ مواقف ذيلية فكرية وسياسية،تجاه بعض الاحداث والتجارب والحركات والاتجاهات التقدمية الدولية.

لقد اجتاز الحزب تلك المرحلة السلبية،،وعليه ان يغادر نهائيا ويشرع بمرحلة جديدة،يؤكد فيها موقفه الفكري والعملي المتميز في حركة الثورة العالمية،،ويحتل دورا بارزا في هذه الحركة،وبخاصة في العالم الثالث،الذي يناضل من اجل الاستقلال والوحدة القومية والتقدم.

ان عقيدتنا،وتجربتنا الغنية ليست ضرورية لحركة الثورة العربية فحسب،، وانما هي ضرورة لنضال العالم الثالث ايضا.صحيح ان حزبنا ليس حركة عالمية،بمعنى انه لا يستهدف الانتشار التنظيمي خارج الوطن العربي،ولكنه حرك عالمية،بمعنى انه صاحب عقيدة قومية انسانية،وهو جزء نشيط من حركة الثورة العالمية،ويعبر تعبيرا علميا وثوريا خلاقا عن الطموح القومي والثوري والتقدمي لشعوب العالم الثالث،،ويجب ان يحتل المكانة التي تليق به في حركة الثورة العالمية،وان تستفيد من تجربته وتستلهمها شعوب العالم الثالث،والشعوب الاخرى في نضالها من اجل الحرية،وتعزيز الشخصية القومية والتقدم،،ومن اجل اقامة علاقات انسانية حرة ومتكافئة بين شعوب العالم.كما ان الحزب يؤمن بتأدية واجباته الانسانية في مساندة نضال شعوب العالم من اجل التحرر من الاستعمار وكل اشكال القهر والعدوان والتمييز العنصري والتخلف،وعليه ان ينشط على اوسع نطاق من اجل تأدية هذه المهمة.

وتحقيق هذه الاهداف يتطلب منا العمل في المرحلة المقبلة،وفق الاتجاهات التالية:

(١)النشاط الفكري والثقافي والاعلامي:

ان ظروف الحزب وامكاناته،في السابق،قد حالت بينه وبين ان ينشط على نطاق واسع في صفوف القوى التقدمية العالمية،في الميادين الفكرية والثقافيةوالاعلامية،،وبعد تطور اوضاعه وتطور تجربته الثورية في القطر العراقي ووسائلها،بدأ الحزب ينشط نشاطا متصاعدا،ولو ببطء نسبيا،في هذا الاتجاه،وقد تحققت خلال المرحلة السابقة خطوات ملموسة،ولكنها ماتزال دون المستوى المطلوب،والموقع الجديد،والمهمات الجديدة للحزب..واستئناف الحزب دوره الطليعي فيحركة الثورة العربية،وضرورة تاكيد موقعه المتميز والفعال في حركة الثورة العالمية،ويتطلبان نشاطا فكريا وثقافيا واعلاميا،واسع النطاق،على الصعيد الدولي،بهدف التعريف بعقيدة الحزب واتجاهاته الاساسية،وبتجربته الثورية في القطر العراقي،وبنضاله في الساحة العربية،،ويتطلب

ذلك تعزيز اجهزة الحزب والدولة المعنية بهذا النشاط،وتوسيع حركة النشر والوسائل الاعلامية الموجهة الى العالم الخارجي،والمشاركة الفعالة في الانشطة والمؤسسات الفكرية والثقافية والاعلامية الدولية،وتعزيز الصلات مع المؤسسات والمراكز الفكرية والثقافية والاعلامية،التي تساعد هذا الهدف.

(٢)العلاقات مع القوى التقدمية العالمية:

لقد تطورت علاقات الحزب مع مختلف القوى التقدمية العالمية،خلال السنوات السابقة، واصبح الحزب وتجربته الثورية،موضع اهتمام كثير من القوى التقدمية العالمية.

هذا الانجاز الايجابي الذي تحقق حتى الان،يجب ان ينتقل الى مستوى اكثر عمقا وتحديدا،فعلينا خلال المرحلة المقبلة،ان نحدد اولويات ومستويات علاقاتنا بالقوى التقدمية العالمية، وان نركز،بوجه خاص على تلك العلاقات التي تعزز موقع حزبنا في حركة الثورة العالمية،، وتعزز اتجاهاته الاساسية فيها.

فحزبنا وتجربته الثورية يجب ان يبرزا،خلال المرحلى المقبلة،كمركز استقطاب قوى لتلك القوى التقدمية العالمية،وبخاصة في بلدان العالم الثالث التي تجمعنا واياها،اكثر من غيرها، والاهداف المشتركة،،وفي الوقت نفسه،علينا ان نواصل المحافظة على علاقات الصداقة والتعاون مع كل القوى التقدمية العالمية،وعلى توسيعها.

وبرغم الخلافات التي تبرز بيننا وبين الاتحاد السوفييتي ومجموعة البلدان الاشتراكية حول قضايا عديدة،وبالدرجة الاولى حول القضية الفلسطينية،وقضية الوحدة العربية،فان خط الصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية،وعلى اسس الاستقلال الكامل، والارادة الحره،والشخصية القومية المتميزة،،يبقى خطا صحيحا وضروريا،،وعلينا ان نحافظ على علاقتنا الوثيقة مع الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية وان نطورها في كافة الميادين التي تخدم نضالنا القومي ومصالحنا القومية.

وهذه المسألة تبقى احدى المسائل الجوهرية في نضال حركة الثورة العربية،وعلينا ان نواصل تأكيدها،وتوضيحها والتصدي لاي اتجاه يسيء اليها،او يحرفها،سواء أتى من القوى الاستعمارية والرجعية والمشوشة،او من بعض القوى التقدمية،التي تسعى،بأشكال مختلفة،الى تحويل برنامج التحالف هذا الى مواقف ذيلية وتبعية او مؤقتة،وذات اهداف ونزعات انتهازية.

(٣) دعم حركات التحرر العالمية:

خلال المرحلة السابقة،قدم الحزب وثورته في القطر العراقي،الكثير من اشكال الدعم المادي والمعنوي لحركات التحرر العالمية المناضلة ضد الاستعمار والتمييز العنصري،،وهذا انجاز جيد.غير ان المرحلة المقبلة يجب ان تشهد بروز الحزب وثورته في القطر العراقي .كمركز اسناد نشيط لتلك القوى والحركات التي تجمعنا واياها الاهداف المشتركة،،ويعتبر ذلك من الشروط الاساسية في تعزيز مكانة الحزب بين صفوف حركة الثورة العربية والقوى التقدمية العلمية.

ان انتعاش الثورة العالمية من جهة،وتوطد مركز الحزب وتجربته الثورية في القطر العراقي فيها من جهة اخرى،يعززان امكانات انعاش حركة الثورة العربية،ويعززان دورها ودور حزبنا الطليعي فيها،فالتأثير بين هذيين الجانبين متبادل.

(٤)حركة عدم الانحياز:

لقد كان حزبنا من اول الحركات الثورية في العالم،التي دعت الى ضرورة الحياد الايجابي، وعدم الانحياز،وناضلت من اجل تثبيت هذاالخط في سياسة الانظمة العربية المحسوبة على الصف التقدمي،او التي اسهم الحزب فيها،او في دعمها خلال الخمسينات والستينات .ولكن الحزب لم تتيسر له،في السابق،فرصة التعبير المباشر والفعال عن موقعه من حركة عدم الانحياز،قبل تسلمه السلطة، لفترة مناسبة من الزمن،تمكنه من مواصلة النشاط في هذا الاتجاه،وتحقيق نتائج ملموسة.

ان وصول الحزب الى السلطة في القطر العراقي،قد وفر له الفرصة الجيدة لذلك،في السنوات القليلة الاخيرة،نشطت ثورة الحزب في ميدان حركة عدم الانحياز،نشاطا ملموسا.

غير اننا يجب ان نبذل جهدا استثنائيا،خلال المرحلة المقبلة بهذا الاتجاه،،فحركة عدم الانحياز،كانت دائما بحاجة الى مركز عربي نشيط،، وقد شكلت مصر ـ في عهد عبد الناصر ـ هذا المركز الذي حقق،في هذا الشأن،نتائج بارزة،، ثم انتقل هذا المركز في السبعينات الى الجزائر.

وتجربة الحزب الثورية،في القطر العراقي،مرشحة الان،لان تكون المركز العربي الاول في هذه الحركة،ومركزا دوليا بارزا فيها،وخاصة بعد ان تقرر عقد المؤتمر السابع لحركة عدم الانحياز،في بغداد،في عام ١٩٨٢.

ان نشاطا فكريا وسياسيا واعلاميا وتنظيميا،مركزا ومتواصلا،يجب ان يبذل في هذا الشان،لا لانجاح هذا المؤتمر فحسب، وانما لتحقيق الهدف الذي أشرنا اليه،قبل المؤتمر واثناء انعقاده،وبعده.

ان منهج عدم الانحياز هو،بالنسبة لنا،منهج مركزي،وعلينا ان نمنحه كل ما يستحق من الاهتمام والنشاط.

ج ـ استراتيجية العمل الحزبي

ان الحزب هو الاداة الثورية الطليعية التي تترتب عليها مسؤولية قيادة الجماهير، وحركتها الثورية المناضلة،باتجاه اهدافها التاريخية،في الوحدة والحرية والاشتراكية،، وهو المسؤول، بالدرجة الاولى، عن النضال من اجل تحقيق المهام التي تم تحديدها في هذا المؤتمر.

وهذه المسؤولية التاريخية تتطلب ان يكون الحزب قادرا على النهوض بها،من حيث الامكانات الفكرية والسياسية والتنظيمية،،ومن حيث صلته بالجماهير العربية،وقدرته على تعبئتها وقيادتها،وتحدد قدرة الحزب هذه بعاملين،،الاول هو الظروف الموضوعية،المحلية والعربية والدولية المحيطة بنضاله وحركته،والثاني هو العامل الذاتي.

ان اهمية الظروف الموضوعية المشار اليها،سواء من حيث تأثيرها السلبي والايجابي على نضال الحزب وحركته،أمر لا جدال فيه،،غير ان العامل الذاتي يبقى هو العامل الاساس،وليس هذا مجرد استنتاج نظري عابر،،بل هو حصيلة تجربة طويلة وغنية،امتدت عبر اكثر من ثلاثة عقود من الزمن،وفي مواقع عديدة من الساحة العربية،،فالحزب،عندما يكون موحدا،وقويا،ونشيطا،يستطيع ان يناضل ويتحرك،ويتقدم الى الامام،حتى ولو كانت الظروف الموضوعية ــ قطريا وعربيا ودوليا ــ صعبة وحالكة. اما عندما لا تتوفر فيه المقومات الذاتية،فانه يعجز عن تحقيق أي تقدم، حتى ولو كانت الظروف الموضوعية مواتية من اغلب الوجوه.

ولعل تجربة فرع الحزب،في القطر العراقي،تقدم لنا دليلا واضحا على ذلك،،فلقد استطاع الحزب،في عام ١٩٦٣،في ظروف صعبة،ان يقوم بثورة مجيدة ضد نظام دكتاتوري عات،لانه يمتلك مقومات ذاتية جيدة،، ولكنه،،عندما اهمل عناصر قوته الذاتية، بعد الثورة وعرضها للضعف والتفتت،استطاعت ان تتآمر عليه وتضربه قوى معادية،كانت اضعف منه،واقل شأنا في الحياة السياسية في القطر.اما في عام ١٩٦٨ – برغم الظروف الصعبة،وشدة المؤمرات والاشراك الاستعمارية والرجعيةالتي احاطت بثورته – فقد استطاع، بما تميز به من خصائص ذاتية،ان يحافظ على الثورة،وان يطورها،ويجعلها تجربة ثورية متقدمة باتت تشكل، اليوم،القاعدة الحقيقية له ولحركة الثورة العربية.

ان المهام القومية الجسيمة التي تنتظرنا،خلال المرحلة المقبلة،، واستئناف الحزب لدوره الطليعي في حركة الثورة العربية،،تتطلب تقوية اوضاع الحزب الذاتية،في كافة الجوانب:الفكرية والسياسية والتنظيمية، وتطوير قدرته على تعبئة الجماهير وقيادتها،كما تتطلب معالجة القضايا والمشكلات النظرية والسياسية والتنظيمية،التي تعترض تطوره،وتبرز امامه، اليوم،او في المستقبل.

ان مؤتمرنا مطالب بانجاز هذه المهمة التاريخية،،وبأن يفتح آفاقا جديدة في حياة الحزب وتطوره،،ويضع له برنامجا للعمل،يتناسب مع قدراته الفعلية،،ومع دوره التاريخي.

(١)قضية ألعلاقة بين الحزب والسلطة الثورية:

ان قضية العلاقة بين الحزب الثوري،وبين مؤسسة السلطة السياسية التي يقودها،هي من القضايا المركزية التي تواجه كل الاحزاب الثورية في العالم،وتتخذ هذه القضية،في حزبنا،وضعا خاصا،بل فريدا من نوعه.

فحزب البعث العربي الاشتراكي – بحكم ظروفه وخصائصه المتميزة بحكم الظروف والخصائص المتميزة لحركة الثورة العربية يواجه – في وقت واحد،وبشكل متشابك – كل التبعات الناشئة عن تسلمه السلطة السياسية،في اطار الدولة القطرية،التي تحكمها ظروف واعتبارات سياسية ودستورية،كأي دولة في العالم،،كما يواجه كل التبعات الناشئة عن كونه حزبا قومي العقيدة والتكوين،ومنتشرا في كل الساحة العربية، ويناضل يوميا، وفي اطار تنظيم موحد،في هذه الساحة،من اجل تحقيق اهدافه،في الوحدة والحرية والاشتراكية .

لذلك فانه يواجه مسألة العلاقة بينه وبين السلطة التي يقودها في جانبين: جانب يتصل بعلاقة منظمة الحزب بالسلطة التي تقودها، وفي اطار القضايا والمشكلات القطرية،، وجانب آخر يتصل بعلاقة الحزب كمؤسسة قومية (القيادة القومية وفروعالحزب في الاقطارالعربية). بالقيادة القطرية لفرع الحزب الذي يتسلم السلطة السياسية،وبهذه السلطة.

وبالنسبة للجانب الاول من المسألة،فقد واجه فرع الحزب في القطر العراقي ـ منذ تسلمه السلطة السياسية في تموز ١٩٦٨ حتى اليوم ـ كافة القضايا والمشكلات الناشئة عن علاقته بمؤسسة السلطة التي يقودها، واكتسب خبرة غنية في التعامل مع تلك القضايا والمشكلات،وفي تنظيم العلاقة بين حركته،كمؤسسة شعبية وثورية،وبين حركة السلطة التي يقودها،وبالرغم من ان الحزب لم يتوصل الى الصيغ الفكرية والعملية النهائية، والتفصيلية الخاصة بكل جوانب هذه المسألة،الا انه استطاع ان يحقق حتى الان،موازنة جيدة في معالجتها،،فقد استطاع ان يجعل من قيادته للسلطة السياسية،بكافة فروعها واجهزتها،مسألة محسومة،،كما استطاع،ان يعزز مواقعه بين صفوف الجماهير،ويكون القائد الحقيقي لها،واستطاعت السلطة السياسية ان تمارس واجباتها بشكل مناسب،،وقد تناول التقرير السياسي،الصادر عن المؤتمر القطري الثامن لفرع الحزب في القطر العراقي، هذه المسألة،،وباستطاعة فرع الحزب،في القطر العراقي،ان يواصل هذا الجهد، حتى يتمكن من الوصول الى كافة الصيغ التفصيلية،من خلال ما يكتسبه من خبرات جديدة، وعبر مسيرة تطور الثورة.

اما بالنسبة للجانب الثاني من المسألة،فقد اكتسب،ايضا،الكثير من الخبرات في كيفية تنظيم العلاقة بينه، كمؤسسة قومية،،وبين فرع الحزب في القطر العراقي،والسلطة الثورية في هذا القطر،، واستطاع ان يضع حلولا ومعالجات لبعض القضايا والمشاكل،الناتجة عن هذه العلاقة،، غير ان هذه القضايا والمشكلات لم تدرس،حتى الان،دراسة شاملة ووافية، وكان اغلب تلك الحلول والمعالجات جزئيا وآنيا،الامر الذي يتطلب دراستها،دراسة صريحة وعميقة،ووضع المعالجات الحزبية الصائبة لها.

أ ــ مسالة تسلم الحزب السلطة السياسية وتجربة الحزب في القطر العراقي:

ان بلوغ الحزب الثوري السلطة ضرورة حاسمة،ولكنه ليس هدفا بحد ذاته،وانما هو الوسيلة الاكثر فعالية،التي تمكنه من وضع افكاره واهدافه وشعاراته موضع التطبيق،، وعندما يفشل الحزب الثوري نهائيا،في تسلم السلطة السياسية،فانه يبقى مجرد حركة فكرية او سياسية، وقد يتعرض للتحلل والزوال.

ولا يختلف أي حزب سياسي،سواء كان ثوريا،او رجعيا،او وسطيا، حول اهمية الوصول الى السلطة،غير ان الاحزاب العقائدية الثورية مثل حزبنا،تتعامل مع هذه المسألة تعاملا خاصا،،ففي الوقت الذي تضع الاحزاب الرجعية والوسطية هدف بلوغ السلطة فوق كل اعتبار آخر،ولا تهتم بالموازنة بين ما كانت تعلنه من اهداف وبرامج وشعارات،قبل تسلمها السلطة وبين قدرتها على التطبيق والانجاز،بعد تسلمها،،تحتل هذه المسألة، في الحزب العقائدي،مرتبة عالية من الاهمية والحساسية.فالحزب العقائدي الجاد والناضج يحرص على معرفة ما اذا كانت اوضاعه وقدراته الذاتية،والظروف الموضوعية المحيطة به، تمكنه، فعلا، من وضع افكاره واهدافه وشعاراته، موضع التطبيق،عندما تتوفر له فرص تسلم السلطة السياسية.وفي احيان كثيرة عزفت بعض الاحزاب العقائدية،ومنها حزبنا عن تسلم السلطة السياسية،او المشاركة فيها،بشكل او بآخر،عندما وجدت ان اوضاعها الذاتية،او الظروف الموضوعية،او كلتيهما،لا تمكنها من تحقيق اهدافها،او جزء مهم منها من خلال ذلك،،وفضلت مواصلة النضال لحين توفر الظروف الذاتية والموضوعية المناسبة.

وقد احتلت مسألة تسلم السلطة السياسية،او المشاركة فيها،اهمية خاصة في حركة الثورة العربية،وفي حزبنا ايضا.

فقد شهدت بلادنا العربية ــ عبر العقود الماضية ــكثيرا من الاحزاب والحركات السياسية التي كانت تتحدث،بصوت عال،عن المبادئ،والتي رفعت الشعارات الوطنية والقومية،ولكن اغلبها كان يتخلى عن مبادئه ويتنكر لشعاراته،،بل ينتقل الى الصف المعادي،عندما تتوفر له فرصة تسلم السلطة او المشاركة فيها، مما ادى الى نشوء ازمة اخلاقية حادة، حول مسألة تسلم السلطة في الحياة السياسية العربية،،وهي ازمة كثيرا ما نبه اليها حزبنا،وركز عليها،وبخاصة في الاربعينات والخمسينات.

واضافة الى التجربة القومية العامة،فان حزبنا نفسه خاض،في هذا الشـــان تجـارب غـير موفقة.

فحتى تسلمه السلطة السياسية في العراق،عام ١٩٦٨،لم تكن قد توفرت للحـــزب الفرصـة الحقيقية والمتكاملة لبلوغ السلطة السياسية، وقيادتها بالشكل الذي يعـــبر،فعـلا،عـن عقيدتـه واخلاقيته وشعاراته.فتجربته،في المشاركة في السلطة في سورية قبل الوحدة،كانت ناقصة،ولـم تكن القيادة بيده،وكذلك الامر اثناء تجربة الوحدة.وفي التجربة القصيرة التي خاضها الحزب فـي العراق في عام ١٩٦٣،وقعت ثورته في اخطاء وانحرافات عديدة انعكست عليه، وعلى سـمعته ومكانته، مما زاد من تعقيد هذه المسألة، ثم بلغت المسألة مرتبة في غاية الخطورة،في تجربـة الحزب المريرة في سورية،بين ٨ آذار ١٩٦٣،و٢٣ شباط ١٩٦٦.فالسلطة التـي قـامت فـي سورية،في تلك الفترة،وحسبت على الحزب،كانت تحتوي على تكتلات واجنحة منحرفة،بل كـان البعض منها مشبوها،وكانت،خلال تلك الفترة،تتبع شتى الوسائل المنحرفة واللااخلاقيـة للتسـلط على الحزب وتشويه مبادئه واخلاقيته،بأسمه وتحت لوائه،وتشييع اساليب التكتـلات الانتهازيـة والعلائق الطائفية،،مما اساء الى عقيدة الحزب واخلاقيته وسمعته ومكانته بين الجماهير.

وقد عانت المؤسسة القومية ــ وبخاصة القيادة القومية ــ معاناة مريرة ومباشرة من هـذه المسألة في السابق.وبرغم استبشارها بقيام ثورة ١٧ تموز، في القطر العراقي،وتقديرهـا لمـا تمثله من نهضة في اوضاع الحزب، ومعرفتها للخصائل الحزبية النضالية لمنظمة الحـزب فـي القطر العراقي، فان المؤسسة القومية كانت،بعد الثورة،ولمرحلة غير قصيرة من الزمن، تشـعر بالقلق الشديد من هذه التجربة الجديدة،وتخشى عليها من التعرض للاخطاء، والظروف التي وقع فيها الحزب في السابق.

وقد تطلب الامر سنوات صمدت فيها الثورة،وتطورت ــ كثورة بعثية اصيلة ــ حتـى زال القلق والخوف،وتضاءلت تلك العقدة التاريخية،وصار الحزب كله،،بمؤسسته القطرية في القطـر العراقي،يشعر بالاطمئنان،لاعلى ثبات سلطته التي حققها في تموز ١٩٦٨ فحسب، وانمـا علـى هويتها البعثية، ودوام تطورها وفق مبادئ الحزب واهدافه التاريخية.

وقد شهد المرحلة الانتقالية تلك،كثيرا من التصرفات والتصورات الخاطئة،التي اضرت بوحدة الحزب ومسيرته وتطوره،،وهو ما سبق ان تطرقنا اليه في الجزء الاول،من هذا التقرير.

وبرغم ان الحزب قد اجتاز،الى حد كبير،هذه الظروف السلبية،الا ان من الضروري تحديد مقياس واضح في كيفية تعامله مع تجربته الثورية في القطر العراقي.

ان تجربته الثورية التي يقودها الحزب في العراق،هي تعبير عملي، مخلص عن مبادئه ونهجه واخلاقيته،فهي اذن نموذجه الذي يصنعه، بعد نضال دام عشرات من السنين،وهي قاعدته التي توفر له الاسناد المعنوي والمادي،في نضاله في الساحة العربية،،وهي بذلك، ليست ملكا للبعثيين في العراق حسب،وانما هي ملك لكل البعثيين،،كما هي ملك لكل الجماهير العربية المناضلة،المؤمنة بالوحدة والحريةوالاشتراكية.

وصفة السلطة الثورية التي يقودها الحزب،في القطر العراقي هذه،والتي لم تتوفر لاية سلطة شارك فيها الحزب،او حسبت عليه من قبل،،بل لم تتوفر للامة العربية،منذ سقوط دولتها القومية، قبل قرون عديدة،تفترض منهجا مبدئيا وعمليا في التعامل معها،من جانب كل البعثيين،ومن جانب كل الثوريين العرب المؤمنين باهداف الثورة العربية،في الوحدة والحرية والاشتراكية.

فهؤلاء جميعا مطالبون،وكل من موقعه وباساليبه الخاصة،كواجب حزبي وقومي اساسي،بالحرص الشديد على تجربة الحزب الثورية في القطر العراقي وبالدفاع الباسل عنها،ونشر منجزاتها بين صفوف الجماهير وتفسير حركتها لها،،ولا يجوز ان يتم ذلك،عندماتحقق قاعدة الحزب المنجزات الثورية الباهرة والواضحة فحسب،وانما يجب ان يتم ذلك في كل الظروف والاحوال،مادامت هذه القاعدة تتحرك وفق مبادئ الحزب وارادته، ووفق الخط الستراتيجي لمؤامراته الحزبية المسؤولة.

ومن الناحية الاخرى،فان لكل مناضلي الحزب،الحق في متابعة تطور هذه القاعدة،ونقد الظواهر السلبية التي برز في حركتها.فالحزب يعتبر ذلك مهمة اساسية من مهمات مناضليه في القطر العراقي، ومن الطبيعي ان يعتبرها مهمة اساسية من مهمات مناضلي الحزب في كل مكان،، ولكن يجب ان يتم وفق الاسس والتقاليد الحزبية المشروعة،،وفي اطار الحرص على التجربة والدفاع عنها.ويمتلك هذا الحق،ايضا،الثوريون العرب في كل مكان،الذين ينظرون الى قاعدة الحزب كأمل،وكمركز اسناد لنضالهم.

ان المؤتمر القومي الحادي عشر،يثمن،عاليا التقرير السياسي،الذي اصدره المؤتمر القطوي الثامن،لفرع الحزب في القطر العراقي في عام ١٩٧٤،، ويدعو قيادة الحزب ومناضليه، في القطر العراقي، الى التطبيق الثوري والخلاق لما جاء فيه من برامج واهداف،خلال ما تبقى من

المرحلة التي حددها التقرير حتى المؤتمر القطري التاسع،،فتطبيق مقررات المؤتمـــر القطـــري الثامن يعزز تجربة الحزب الثورية في القطر العراقي،ويزيدها نضجـــا وتطـــورا،،ويرفـــع مـــن مكانتها،كنموذج لتجربة حزب البعث العربي الاشتراكي،وكقاعدة قوية ومتطورة لحركة الثـــورة العربية.

ب ــ تأثير السلطة في القطر العراقي على حركته في الساحة العربية:

ان تسلم الحزب السلطة السياسية في القطر العراقي،ونجاحه في تحقيق منجـــزات ثوريـــة عظيمة، وفي تحويل القطر العراقي الى قاعدة ثورية محررة في الوطن العربي،هو انتصار كبـــير له، وقفزة نوعية في مسيرته الثورية. وقد وفر له ذلك،عبر الســـنوات الماضيـــة، قـــوة ماديـــة ومعنوية ضخمة،في نضاله من اجل اهدافه الثورية،في كل الساحة القومية،غير ان ذلك قد خلـــق ــ في الوقت نفسه ــ ظروفا جديدة،يجدر بنا تشخيصها ودراستها،وايجاد الحلول المناســـبة لمـــا تطرحه من مصاعب ومشكلات.

فتسلم الحزب السلطة السياسية،في القطر العراقي لفترة طويلة من الزمن،وتحقيقه المنجزات التاريخية المذكورة،،ووضوح نهجه على الصعيد الداخلي وعلى الصعيد العربي والدولي،قد جعلـــه (معروفا ومكشوفا)اكثر من ذي قبل.

وهناك حقيقة موضوعية،هي ان أي حزب ثوري ــ برغم انتشار مبادئه وبرامجه السياســـية ــ لايمكن معرفة هويته ونواياه،على وجه دقيق وكامل الا اذا تسلم السلطة السياســـيـــة، وباشـــر تطبيق مبادئه وشعاراته على ارض الواقع ولفترة كافية من الزمن.

وتنطبق هذه الحقيقة على حزبنا،كما تنطبق على غيره من الاحزاب والحركـــات الثوريـــة،، يضاف الى ذلك ان حزبنا واجه،في هذا الشأن وضعا معقدا خاصا.فلقد سبق للحزب ان مـــارس السلطات السياسية مرات عديدة، ومنذ وقت طويل،وبأشكال وظـــروف مختلفـــة،قبـــل ان يتســـلم السلطة السياسية بصورة كاملة ومستمرة،في القطر العراقي،بعد ثورة ١٧ــ٣٠ تموز ١٩٦٨.

واذا كانت تلك الممارسات قد جعلت الحـــزب معروفـــا علـــى نطـــاق واســـع فـــي الوطـــن العربي،وعلى الصعيد الدولي،فانها قد خلقت كما اشرنا فـــي الفصـــول الســـابقة،حـــول هويتـــه ونواياه،حالة معقدة جدا من الالتباس،وذلك بسبب ظروف تطوره الخاصة،وبسبب الظروف المعقدة التي رافقت تلك الممارسات،وما اصابه فيها من اخفاقات،وما لحق به،من خلالها، وحسب عليـــه

من اخطاء وانحرافات اثناء ممارسته السلطة في العراقي،بعد ٨ شباط ١٩٦٣،وفي سورية بين ٨ آذار ١٩٦٣و ٢٣ شباط ١٩٦٦.كما كان قيام الحكم المشبوه،بعد ٢٣ شباط ١٩٦٦،والذي حمـل اسم الحزب، وتصرف بأسمه،من اهم هذه العوامل التي اساءت الـــى الحـزب وخلقـت حولـه الالتباس،،وهذا ما جعـل تسـلمه السـلطة السياسـية بعـد ثـورة ١٧ ـ ٣٠ تمـوز ١٩٦٨،الفرصة التاريخية الاولى والكاملة،منذ نشوئه،للتعبير عن حقيقة هويته ونواياه. وهذا مـا قصدناه،عندما قلنا انه اصبح،بعد ثورة ١٧ــ٣٠ تموز (معروفا ومكشوفا) اكـثر مـن ذي قبل.

وعندما اصبحت هوية حزبنا ونواياه معروفة ومكشوفة ـ اكثر من ذي قبل ـ بعد تســلمه السلطة السياسية،وتطبيقه مبادئه وبرامجه ـ تحققت،من ذلك،نتائج ايجابية،منها تعزيز الالتفـاف حوله،من جانب الطبقات والفئات الاجتماعية ذات المصلحة في مبادئه وبرامجه،وتكـون وتعـزز تحالفات له، على الاصعدة،المحلية والخارجية،وغيرها من النتائج الايجابية.

غير ان للامر وجهه الآخر..

فالقوى الاستعمارية والرجعيــة،وقـوى سياســية اخـرى،عربيـة واجنبيـة، ذات الـوان متعددة،والتي لم تكن تعرف في الماضي،على وجه دقيق تماما ولجميــع الاسـباب التــي سـبق الاشارة اليها،نوايا حزبنا الفعلية والمسار العملي الذي يتخذه،عندما يتسلم الســلطة السياســية، باتت،برغم ثبات موقفها الجوهري،او موقف غالبيتها منه،تنظر اليه وتتعامل معه على الصعيــد الواقعي والتفصيلي ـ وهذا مهم جدا ـ بشكل مختلف تماما عن السابق،بعد قيام ثـورة ١٧ــ٣٠ تموز ١٩٦٨،واسفاره عن كامل هويته ونواياه،عبر المنهج والمنجـزات التـي حققـها خـلال السنوات الماضية.فلقد باتت،اليوم، تشدد كثيرا،وكل من مواقعه واتجاهاته،من حذرها تجاه حركته في الساحة العربية،كما باتت تعد لمواجهته امكانات واحتياطات اكبر،بكثير،من السابق.

ويستطيع فرع الحزب في القطر العراقي مواجهة هذا التطور في مواقف تلك القـوى منـه، بصورة مباشرة وسريعة،مستندا في ذلك على المواقع والامكانات المضافة،التي وفرتها له الثورة ومنجزاتها،ووسائل السلطة التي يقودها.اما المؤسسة القوميــة فـان بامكانــها مواجهــة هـذا التطور،اذا ما استطاعت ان تستثمر ـ على وجه سليم وفعال ـ المواقع والامكانـــات المضافـة المادية والمعنوية،التي وفرها تسلم الحزب السلطة في القطر العراقي،ولكن استفادتها مـن تلـك

المواقع والامكانات لا يمكن ان تكون دائما،مباشرة وسريعة،كما هي الحال بالنسبة لفرع الحزب في القطر العراقي.

ان فروع الحزب في الاقطار العربية ــ برغم ما وفرته لها ثورة ١٧ــ٣٠ تموز ومنجزاته من مواقع وامكانات مادية ومعنوية مضافة ــ قد واجهت خلال السنوات الماضية، وستواجه ظروفا صعبة ودقيقة،وهي تواصل حركتها ضمن اقطارها.

فالانظمة العربية لم تعد تنظر اليها على انها مجموعات من الشباب الثوري، او على انها تشكيلات سياسية لا تهددها تهديدا حقيقيا ومباشرا، وانما باتت تنظر اليها،للاسباب المذكورة،على انها خطر جدي يتهددها،، كما ان القوى والاحزاب السياسية العربيةــ على اختلاف اتجاهاتها ــ لم تعد تتعامل مع فروع الحزب وكأنهم خصم، او حليف قليل الشأن، وانما كخصم، او حليف مهم، ومرشح لتسلم السلطة.

ويمكن القول بان الحزب الذي كان يثير،في الخمسينات وبداية الستينات،مخاوف القوى الاستعمارية والرجعية،والذي فقد بعد ما اصابه من ضربات وانشقاقات عديدة قوته هذه،قد استعاد، بعد تسلمه السلطة السياسية في القطر العراقي،هذه المكانة،وعلى مستوى اكثر اهمية ودقة من السابق.

ومن جانب آخر،فان البناء الاشتراكي الشامل،الذي قاده الحزب في القطر العراقي، بعد الثورة،والذي يواصله عبر مسيرة تطورها،قد انعكس،وسينعكس في المستقبل،بآثاره الايجابية،على اوضاع فروع الحزب في الاقطار العربية وحركتها،،فهو سيعزز مواقع هذه الفروع بين صفوف الطبقات والفئات الاجتماعية،ذات المصلحة الحاسمة في الاشتراكية،غير ان ذلك سيؤدي الى تضييق حركتها بين الصفوف الفئات الاجتماعية الوسطية،،التي يمكن ان تشكل ــ في بعض المراحل،وبخاصة قبل تسلم السلطة ــ وسطا حليفا،كما سيؤدي الى تعقيد علاقاتها بها.

واذا اخذنا هذه الحقائق بعين الاعتبار،فان الصيغ والتكتيكات التي اعتمدها الحزب،في القطر العراقي،في التمهيد للثورة وتسلم السلطة السياسية فروع الحزب في القطار العربية الاخرى، تكرارها،وان هي بقيت ــ ضمن السياق العام ــ تجربة ثورية فذة،يتحتم على تلك الفروع الاستفادة من مضامينها الجوهرية في شق طريقها باتجاه التغيير الثوري.

ومن الضروري ان تدرس القيادة باستمرار الوسائل التي قد تلجأ اليها القوى الاستعمارية والرجعية في مواجهة حركة الحزب في الساحة العربية،في محاولة التآمر على ثورته في القطر

العراقي او اضعافها،ومنع تكرار ما وقع في العراق،في قطر عربي آخر، وعلينا ان نأخذ بالاعتبار ان الخصوم قد يغيرون من وسائلهم مع تغير الظروف وموازين القوى.ان معرفة وسائل الخصوم في وقت مبكر مسألة في غاية الاهمية،لانها تمكننا من مجابهتهم ومن ابتكار السبل الفعالة للمضي في نضالنا الى امام.

وتتطلب الظروف الجديدة التي يواجهها الحزب،للاسباب التي ذكرناها،اساليب وتكتيكات وتحالفات جديدة تتلائم مع هذه الظروف،ومع ظروف كل فرع من فروع الحزب في الاقطار العربية.

ولايمكن،في هذا المؤتمر،وضع صيغ واساليب وتكتيكات وتحالفات محددة ونهائية،لكل قطر من الاقطار،فهذه عملية في غاية التعقيد والتشعب وترتبط بعناصر عديدة،لايمكن تحديدها سلفا.

ولكن من الضروري تأكيد هذه المسألة في المؤتمر،وتكليف القيادة القومية بانجازها على وجه دقيق،على ان يجري ذلك بالتشاور مع الفروع المعنية.

ويتطلب انجاز هذه المهمة،وضبطها وتطبيق الصيغ والاساليب والتكتيكات والتحالفات الجديدة،ثقة عالية بين الفروع والقيادة،وتنسيقا دقيقا بينهما.

ومن الضروري ان نضع،في الحسبان،انه ـ حتى هذه الصيغ والاساليب والتكتيكات والتحالفات الجديدة، التي يتم تحديدها واتباعها،في وقت ما ـ قد تتعرض،لسبب او لآخر الى الكشف،،مما يتطلب اعادة النظر فيها بسرعة،،كما يجب لن نضع، في الحسبان،التطورات في الاوضاع العربية والدولية،والمفاجآت التي تستلزم صيغا واساليب وتكتيكات وتحالفات متلائمة معها،،وهذا يستلزم مرونة كبيرة،وقدرة عالية على مواجهة أي ظرف جديد.

ان كل ذلك يتطلب التشديد على الانضباط الحزبي وعلى السرية في العمل، كما يستوجب استئصال ظواهر الكشف والثرثرة والاتصالات الجانبية، والتصرفات غير المسؤولة،التي راجت،خلال الفترة الماضية، والتي ما تزال بعض اثارها باقية حتى اليوم. فالحزب لا يستطيع ان يشق طريقه في الظروف الصعبة الجديدة،وفي اطار حذر الانظمة العربية الشديد منه،ومعاينة القوى الدولية الدقيقة لحركته، اذا ما استمرت هذه الامراض والظواهر،التي كان لها اثر بليغ في تعطيل حركته،خلال السنوات الماضية، وفي تعرضه الى الخسائر الجسيمة.وفي هذا الشأن،من الضروري العودة الى تجربة الحزب في القطر العراقي، في كيفية صناعة عملية الثورة التي شرحها التقرير السياسي الصادر عن مؤتمر القطري الثامن،فلو لم يتوفر، في الحزب

انذاك،الانضباط الشديد،والثقة العالية بالقيادة،والالتزام الثوري الحازم بتعليماتها وقراراتـــها،مـــا امكن تحقيق عملية الثورة بالشكل الذي تمت فيه،ولربما كان على الحزب ان يقدم خسائر باهظـــة جدا في حينه.

ج ــ العلاقة بين المؤسسة القومية وبين سلطة الحزب في القطر العراقي:

ان علاقة المؤسسة القومية بالسلطة السياسية التي يقودهـــا فـــرع الحـــزب،فـــي القطـــر العراقي،تنطوي على جانبين:اولهما يتعلق بالتنسيق بين حركة الحزب في الساحة العربية، وبيـــن حركة سلطته الثورية،التي تحكمها اعتبارات سياسية ودستورية، والثاني،هو تنظيم العلاقة بيـــن اعلى سلطة في المؤسسة القومية ــ وهي القيادة القومية ــ،، وبين فرع الحـــزب فـــي القطـــر العراقي والسلطة السياسة التي يقودها.

وبالنسبة للجانب الاول فقد نشأت،خلال المرحلة السابقة،وبخاصة في السنوات الاولى بعـــد الثورة، تصورات عديدة خاطئة، نتجت عنها مشاكل عديدة،اضرت بحركة الحـــزب فـــي الســـاحة العربية،كما اضرب بحركة سلطته الثورية في القطر العراقي.

ان الهدف الذي يسعى اليه الحزب،ويحرص عليه حرصا شديدا،هو حماية ســـلطة الحـــزب الثورية، في القطر العراقي،وتوفير السبل الملائمة لحركتها وتطورها، وفي الوقت نفسه ضمـــان استمرار وتصاعد وتطور حركة الحزب في الساحة العربية،لتثويـــر الاوضـــاع فيـــها،وتحقيـــق التغييرات المكنة في اطار المرحلة،وعلى طريق اهداف الحزب التاريخية.

ان أي خلل في هذه المعادلة يضر بالحزب وبقضيته.

وكما اشرنا،فان المرحلة السابقة،شهدت في بعض الاحيان،تصورات وتصرفات خاطئة،حـــول كيفية تحقيق هذه المعادلة،،فلقد تولدت،لدى بعض الرفاق،تصورات خاطئة لمسألة(وضع امكانـــات السلطة في خدمة حركة الحزب في الساحة العربية)،وظنوا بان ذلك يجـــب ان يتـــم،فـــي جميـــع الاحوال بصورة مباشرة وآلية،دون ان يأخذوا في الاعتبار طبيعة اوضـــاع الســـلطة ومتطلبـــات حركتها،والظروف والقيود السياسية والدستورية لتي تحيط بها.

ومن ناحية اخرى،فان اوضاع فروع الحزب في الاقطار،لم تكن تـــدرس،دائمـــا، دراســـة دقيقة،ولم تدرس،ايضا،بهذا المستوى ظروف كل فرع،ومســـتلزمات حركتـــه،،فكـــانت تحـــدث

مبالغات،احيانا،في تقدير التأثيرات السلبية لحركة هذا الفرع او ذاك، على اوضاع سلطة الحـــزب في القطر العراقي .

كمـا نشـأت خـلال المرحلـــة الماضيـــة، تصـــورات خاطئـــة عـــن مســـألة (تميز الحزب عن السلطة).

ان تميز الحزب عن السلطة أمر طبيعي،ومن الضروري ان يوازن الحـــزب الثـوري بيـن ظروف ومتطلبات وطبيعة حركته،كمؤسسة شعبية، وبين طبيعة حركة السلطة،كمؤسسة حكوميـة ودستورية،، ولكن التفسيرات الخاطئة ادت في بعض الاحيان،خلال الفترة الماضية، الى التنصـل من جانب بعض الحزبيين، من السلطة التي يقودها حزبهم،وبخاصة في الاوقات الصعبة والدقيقـة التي لا تكون فيها سلطة الحزب قادرة على تحقيق انجازات ثورية باهرة،او عندما تضطر الـى اتباع تكتيكات معنية،لتجاوز ظروف صعبة،كما ادت الى نوع مـــن التنــاقض،او التبــاين غـير المخطط،بين حركة بعض فروع الحزب وحركة سلطة الحزب الثورية.

ومن ناحية اخرى،فان بعض الرفاق كانوا يبالغون في مطالبة فروع الحزب باداء التزاماتـها تجاه ثورة الحزب في القطر العراقي،ويبالغون في التشديد علـــى التنســيق بيـن حركـة تلـك الفروع،وحركة سلطة الحزب الثورية.

ولم يبذل، خلال المرحلة السابقة،جهد نظري وعملي كاف،لتأشير الحدود التفصيلية،وطبقـا لكل حالة،للتميز بين حركة الحزب،وحركة السلطة،وقـــد ادى ذلـك،وبخاصــة فــي الســنوات الاخيرة،الى قدر من تجميد حركة الحزب، في بعض المواقع في الساحة العربية.

ان تسلم الحزب في القطر العراقي يوفر امكانات ووسائل كبيرة وجديدة للعمل،وعلى القيــادة القومية ـ وبالتنسيق مع قيادة الحزب القطرية في القطر العراقي ـ ان تعمل على ابتكار الصيـغ الجديدة والذكية،لوضع امكانات السلطة ووسائلها في خدمة الحزب في الســاحة القوميــة، دون الاخلال بالحد المطلوب من مراعاة الاشتراطات السياسية والدستورية،التي تحيط باوضاع مؤسسة السلطة،،ويتطلب ذلك التنسيق العام والتفصيلي،بين حركة المؤسسة القومية، وبين حركة السلطة التي يقودها الحزب في القطر العراقي.

ومن البديهيات ان هناك تميزا بين حركة الحزب وحركة السلطة، كمؤسستين مختلفتين فــي الطبيعة والوظائف والظروف المحيطة.والحزب الثوري يحرص حرصا شديدا وواعيا على توفـير مستلزمات نمو وفعالية كلتا الحركتين، لانهما ضروريتان ومتلازمتان، وتقفان في حســابات

النتائج التي تحققانها ضمن السياق العام.وعلى هذا الاساس،فأن التميز لا يعني ــ على الاطلاق ــ التناقض،او الاختلاف في النتائج النهائيـــة،ولابـــد مـــن ايجـــاد الصيـــغ المناســـبة، ولكـــل حالة،للمحافظة على تميز الحركتين،وعلى وحدة اتجاههما في الوقت نفسه.

وقد يكون التنسيق،على الصعيد الستراتيجي،بين الحزب وحركة السلطة التي يقودها، امـــرا بسيطا نسبيا،ولكن الصعوبات تنشأ عند محاولة تحقيق هذا التنســـيق علـــى صعيـــد الاحـــداث والمواقف التكتيكية اليومية.

ويتطلب الامر جهودا استثنائية،لتوفير اكبر وادق قدر ممكن من التنسيق بين الحركتيـــن، ولتحليل وتفسيرمظاهر اختلافهما، وفي حل المشكلات الناتجة عنها.

واختلاف البارز للعيان بين الحركتين أمر لا مناص منه، في بعض الحالات، وعلى القيادة ان تحدد في كل حالة السماح بهذا الاختلاف،وكيفية ظهوره.

واذا كانت فكرة تميز حركة الحزب عن حركـــة الســـلطة مقبولـــة ومفهومـــة مـــن قبـــل الحزبين،ويمكن معالجة المشكلات التي تنشأ عنها بالوسائل الحزبية،فان هذه الفكـــرة لاتكـــون مفهومة، بنفس القدر، من جانب الجماهير، كما انها، بالتأكيد، ليست مقبولة، في الغـــالب، مـــن جانب الانظمة العربية، والقوى السياسية العربية والدولية.

فهذه الجهات لابد ان تخلط، بقدر او بآخر، بين مظاهر حركـــة الحـــزب، ومظـــاهر حركـــة السلطة، ويؤدي هذا الخلط الى كثير من المشكلات التي يواجهها الحـــزب، احيانـــا، او ســـلطته احيانا اخرى. فالجماهير والقوى السياسية، وبخاصة التي في مواقع المعارضة منها، لا يمكن ان تعزل بين اتجاهات حركة السلطة، وبين حقيقة مواقف الحزب، مما يتطلب من فـــروع الحـــزب وقواعده ــ فضلا عن قيادته ــ بذل جهود استثنائية في تفسير حركة السلطة وغاياتها،وتمييزهـــا عن حركة الحزب، كما ان حركة الحزب،في بعض الاحيان،وبخاصة حركة فروعه في الاقطـــار العربية، تخلق الكثير من المشكلات والاحراجات للسلطة، وتؤثر علـــى اوضاعـــها وعلاقاتـــها العربية والدولية، الامر الذي يلحق بها، احيانا، بعض الخسائر السياسية، كمـــا يفـــرض عليـــها جهودا سياسية ودبلوماسية استثنائية،لتطويق النتائج السلبية التي قد تنشأ عن تلك الحركة.

ويفترض بذل جهود دقيقة ومحكمة، في القيادة، لتنسيق الحركتيـــن واخراجـــهما للعيـــان، بالشكل الذي يقلل،جهد الامكان، من الخلط بينهما، ويقلل، جهد الامكان، من نتائجهما السلبية.

اما بالنسبة للجانب الثاني،،وهو علاقة اعلى سلطة في المؤسسة القومية، وهـــي القيـادة القومية، بالسلطة السياسية في القطر الذي يقود فيه فرع الحزب تلك الســلطة،، فـان خـبرة السنوات الماضية ومهمات الحزب، خلال المرحلة المقبلـة، والضـرورة التاريخيـة الحاسـمة لاستئناف دوره الطليعي في حركة الثورة العربية، توجب كلها ضرورة السعي الى وضع الصيغ المناسبة والفعالة لها.

ان الحزب كله يشعر بانه قد آن الاوان لمغادرة كل الظروف السلبية السابقة، التي كـانت تحيط بحياة الحزب وعلاقاته الداخلية، ومنها هذه المسألة . ان سلطة الحزب الثورية في القطـر العراقي، هي سلطة حزب البعث العربي الاشتراكي كله، وهي امانة في عنق كل مناضلي الحزب وقياداته،،ومادامت القيادة القومية هي أعلى قيادة في الحزب،فان الامر الطبيعي الذي يجـب ان يتحقق، على وجه كامل،في المرحلة المقبلة، هو ان تكون فعلا، اعلى سلطة تنظيمية وسياســية فيه، وتمارس دورها القيادي الفعال على فروع الحزب كافة.

ان الظروف السلبية التي احاطت بالمؤسسة القومية في المراحل السابقة،كما اشرنا فـــي الجزء الاول من هذا التقرير، والتي أضعفت هذه المؤسسة، وأعلى قيادة فيها، وهـــي القيـادة القومية، هي الان،، اما ظروف انتهت من الناحية الموضوعية،او ظروف يتعين العمـــل، خـلال المرحلة المقبلة، لتجاوزها وتعزيز اوضاع القيادة القومية،لتتمكن من تأدية دورها،كأعلى قيـادة وسلطة تنظيمية وسياسية وفكرية في الحزب، بعد المؤتمر القومي.

ان الكثير من الاسباب ذات الطبيعة المادية، المتعلقة بنقص الوسائل والتي كـانت تضعـف أوضاع القيادة، وتضعف قدرتها على قيادة منظمات الحزب في الاقطار قيـادة فعالـة، قـد تـم تجاوزها، بعد تسلم الحزب السلطة في القطر العراقي، وتوفر وسائل عملية كثيرة وفعالة تحت تصرفها.

هذا من ناحية،، ومن ناحية اخرى فان العائق الاخر الذي كان يضعفها في السابق، وهـو عدم مشاركة القياديين الحقيقيين في الاقطار في القيادة القومية، سواء بشكل مباشـر، او مـن الناحية الفعلية،قد تم تجاوز جزء منه،حيث اصبح بالامكان – الى حد كبير – ان تتمثـل، فـي القيادة القومية – القيادات الحقيقية في الحزب، وان تمارس دورها القيادي الفعلي من خلالـها،، واذا ما نشأت حالة ما، تجعل من المتعذر مشاركة رفاق، هم في الواقع قياديون في اقطـارهم، وفي القيادة القومية، فان باستطاعة مؤتمرنا هذا ان يوجد صيغة مناسبة لمثل هذه الحالة.

ان المسألة المهمة،، التي تؤمن القوة القومية المطلوبة للقيادة القومية، والتي تنسجم مع موقعها التنظيمي، ومكانتها المعنوية في الحزب، هي الاختيار الصائب والدقيق للقيادة في هذا المؤتمر، واية قيادة ـ في أي حزب او في أي سلطة ـ لا تستطيع ان تفرض قوتها القيادية من خلال الموقع النظامي الشكلي،الذي تحتله حسب،،فالى جانب هذه الصفة التنظيمية الضرورية والتي يحترمها حزبنا،لابد ان تتوفر في اعضاء القيادة الخصائص القيادية،التي تقنع الحزب كله.

ان حل هذه المسألة،، ومن الضروري حلها، يحسم هذه القضية، التي عانى منها حزبنا طويلا.

(٢) وحدة الحزب:

لقد كان من اهم منجزات الحزب،خلال المرحلة الماضية، محافظته على وحدته، برغم، ماتعرض له من ازمات ومشكلات،وبرغم ظروف التدهور والتفتت التي عانت منها حركة الثورة العربية في تلك المرحلة،وما تزال تعاني منها حتى الان.

غير اننا يجب ان لا نكتفي بما تحقق في هذا الشأن .فوحدة الحزب ليست مسألة ضرورية بالنسبة لبنيانه ومسيرة نضاله فحسب،وانما هي، اليوم، احدى الضرورات الاساسية لصمود حركة الثورة العربية، وتقدمها الظافر.

والوحدة الحقيقية الراسخة الحية لا تستند الى وحدة التنظيم،على اهميتها الحاسمة، فحسب، وانما هي تستند ايضا على ركيزتين اخريين، لاتستقيم بدونهما،، وهما وحدة الفكر، ووحدة البرنامج والسلوك،وتمكنه من تأدية دوره الطليعي في حركة الثورة العربية، وفي نهضة الامة.

ويتطلب الوصول الى هذا المستوى من الوحدة بين قيادة الحزب وقاعدته، وبينها وبين الفروع، وبين كل مناضلي الحزب مستوى عاليا من الاخلاق الثورية، ومن الاخلاص للحزب وقضيته،ومن النظرة التاريخية العميقة الى الامور، والابتعاد عن النزوات ونزعات التكتل والتفرد والعقلية البيروقراطية.

ان المحافظة على وحدة حركة الحزب يجب ان لاتفهم وتؤدي،على الاطلاق،الى مركزية حديدية جامدة، تشل نشاط فروع الحزب في الاقطار العربية وتعطل مبادراتها الخلاقة، في سياق وحدة الحزب،ووحدة حركته.

ان مسألة تأمين الصيغ والاساليب الملائمة لظروف كل فرع من فروع الحـــزب، وتوفـير مستلزمات حركته الحية، مسألة حاسمة، ولا تقل، في اهميتها وضرورتها عن اهمية وضـــرورة وحدة الحزب، ووحدة حركته،،فاذا لم تتوفر لفروع الحزب في الاقطار هذه المستلزمات، لا يبقـى لوحدة الحزب أي معنى ثوري، ولن يوجد في الاقطار العربية حزب ثوري حقيقي،قادر على انجاز اهداف الحزب التاريخية، وانما سيكون هناك منظمات جامدة لا مستقبل لها.

واذا كانت فروع الحزب،في الاقطار العربية، مطالبة بالحرص الشديد على وحـــدة الحـزب ووحدة حركته، وبالطاعة الثورية التامة لتوجيهات القيـادة وقراراتـــها،فـان القيـادة القوميـة مطالبة،هي الاخرى، بان تضع في الاعتبار بشكل دائم، وبكل عناية وموضوعية،ظروف فـــروع الحزب في الاقطار العربية ومتطلباتها،وان تستمع،بروح حزبية عالية،وتهتم بآراء ووجهات نظر تلك الفروع،كما يجب عليها ان تؤمن بسرعة، وكفاءة، متطلباتها واحتياجاتها.

(٣)النشاط الفكري والثقافي والاعلامي والفني:

تعرض النشاط الفكري والثقافي في الحزب، في بعض فترات المرحلة الماضية، الى تـــأثير الاتجاهات المنفعلة والسطحية،التي راجت في الفترة ما بعد هزيمة حزيران، والتي سبقت الاشارة اليها في الجزء الاول من هذا التقرير.

وقد ادى ذلك الى اشاعة قدر غير قليل من البلبلة في صفوف الحزب.
واضعاف حصانته الفكرية امام التيارات الفكرية والسياسية الاخرى، كمـا خلـق نوعـا مـن الشعور بالنقص والضياع، امام العقائد والتجارب الثورية العالمية الكبرى.

وكان ذلك احد المظاهر البارزة والخطرة، للاوضاع السلبية التي كان يعاني منها الحـــزب، والتي تناولها هذا التقرير في جزئه الاول.ولكن ــ كما انعكست تلك الظروف السلبية، بآثارهـا الضارة على هذا الحقل المهم ــ فأن ظروف الحزب الايجابية التـــي تكونـت فيمـا بعـد، قـد انعكست،هي الاخرى، على النشاط الفكري والثقافي في الحزب، الذي صار يتميز بقدر ملمـــوس من التمسك الواعي بالمنطلقات والمنابع الفكرية للحزب، واتجاهاته المتميزة، ونجد ــ اليـوم ــ مناضلي الحزب وكتابه يعبرون عن الايمان العميق بصحة منطلقات حزبهم الفكرية، وعن الثقـة والاعتزاز بتجربته النضالية عامة، وبتجربته المتميزة في القطر العراقي، خاصة، ويتعاملون مـع العقائد والتجارب التقدمية العالمية بقدر ملموس من الرصانة والانفتاح الواعي.

وقد تطلب الانتقال، من الحالة السلبية السابقة، الى الحالة الايجابية الجديدة، بالاضافة الـــى العوامل التي ولدتها مسيرة الحزب، قدرا ملموسا من المركزية والرقابة والمشاركة الجماعيـــة، لاعضاء القادة وكوادر الحزب، في أنشطة هذا الميدان، وللحيلولة دون الشطط فيه، ومـــن اجـل تثبيت النتاج الفكري والثقافي الذي يوحد الحزب، ويطور قدراته،، وكان لذلك انعكاساته الى حــد ما، على كمية النتاج، الفكري والثقافي.

ومع ان اساليب قيادة هذا النشاط قد اثبتت، من حيث المحصلة النهائية، جدواها وفاعليتها، فان المرحلة المقبلة تتطلب قدرا من الموازنة بين الضوابط المركزية الضرورية، والمرونة التـي يتطلبها هذا الحقل، كي يحقق المزيد من التقدم والازدهار.

ان المرحلة المقبلة تتطلب ــ كضرورة اساسية ــ تعميق فكر الحزب وتجربتـــه المتمـيزة، ومعالجة القضايا الفكرية التي لم تعالج، حتى الان،بقدر كاف.

ان القوة السياسية التي بات يمتلكها الحزب، على الصعيد العربي،والتي ترشـــحه مؤهلاتـــه ونضاله لان يمتلكها في المستقبل، تتطلب قوة فكرية موازية ــ ان لم تكن متقدمة ــ وذات طـابع ريادي،، كما ان تحقيق المهام العديدة والمتشعبة والمعقدة، التي يواجهها الحزب، خلال المرحلـــة القادمة، يتطلب نشاطا فكريا وثقافيا واسعا، يرسم معالمـــها فـــي البدايـــة، ويرافقـــها بـــالتحليل والتمحيص، ويستخلص منها النتائج الصائبة.

ومن ناحية اخرى، يواجه حزبنا مهمة الخطط، وتوفير الامكانيات الاستثنائية، لقيادة النشـــاط الفكري والثقافي، في الوطن العربي، في حقول الفكر والاقتصـــاد والاجتمـــاع والادب والـــتراث والفنون وغيرها،، فهذه المسألة ترتبط، ارتباطا وثيقا،بالدور الطليعي لحزبنا في حركـــة الثـــورة العربية، وفي نهضة الامة.

من المهام الضرورية،العمل المتواصل لتطوير معهد الاعـــداد الحزبـــي، وجعلـــه مؤسســـة متطورة، تتوفر فيها القيادات المتخصصة والمتفرعة، لرفع مستوى القيادات الحزبية، واعدادهـــا لمختلف حقول نشاط الحزب.

ويحتل النشاط، في مختلف الميادين الاعلامية، كالصحافة والاذاعة والمطبوعات والعلاقـــات العامة، دورا مهما جدا في انجاز مهمات الحزب، خلال المرحلة المقبلة .لقد حاولت اوساط عربية ودولية عديدة، فرض الحصار الاعلامي على الحزب، وقاعدته الثورية في القطر العراقـــي،كمـــا حاولت تشويه حقيقتهما ومواقفهما بشتى الصيغ.وقد استطاع الحزب ان يحقق قدرا من التقـــدم

في كسر طوق الحصار، وفي نشر مبادئه ومواقفه على الصعيد العربي والعالمي، غير ان المرحلة المقبلة ـ بما تحفل به من مهمات عديدة ومعارك صعبة ـ تتطلب الانتقال الى مواقع قوية جدا في هذا الميادين، تؤمن نشر اهداف الحزب، بصيغ مباشرة او غير مباشرة.

ان اعلام الحزب يجب ان يكون قادرا، لا على صد محاولات الحصار والتشوية التي يتعرض لها فحسب، وانما على تحقيق الغلبة على الاعلام الاستعماري والصهيوني والرجعي، في الوطن العربي.

واعلام الحزب يجب ان ينتقل،من قوة محلية، وشبه عربية، الى قوة عربية أساسية، والى قوة عالمية بارزة، تنشر افكار الحزب ومواقفه، وتعرض قضايا الامة، وتكسب لها الانصار.

(٤)الاجهزة والمكاتب والوسائل التقنية:

تطورت، خلال المرحلة الماضية، اجهزة الحزب ومكاتبه، ووسائله الادارية والتقنية، فلقد استطاع الحزب ان يستفيد، من ناحية، من مختلف الاجهزة والوسائل التي توفرها الدولة التي يقودها، ومن الناحية الاخرى، تكونت اجهزة ومكاتب متخصصة، واجهزة للاتصال، والاعلام، تابعة ـ مباشرة ـ لقيادته القومية، وبعض فروعه في الوطن وخارجه، مما كان يفتقر اليه ـ قبل تسلمه السلطة ـ مما لم يكن يتوفر لديه منه الا الشيء القليل،عند انعقاد المؤتمر العاشر.

غير ان ماتحقق في هذا البلدان، حتى الان، ما تزال اقل بكثير، من مستوى ومتطلبات المهام العديدة والمتشعبة، التي يضطلع بها الحزب ومؤسساته القيادية في المركز وفي الفروع،، ولابد من العمل المثابر والمخطط لتطوير الاجهزة والمكاتب الحالية، وانشاء مكاتب واجهزة اخرى، متخصصة في مختلف الحقول والميادين، التي يعنى بها الحزب وفي هذا الشأن لابد من تظافر جهود كل منظمات الحزب، وتعاونها مع القيادة، والاستفادة من كل الطاقات والكفاءات الحزبية والصديقة تبعا لطبيعة كل حقل.

ومن المفيد، بالنسبة لهذه المسألة،التنبيه الى اهمية الحرص الشديد على الموازنة بين الضرورة العلمية والعملية، لانشاء هذه الاجهزة والمكاتب والوسائل، بما يتطلبه ذلك من جهد، وتنظيم، ومتابعة، ومشكلات ادارية ومالية، وبين عدم اصابة المؤسسات القيادية في الحزب بالامراض البيروقراطية، التي تجعلها أسيرة العمل اليومي التفصيلي، وحبيسة حركة الاجهزة وروتينها، ومشكلاتها.

ان الاجهزة والمكاتب والوسائل الكبيرة والمتطورة ــ بقدر ما تكون ضرورية لقيادات الحزب الثوري ــ يمكن ان تكون ضارة ومعوقة، اذا لم يجر التعامل معها وادارتها، منذ البداية،وبصورة متواصلة، على اساس سليم.

فالقادة الذين يقفون في رأس هذه الاجهزة والمكاتب والوسائل، يجب ان يستخدموها بعقل القادة الثوريين، وروحهم الوثابة، لا ان يصبحوا جزء آليا منها، وفي ذلك محك للقيادة والقادة.

ايها الرفاق:ــ

ان البرنامج الثوري الواقعي الشامل الذي اقره مؤتمرنا، وما عبر عنه من مستوى، في التفكير والتحليل والمعالجة، يشكل اداة حاسمة في توحيد ارادة مناضلي الحزب، وطاقاتهم الفكرية والعملية، ودليل عمل، يوفر لهم ولحركة الجماهير العربية الرؤية الواضحة، في مسيرتهم النضالية الظافرة، على طريق الاهداف التاريخية، في الوحدة والحرية والاشتراكية.

ان مسؤوليتنا، كمناضلين بعثيين، نذروا حياتهم لقضية الامة، تتحدد خلال المرحلة المقبلة، في التطبيق الامين والخلاق للبرنامج والمهمات التي حددها المؤتمر القومي، وفي الالتزام بالروح والقيم الحزبية الثورية الموضوعية العالية التي عبر عنها.

واننا لواثقون من ان حزبنا، بما يمتلكه من فكر ثوري عميق،وتراث نضالي مجيد، وتجربة غنية،في شتى ميادين العمل الثوري، وبما يوفره له هذا المؤتمر من تحليل، ومن برامج عمل ومهمات، سيثبت من جديد خلال المرحلة المقبلة،انه قادر على النهوض بالمسؤولية التاريخية،التي تحملها،منذ نشوئه،كطليعة وامل للامة،، وسيكون قادرا على دفع عجلة حركة الثورة العربية الى امام.

واننا لواثقون من ان حركة الجماهير العربية،،بقيادة حزبها المقدام،، حزب البعث العربي الاشتراكي، ستتمكن من الصمود في وجه المؤمرات والمخططات الاستعمارية والصهيونية والرجعية، وستحقق النصر.

لتكن ثقتنا بامتنا الخلاقة المبدعة عالية دائما، ولتكن ثقتنا بالجماهير وقدرتها على الصمود والنضال عميقة في كل الظروف.ولتكن ثقتنا بحزبنا، وبقدرته على ان يكون طليعة فعالة للامة ولحركتها الثورية الباسلة، راسخة وحية.

ولتتوحد،تحت راية برنامجه الثوري، ارادة كل مناضلي الحزب وطاقاتهم، وارادة كل الثوريين، واوسع الجماهير العربية.

ولترفع عاليا، في صفوف الحزب والامة، قيم النضال، والتضحية والعطاء والشجاعة.

عاشت امتنا العربية المجيدة.

وعاش حزبها الطليعي،حزب البعث العربي الاشتراكي

والنصر لاهدافنا، في الوحدة والحرية والاشتراكية

والمجد والخلود لشهداء الامة العربية

ملحق عن ..
مسألة الاقليات القومية في الوطن العربي

الى جانب القضايا الاساسية التي اهتم بها المؤتمر القومي الحادي عشر.والتي ضمنها التقرير السياسي، فان المؤتمر قد درس.بعناية، مسألة من اهم المسائل التي تواجه الامة العربية ونضالها في الوقت الحاضر والمستقبل، تلك هي مسألة النظرة الى الاقليات القومية في الوطن العربي، وعلاقتها التاريخية بالامة العربية وحركتها المعاصرة، من اجل التحرر والوحدة وبناء الاشتراكية.

ان هذا الفصل الذي ينشر في التقرير السياسي بصيغة ((ملحق)) قد أقره المؤتمر، ويعتبر وثيقة رئيسية من وثائقه،، وهو، اذ يحتوي على مؤشرات واتجاهات مركزية، فانه بحاجة الى مزيد من البحث والدراسة لاغنائه بالشواهد والبراهين التأريخية والوقائع الحية من الواقع المعيش.

ـــ القيادة القومية ـــ

ان الوطن العربي وطن كبير، وتاريخ الامة العربية تاريخ طويل وحافل وخلال القرون العديدة من تاريخ الوطن والامة، وجد، وفي مراحل زمنية متفاوتة، عدد من الاقليات، في بعض اجزاء الوطن العربي.

ان الحزب مطالب بان يعالج مسألة هذه الاقليات، وان يحدد موقفه الفكري والسياسي منها، وليس هذا ضروريا لضمان تطور حركته في الساحة العربية حسب، وانما هو ضرورة حاسمة، كيما يحول الحزب دون استغلال هذه المسألة من جانب الاستعمار والصهيونية، والقوى المعادية الاخرى، والتي سعت، خلال عشرات السنين، الى استغلالها ضدالامة العربية، وطموحها المشروع الى التحرر والوحدة والنهضة.

من الخصائص البارزة في الامة العربية، انها امة كبيرة وعريقة الجذور في التاريخ الانساني، ويبلغ تاريخها عدة آلاف من السنين، وقد كان لها، وفي اكثر من حقبة من التاريخ، دول كبرى ضمت بين جناحيها قوميات واقواما عديدة .لهذه الاسباب وبسبب نزعة التفتح الاصيلة لدى الامة العربية، والتي تجسدت في مراحل تاريخها العريق، وبخاصة في مراحل النهضة والتقدم، فان مستوى الامتزاج الحضاري، بين الامة العربية وبين القوميات والاقوام التي ضمتها الدولة العربية، كان واسعا وعميقا، من دون ان تفقد الامة العربية شخصيتها واصالتها القومية، سواء في ظل دولتها الكبرى، او حتى في عهود الانحطاط، عندما تحللت تلك الدولة، وسيطرت على شتى اجزاء الوطن العربي، ولقرون عديدة قوى اجنبية مختلفة من الشرق والغرب وهذه ميزة عظيمة وتاريخية للامة العربية.

ولقد اعتبر حزبنا، منذ البداية، الرابطة القومية العربية، والشخصية القومية العربية جزءا اساسيا من عقيدته ومن توجهاته الفكرية والسياسية في معالجة قضايا الوطن والامة، ووضع للرابطة القومية، والشخصية القومية، التفسير والمضمون العلمي التقدمي الانساني.

ان الحزب لم يشترط، ولم يركز على العامل العنصري في الرابطة القومية،،وقد رفض التركيز على العامل العنصري في تكوين الامة العربية، لانه ينطوي على موقف غير علمي، يتنافى مع ايمان الحزب ومبادئه، عدا عن كونه تعبيرا عن نظرة ضيقة للامة، ولكيفية تكوينها، ولدورها الحضاري القديم والمعاصر،في الحياة* الانسانية.

ان الشرط الذي وضعه الحزب للانتماء للامة العربية، والذي نص عليه الدستور في مبادئه العامة هو مايلي:

((العربي هو من كانت لغته العربية، وعاش في الارض العربية، او تطلع الى الحياة فيها، وآمن بانتسابه الى الامة العربية)).

ان هذا التحديد يعني شمول الهوية العربية لكل الافراد والمجموعات التي ينطبق عليها هذا الشرط دون اشتراط العامل العنصري،، وهو يفسح المجال واسعا، لتعميق امتزاج الاقليات والاقوام الصغيرة في الامة العربية.

اما بالنسبة للقوميات ذات الثقل السكاني النسبي، والتي تعيش في اطار الوطن العربي، وتمتلك لغة وسمات فيها قدر من التميز عن اللغة والسمات القومية العربية، مثل القومية الكردية، فلا بد من القبول بخصوصيتها القومية المحلية، وحل أي تعارض بين هذه الخصوصيات وحركة القومية العربية، لان مثل هذه القوميات تمتلك لغات وسمات متميزة عن اللغة والقومية العربية. وفي الوقت نفسه من الخطأ اعتبارها قوميات مختلفة عن الامة العربية بنفس المستوى الذي تختلف فيه القومية الفارسية او الهندية،او غيرها من القوميات.

ذلك ان هذه القوميات التي تمتلك لغات وسمات متميزة عن اللغة والسمات العربية، والتي تعيش في الوطن العربي منذ حقبة طويلة كالقومية الكردية،قد ارتبطت بالامة العربية بوشائج عميقة الجذور،،فهي، اصلا، تعيش، منذ نشأتها، وعبر هذه الحقبة في الارض التي عرفت تاريخيا بالوطن العربي، على رغم اختلاف المسميات بين اجزائه، واختلاف اسماء الدول التي قامت عليه،،وهذه مسألة مهمة،، فالارض التي تعيش عليها هذه القوميات كانت جزءا من الدول العربية التي نشأت منذ آلاف السنين، والتي كان اخرها الدولة العباسية الكبرى، وهذه الارض هي ـ في الوقت نفسه ـ موطن تلك القوميات،، وعلى هذا الاساس فان الهوية العربية للارض التي تعيش عليها هذه الاقليات لم تأت عن طريق القهر، او الاستعمار او الاستلاب، وانما اتت نتيجة الواقع التاريخي الممتد عبر آلاف السنين، ولم يكن حول ذلك، عبر كل تلك الحقبة التاريخية الطويلة، أي جدال او نزاع.

وقد كانت هذه القوميات،خلال مراحل التاريخ المختلفة جزءا حيا من الكيان العربي، مرتبطا به ومتفاعلا معه، ولم تكن، جسما غريبا فيه، ومتناقضا معه.

وقد بلغت الوشائج بين الامة العربية وهذه القوميات، مستوى عميقا جدا وشاملا، في اطار العقيدة الاسلامية المشتركة، وفي ظل الدولة العربية الاسلامية، التي امتدت عدة قرون.

ان اغلب ابناء هذه القوميات كانوا جزءا حيا من الدولة العربية الاسلامية، واحتلوا فيها مراكز مهمة في السلطة العليا وفي الجيش، وفي الثقافة والمراكز الدينية وغيرها.. كما ان ابناء هذه القوميات جميعها يشكلون ـ حاليا ـ جزءا حيا ومتفاعلا في الحياة العربية السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

لذلك، وبصرف النظر عن كل محاولات الاستعمار والصهيونية، لابعاد هذه القوميات عن الامة العربية، وبصرف النظر عن كل محاولات العناصر الشوفينية في اوساط هذه الاقليات، وفي اوساط عربية ايضا، للتفريق بين الطرفين، فان الحياة المشتركة في الوطن العربي، بين العرب وهذه الاقليات، هي مسألة طبيعية تماما، ومنسجمة مع الحقائق الاساسية للتاريخ المشترك، الذي جمع الامة العربية وهذه القوميات، وان أي انفصالية مهما كانت اشكالها ومضامينها ومظاهرها ودرجاتها، ودوافعها، هي نزعة منحرفة ومناقضة للواقع والتاريخ، وضارة بالامة العربية وبهذه القوميات .

ان الحياة المشتركة، بين الامة العربية وهذه القوميات على ارض الوطن العربي، امر طبيعي تماما، وهي تعني، في الوقت ذاته، وحدة الاهداف والاماني، بين القومية العربية وهذه القوميات.

ونزوع هذه القوميات نحو التطور الثقافي، والاجتماعي المنسجم مع سماتها اللغوية والثقافية الخاصة لا يتناقض مع نزوع الامة العربية نحو الوحدة والاشتراكية، بل هو جزء حي منه، ويجب النضال لاستئصال كل نزعة تسعى الى وضع الفوارق بين هذين النزوعين الطبيعيين والمشروعين، او دفعهما الى التناقض.

وعلى هذا الاساس فان حزب البعث العربي الاشتراكي، الذي يعبر اصدق تعبير عن نزوع الامة العربية الى الوحدة والحرية والاشتراكية، يمكنه، بل يجب عليه، كمهمة قومية وانسانية، ان تستوعب نزوع هذه القوميات نحو التطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي العربي، وان يكون مناضلا ومدافعا عنه.

ومن هذه الزواية فان الحزب البعث العربي الاشتراكي، يمكن،بل يجب ان يكون حزب هذه الاقليات، كما هو حزب الامة العربية.

ان الاطراف المعادية للحزب تحاول ان تثير الالتباس، حول اسمه في هذا الشـــأن، فتقـــول: كيف يمكن للكردي (مثلا) ان يكون عضوا في حزب البعث ((العربي)) الاشتراكي.؟!

والجواب المبدئي السليم هو ان الصفة (العربية) للحزب ليست صفة عرقية، بل هي صفـــة قومية انسانية حضارية، بالمعنى الذي اشرنا اليه، لذلك، فمن الطبيعـــي ان يكـــون الكـــردي، او المواطن من جنوب السودان عضوا في حزب البعث العربي الاشتراكي، الذي يســـتوعب نزوعـــه المشروع نحو التطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، باتجاه تحقيق الوحدة والحرية والاشتراكية في اطار من الحياة المشتركة في الوطن الواحد.

اما من الناحية السياسية، فقد استطاع الحزب ان يجد حلا سليما ومتوازنا لقضيـــة نـــزوع الاكراد نحو التطور الثقافي ولاجتماعي الخاص، في اطار الدولة الواحدة، في القطـــر العراقـــي، ذات الهوية العربية العامة بالمعنى القومي الانساني الحضاري المشار اليه، من خـــلال تجربـــة الحكم الذاتي، التي قامت في القطر العراقي في آذار ١٩٧٤، والتي تتعزز وتتطور.

ان هذا الحل، يصلح، من حيث الاساس، لمعالجة كل قضايا القوميات في الوطن العربي، كما ان اجراءات الثورة، بمنح الحقوق الثقافية للسريان والتركمان، تشكل، نموذجـــا حيـــا لمعالجـــة مسألة القوميات، والاقوام الصغيرة المتواجدة في الوطن العربي.

وبالنسبة لفرع البعث العربي الاشتراكي،في القطر العراقي فقد كان شأنه في ذلك شأن كثـــير من فروع الحزب الاخرى، منذ البدء يتصرف عمليا، في اطار هذه النظرة العلميـــة الصائبـــة،، ولهذا فانه، ومنذ بدايات تكوينه، استوعب في صفوفه الكثير من المناضلين الاكراد، ومن الاقليات الاخرى،،وكان وجودهم طبيعيا تماما.

ان المؤتمر القومي الحادي عشر،،وعلى اساس المبررات النظرية والتاريخيـــة والواقعيـــة المشار اليها، يؤكد تأكيدا واضحا، ان حزب البعث العربي الاشتراكي هو الحزب الطليعـــي الـــذي يمثل الجماهير،، كل الجماهير التي تعيش في الوطن العربي،، بصرف النظر عن لغتها وســـماتها القومية وهو المدافع الامين والمناضل الصلب عن قضيتها،، وهو الذي يقودهـــا علـــى طريـــق الحرية،، وعلى المجتمع الاشتراكي الموحد في الوطن العربي.